مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد التاسع - السنة الخامسة. محرم ١٤٤٢هـ، الموافق أغسطس ٢٠٢٠م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

- استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية «دراسة تطبيقية»
  د. طلال بن أحمد بن علي بن محمد
- الإعجاز الأسلوبي في تفسير أبي السعود تفسير سورة آل عمران أنموذجا
  د. ميلود عزيبة
- عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن
  بشرى باجي
- أسباب حفظ النعم ودفع النقم في ضوء القرآن الكريم
  د. منيرة بنت عبد العزيز بن علي السعوي
- دلالات سياق وجوب اتباع السنة النبوية في القرآن الكريم «دراسة تطبيقية»
  د. بسام مفتاح الأغبر
- تقرير رسالة علمية بعنوان: الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في تدبر القرآن الكريم
  زكريا بن عبد الرحمن بن محمد بافضل
- تقرير عن زواج مذكرة التابع لمركز تفسير للدراسات القرآنية
- تقرير عن ملتقى: التجديد في التفاسير المعاصرة: «عرض ونقد»

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد التاسع السنة الخامسة محرم ١٤٤٢هـ الموافق أغسطس ٢٠٢٠م

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

أ.د. محمد بن عبد الله الربيعة

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

أمين التحرير

مصطفى محمود عبد الواحد

حقوق الطبع محفوظة

مجلة تدبر

٤١٦ ص ، ١٧×٢٤سم

رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨

بتاريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨

ردمد: ٧٦٤٢-١٦٥٨

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًّا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

المملكة العربية السعودية

ص.ب ٧١١٩

المدينة المنورة ٤١٤٦٢

info@tadabburmag.sa

+966 50 30 72 333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

المرجعية:

- مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥ .

الرؤية:

- أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

- أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

مجالات النشر في المجلة

أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:

- التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.
- تعليم تدبر القرآن الكريم.
- الاستنباط من القرآن الكريم.
- المقاصد القرآنية.
- المناسبات القرآنية.
- الإعجاز القرآني.
- البلاغة القرآنية.
- الموضوعات القرآنية.

ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

ثالثًا: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. مُحَمَّد بن عَبْد العَزِيز العَوَاجِي

الأُسْتَاذ بِقِسْم التَّفْسِير وَعُلُوم القُرْآن بالجَامِعَة الإِسْلَامِيَّة بِالمَدِينَة المُنَوَّرَة

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبْرَاهِيم بن صَالِح الحُمَيْضِي

الأُسْتَاذ بِقِسْم القُرْآن وَعُلُومِه بِجَامِعَة القَصِيم

أ.د. عَبْد الرَّحْمَن بن نَاصِر اليُوسُف

الأُسْتَاذ بِقِسْم القُرْآن وَعُلُومِه بِجَامِعَة الإِمَام مُحَمَّد بن سُعُود الإِسْلَامِيَّة

أ.د. يُوسُف بن عَبْد اللَّه العليوي

الأُسْتَاذ بِقِسْم البَلَاغَة بِجَامِعَة الإِمَام مُحَمَّد بن سُعُود الإِسْلَامِيَّة

د. مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه الرَّبِيعَة

الأُسْتَاذ بِقِسْم القُرْآن وَعُلُومِه بِجَامِعَة القَصِيم

د. بريك بن سَعِيد القَرني

الأُسْتَاذ المُشَارِك بِقِسْم القُرْآن وَعُلُومِه بِجَامِعَة الإِمَام مُحَمَّد بن سُعُود الإِسْلَامِيَّة

مدير التحرير

أ.د. مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه الرَّبِيعَة

الأُسْتَاذ بِقِسْم القُرْآن وَعُلُومِه بِجَامِعَة القَصِيم

أمين التحرير

مُصْطَفَى مَحْمُود عَبْد الوَاحِد

الهيئة الاستشارية

د. فَيْصَل بن جَمِيل حَسَن غَزَاوِي

إِمَام الحَرَم المَكِّي، وَعَمِيد كُلِّيَّة الدَّعْوَة وَأُصُول الدِّين فِي جَامِعَة أُمِّ القُرَى بِمَكَّة المُكَرَّمَة

أ.د. الشَّاهِد البُوشِيخِي

رَئِيس مَجْلِس إِدَارَة مُؤَسَّسَة مُبْدِع لِلدِّرَاسَات وَالبُحُوث بِالمَغْرِب

أ.د. عَبْد الرَّحْمَن بن مَعَاضَة الشَّهْرِي

أُسْتَاذ الدِّرَاسَات العُلْيَا بِجَامِعَة المَلِك سُعُود بِالرِّيَاض

أ.د. عَلي بن إِبْرَاهِيم الزَّهْرَانِي

أُسْتَاذ الدِّرَاسَات العُلْيَا بِالجَامِعَة الإِسْلَامِيَّة بِالمَدِينَة المُنَوَّرَة

أ.د. يَحْيَى بن مُحَمَّد زَمْزَمِي

أُسْتَاذ الدِّرَاسَات العُلْيَا بِجَامِعَة أُمِّ القُرَى بِمَكَّة المُكَرَّمَة

أ.د. عَبْد الحَكِيم بن مُحَمَّد الأَنِيس

كِيمْبَرْلِي جِين أَوَّل عُضْو هَيْئَة بِكَبَار العُلَمَاء بِدَائِرَة الشُّؤُون الإِسْلَامِيَّة وَالعَمَل الخَيْرِي بِدُبَي

أ.د. طَه بن عَابِدِين طَه حَمَد

أُسْتَاذ التَّفْسِير وَعُلُوم القُرْآن بِجَامِعَة أُمِّ القُرَى بِمَكَّة المُكَرَّمَة

أ.د. أَحْمَد خَالِد شُكْرِي

الأُسْتَاذ بِكُلِّيَّة الشَّرِيعَة بِالجَامِعَة الأُرْدُنِيَّة

أ.د. أَحْمَد بن مُحَمَّد الشَّرْقَاوِي

أُسْتَاذ التَّفْسِير وَعُلُوم القُرْآن بِجَامِعَة الأَزْهَر الشَّرِيف بِمِصْر
عُضْو اللَّجْنَة العِلْمِيَّة الدَّائِمَة لِتَرْقِيَة الأَسَاتِذَة بِجَامِعَة الأَزْهَر.

قواعد وشروط النشر

أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بُلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ على أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ مِن الفئات الآتية:

- البحوث الأصيلة.
- مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

ثانيًا: الإجراءات العلمية لتقديم البحث:

١- أن يكون في مجالات المجلة.

٢- كتابة مقدمة تحتوي على (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٣- تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.

٤- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثالثًا: الإجراءات الفنية لتقديم البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٦٠) صفحة مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٠) صفحة.
- هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلىٰ، وأسفل، ويمين، ويَسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- تُكتب الآيات القرآنية وَفْقَ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).
- تُوضع حواشي كل صفحة أسفلها علىٰ حِدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًّا، وتُضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.
- تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي علىٰ: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المُعَبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المَعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء:٥٥].

رابعًا: كيفية توثيق المراجع:

يُوثّق الباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي:

- **إذا كان المرجع (كتابًا):** («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى). فاسم المحقق -إن وُجِد-. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسْمُ النَّاشر، فسَنَةُ النَّشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى؛ محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

- **إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع):** («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسَّنَة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية:

كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فاسم الدَّوْرِيَّة، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسَنَةُ النَّشر، فالصفحة من ص...- إلىٰ ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥- ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يُوجد لها أيُّ بيان في بيانات المَرجع، وهي:

- بدون اسم الناشر: د. ن
- بدون رقم الطبعة: د. ط
- بدون تاريخ النشر: د. ت

- ترتيب المراجع ترتيبًا ألفبائيًّا.

خامسًا: بيان مسار البحث المُقدَّم للمجلة:

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعَدُّ تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقَدَّم للنَّشر، ولن يُقَدَّمَ للنَّشر في جهة أخرىٰ حتىٰ تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأَوَّلِي للبحث، وتقرير أَهْلِيَّته للتحكيم، أو رفضه.

٣- إِطْلَاعُ الباحث علىٰ خلاصة تقارير المُحَكِّمين؛ ليُعَدِّل بحثه وَفْقَها، ويُبَيِّن رأيه فيما لا يَأخذ به من أقوالهم، وتَحسم الهيئةُ الخلافَ بينهما.

٤- في حال (قبول البحث للنَّشر) يتمُّ إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنَّشر)، وعند رفض البحث للنشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).

٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرىٰ بعد مُضِيِّ ستة أشهر من صدورها.

٦- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعَدُّ قبولًا من الباحث بـ(شروط النَّشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ في تحديد أَوْلَوِيَّات نَشر البحوث.

٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعَبِّر عن وجهة نَظر الباحثين فقط، ولا تُعَبِّرُ بالضرورة عن رأيِ المجلة.

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة رئيس التحرير	١٧
أولًا: البحوث	
استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية «دراسة تطبيقية» — د. طلال بن أحمد بن علي بن محمد	٢١
الإعجاز الأسلوبي في تفسير أبي السعود تفسير سورة آل عمران أنموذجًا — د. ميلود عزنيبة	١٠٩
عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن — بشرى باجي	١٦٧
أسباب حفظ النعم ودفع النقم في ضوء القرآن الكريم — د. منيرة بنت عبد العزيز بن علي السعوي	٢٢٣
دلالات صيغ وجوب اتباع السنة النبوية في القرآن الكريم «دراسة تحليلية» — د. بسام مصباح الأغبر	٢٩١
ثانيًا: مستخلصات الرسائل والمشاريع العلمية	
تقرير رسالة علمية بعنوان: الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في تدبر القرآن الكريم — زكريا بن عبد الرحمن بن محمد بافضل	٣٤٧
تقرير عن برنامج مذكر التابع لمركز تفسير للدراسات القرآنية	٣٦٥

الموضـــوع	الصفحة
ثالثًا: تقارير المؤتمرات العلمية	
تقرير عن ملتقى: التجديد في التفاسير المعاصرة: «عرض ونقد» معد التقرير: أ.د. عبد الرحمن معاشي	٣٨٧

مجلة تدبر

افتتاحية العدد

كلمة رئيس التحرير

تقديم العدد التاسع

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، رحم خلقه بإنزال القرآن وإقامة البرهان، فكان هداية للأنام إلىٰ الطريق المستقيم والدين القويم.

والصلاة والسلام علىٰ من أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة علىٰ الخلق أجمعين، ليبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون، فبلغ رسالة ربه، وأبان عن وحيه، وترك الأمة علىٰ المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فصلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه الغر الميامين الذين قالوا بالحق وبه كانوا يفقهون ويعملون ويحكمون، نهجوا منهج نبيهم ﷺ وحملوا من بعده رسالته، فكان القرآن العظيم ربيع قلوبهم ونور صدورهم ونبراس حياتهم وحجة أعمالهم، لا يفارقونه في كل أحوالهم تلاوة وتدبرًا وتعلمًا وتعليمًا ووعظًا وإفتاءً وحكمًا وتحكيمًا، ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع، وقلوبهم تمتلئ من السكينة والخشية.

ولا زال الهداة من أهل العلم علىٰ هذا المنهج يحتذون، ولربهم بذلك يتقربون، وأرض الله لا تخلو من عباد الله القانتين المخبتين الأواهين المنيبين، وهؤلاء هم أهل القرآن.

وإن مما شرفنا الله به خدمة كتابه العظيم، من خلال هذه المجلة المباركة **(مجلة تدبر)**، وهي قناة علمية محكّمة، تدلف بحمد الله وفضله نحو السنة الخامسة من عمرها، وقد خطت خطوات حثيثة للإسهام في الدراسات القرآنية عمومًا وفي التدبر خصوصًا بتأصيله ونشر البحوث المحكّمة في مجالاته المتنوعة والتعريف بما يخدمه ويثريه من رسائل ومؤتمرات علمية وبرامج تنفيذية،

وقد لقيت ولله الحمد قبولًا عند الباحثين والمؤسسات العلمية والجامعية؛ فتسابقت إليها البحوث المختلفة، ورنت إليها أنظار الباحثين من دول شتىٰ.

وما كان للمجلة أن تصل إلىٰ هذا المستوىٰ لولا الله ﷻ وله الحمد والفضل، ثم تجاوب المجتمعات الإسلامية مع المجلة وما ينشر فيها، وما يقوم به أعضاء هيئة تحريرها محتسبين الأجر عند الله في ذلك، ويساندهم أعضاء الهيئة الاستشارية بالرأي والمشورة والدعم العلمي والمعنوي.

وفي هذا العدد التاسع نقدم عددًا من الأبحاث تتعلق ببلاغة القراءات، وأسلوب القرآن في تفسير أبي السعود، وعربية القرآن ومعهوده، وحفظ النِّعم ودفع النِّقم في القرآن، ودلالات صيغ وجوب اتباع السنة في القرآن، كما نستعرض تقارير عن جهود العلامة السعدي في تدبر القرآن، وعن برنامج مدّكر، وعن ملتقىٰ التجديد في التفسير المعاصر.

ولا نزال نحث الباحثين والعلماء وأساتذة الجامعات في جميع أنحاء العالم لتغطية مجالات تدبر القرآن الكريم سواءً بالدراسات التأصيلية أو الاستقرائية أو النقدية أو البحوث الميدانية فالمجال رحب للكتابة فيه.

بارك الله في كل من أسهم في خدمة القرآن وعلومه برأي أو تحكيم أو بحث أو خدم تلك الأبحاث بالطباعة والنشر والإفادة منها.

رب بارك وتقبل وسدد وأعن، واجعلنا جميعًا ممن يبتغي بذلك وجهك الكريم.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

مجلة تدبر

أولاً: البُحُوث

مجلة تدبر

اسْتِخْرَاجُ الْقَوَاعِدِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

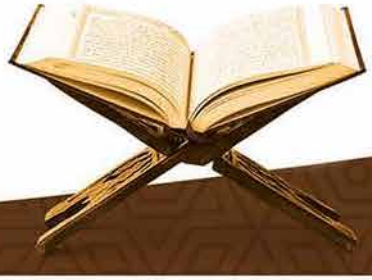

د. طَلَال بن أحمد بن علي بن محمد

الأستاذ المساعد بقسم القراءات- كلية القرآن الكريم
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- حصل علىٰ درجة الماجستير من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بأطروحته:
  (الوسيلة شرح العقيلة للسخاوي دراسةً وتحقيقًا)
- حصل علىٰ درجة الدكتوراه من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بأطروحته:
  (شرح ابن جبارة علىٰ العقيلة دراسةً وتحقيقًا)

بعض النتاج العلمي:

١- محاضرات وخطب صوتية.

٢- بِناءُ القَواعِدِ الصَّرْفيَّةِ علىٰ صَحيحِ القِراءاتِ القُرآنيَّةِ مِنْ أَوَّلِ سُورةِ مَرْيمَ إلىٰ آخِرِ المُصْحَفِ.

٣- ترتيب تلاوة آيات القراءات الجزءُ الأوَّلُ مِن المُصحَفِ أُنمُوذجًا.

٤- استِنْباطُ القَواعِدِ النَّحْويَّةِ مِنْ القِراءاتِ القُرْآنيَّةِ مِنْ أَوَّلِ سُورةِ مَرْيَمَ إلىٰ آخِرِ المُصْحَفِ.

البريد الإلكتروني: talalaam@hotmail.com

مستخلص البحث

موضوعُ البحثِ:

يَتناوَلُ هذا البحثُ استخراجَ القواعِدِ البلاغيَّةِ من القِراءاتِ القُرآنيةِ.

أهدافُ البحثِ:

١- التأكيدُ علىٰ أصالةِ وأولويةِ مَصدريَّةِ القرآنِ الكريمِ في تقعيدِ قَواعِدِ العربيةِ.

٢- إبرازُ الجانِبِ البَلاغيِّ في القِراءاتِ.

مُشكلةُ البحثِ:

١- عندما قعَّدَ أهلُ الفصاحةِ قواعدَهم؛ هل انطلَقُوا مِن النصِّ القرآنيِّ أوَّلًا؟

٢- هل ثَمَّ تلازمٌ بين طرَفَي الشُّهرةِ والفصاحةِ؟

٣- هل تقعيدُ علومِ الآلةِ يُسَهِّلُ وُصُولَها إلىٰ أذهان طُلَّابِها حقًّا؟

٤- هل كُتُبُ عِلَلِ القراءاتِ من مصادرِ عِلْمِ البلاغةِ؟

جاء هذا البحثُ ليجيبَ بمضمونِه علىٰ هذه الأسئلةِ.

نتائجُ البحثِ:

١- لا إدراكَ لإعجازِ القرآنِ عامَّةً والقراءاتِ خاصَّةً؛ دُونَ إتقانِ اللِّسانِ العربيِّ المبينِ، الذي نَزَل به، ولا سبيلَ إلىٰ ذلك دونَ إتقانِ بلاغةِ العربِ.

٢- تيسيرُ علومِ الآلةِ -حتىٰ لذَوِي الاختصاصِ- مَطلبٌ مهمٌّ جدًّا.

٣- اشتَمَلَ هذا البَحْثُ علىٰ تِسْعةٍ وأربَعِينَ قاعِدةً بلاغيةً.

الكلماتُ المفتاحيَّةُ: بلاغة- قاعدة- شاهد- قراءات.

3- Does the standardization of auxiliary sciences "Uloom-ul-aalah" help students understand them?

4- Are the books of Qira'at Defects "Ilal Qiraat" from the sources of rhetoric?

This research answers the following questions:

Results:

1- No realization of the miracle of the Holy Qur'an in general and the Qira'at in particular, without mastering the Arabic language, with which the Quran was revealed.

2- Facilitation of the auxiliary sciences - even for specialists - is very important.

This research includes forty nine rhetorical rules.

Key words:

Rhetoric - Rule - Witness - Qira'at

Extraction of Rhetorical Rules from the Qira'at (Recitation) of the Holy Quran

an Empirical Study

Dr. Talal bin Ahmed bin Ali bin Mohammed
Assistant Professor at the Qira'at Department, College of the Holy Quran,
Islamic University of Madinah

Abstract

Subject:

This research focuses on the extraction of rhetorical rules from the Qira'at of Holy Quran

Objectives:

1- Showing the authenticity and priority of the Holy Quran in the standardization of the Arabic rules

2- Highlighting the rhetorical aspect of the Qira'at

Problem:

1- When Arab linguists set their rules, did they start from the Quranic text?

2- Is there a relation between fame and eloquence?

المقدِّمةُ

إِنَّ الحمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أما بعدُ:

فعِلمُ القِراءاتِ مِن أعظمِ علومِ القرآنِ الكريم، وأجلِّها قدرًا، فلئن كانَ القرآنُ مُعجِزًا بالنظمِ الواحدِ في القراءةِ الواحدةِ؛ فإنه مُعْجزٌ بجميعِ أساليبِه في القراءاتِ الأخرىٰ، ولئن زادتْه شيئًا -وقد زادتْه أشياءَ- فقد زادتْه حسنًا وجمالًا.

وعَبْرَ تاريخِ التدوينِ الطويلِ في علمِ القراءاتِ؛ أَلَّفَ العلماءُ مصنفاتٍ كثيرةً تُعنَىٰ بأوجهِ تلك القِراءاتِ في لغةِ العربِ، مُتَّخذِينَ فيها مناهجَ وأساليبَ مُتَشابِهةً(١)، عُرِّفَ مضمونُها فيما بعدُ بعِلمِ عِللِ القِراءاتِ، ولقد أحسنوا، وأجادوا، وأفادوا، وقرَّبُوا البَعِيدَ، وفَتَحُوا المغالِيقَ، فجزاهم اللهُ عن الإسلامِ خيرًا.

سرَّحْتُ ناظِرَيَّ طويلًا في قراءةِ بعضِ هاتِيكَ المصنَّفاتِ؛ لعلِّي أجِدُ مَن صنَّفَ، أو تَكلَّمَ -علىٰ الأقلِّ- في أوجُهِ القراءاتِ بالطريقةِ التي جالَتْ في خاطِرِيْ؛ فلم أجدْ شيئًا(٢).

وهي -إجمالًا- البحثُ عن الوجهِ البلاغيِّ فيها، وبناءُ القاعدةِ البلاغيةِ

(١) وهي البحث عن وجه القِراءةِ في لغةِ العَرَب.

(٢) سيأتي بيان ذلك في فقرة الدراسات السابقة.

عليهِ، وبعدَ النظرِ والـمشورةِ؛ استخَرْتُ اللهَ فيه، ثم عزمْتُ علىٰ تحريرِه، وسمَّيتُه: «**استخراجُ القَواعِدِ البَلاغِيَّةِ من القِراءاتِ القُرْآنيةِ**».

❁ ❁ ❁

❁ أهميَّةُ الموضوعِ:

تتلخَّصُ أهميةُ الموضوعِ في النِّقاطِ التاليةِ:

١- أصالةُ القرآنِ الكريمِ في تقعيدِ قَواعِدِ العربيَّةِ.

٢- الجانِبُ البَلاغيُّ في القِراءةِ هو الجانبُ الأَهَمُّ للناظرِ الـمتدبِّرِ.

٣- قِلَّةُ عنايةِ علماءِ البلاغةِ بالشَواهِدِ القُرآنيةِ التي تؤيِّدُ قواعدَهم، ناهيك عن الشواهدِ المستخلَصةِ من أوجُهِ القراءاتِ.

فلو فتَّشتَ في نحوِ: «تلخيصِ البيانِ في مجازاتِ القرآنِ»، للشريفِ الرَّضِيِّ محمدِ بنِ الحسينِ (ت ٤٠٦هـ)، أو: «دلائلِ الإعجازِ»، لعبدِ القاهرِ الجُرْجانيِّ (ت٤٧٤هـ)، أو: «الإيضاح»، لجلالِ الدِّينِ القَزْوينيِّ الخطيبِ (ت ٧٣٩هـ)؛ لا تكادُ تَعُدُّ فيها عَشَرةَ شَواهِدَ.

٤- الـمكتبةُ الإسلاميةُ القرآنيةُ تَسْتَظْرِفُ هذا النوعَ مِن البحوث، وتَستَجِيدُ ضَمَّه إلىٰ قَوائمِها.

❁ ❁ ❁

أسبابُ اختيارِ الموضوعِ:

إضافةً إلىٰ ما تَقَدَّمَ ذِكْرُه في أَهميَّةِ الموضُوعِ؛ اجتَمعَتْ لديَّ أَسبابٌ أُخرَىٰ لاختِيارِ الموضُوعِ. مِنها:

١- تقريبُ عِلمِ البلاغةِ إلىٰ أفهامِ طُلابِ عِلمِ القراءاتِ، وتجديدُه في نُفوسِهم؛ حين يَرَونَ القاعِدَةَ البلاغِيةَ غايةً في الوضوحِ والاختصارِ؛ مدعومةً بالتوضيحِ والشاهدِ بعد أن كانَتْ مُودَعةً بطونَ كُتُبِ البلاغةِ، تحتَ رُكامٍ من غُبارِ المكتباتِ.

٢- تقريبُ علمِ القراءاتِ إلىٰ طلابِ علمِ العربيةِ عامةً والبلاغةِ خاصةً، وتشويقُهم إليه؛ حِينَ يَرَونَ بُنيانَهم قائمًا علىٰ قواعدَ مشدودةٍ بكلامِ اللهِ.

٣- تطبيقٌ عَمَلِيٌّ لطُلابِ عِلمِ البلاغةِ في كيفيةِ استِنباطِ، وصِياغةِ القاعِدَةِ البلاغِيَّةِ؛ حيثُ يَتدبَّرُ الطالِبُ معنَىٰ القِراءةِ، ثم يَصُوغُ قاعِدةً بلاغيةً، بناءً علىٰ معنًىٰ صحيحٍ للآيةِ، ثم يَبحَثُ عما يُؤنِسُه مِن كلامِ البلاغيِّين.

٤- تزويدُ مكتبةِ البلاغةِ العربيَّةِ بشواهِدِ قَواعِدِها مِن قراءاتِ القرآنِ الكريمِ.

❁ ❁ ❁

خُطةُ البحثِ

جعلْتُ البحثَ في مقدمةٍ، وأربعةِ فصولٍ، وأربعةِ فهارسَ؛ علىٰ النَّحْوِ التالي:

أمَّا المقدمةُ:

فابتدَأْتُها بتَوطِئةٍ للبَحْثِ، تَلَتْها أهميةُ الموضُوعِ، وسَبَبُ اختيارِه، ثم خُطَّةُ البحثِ، ومنهجِي فيه. ثم الدراساتُ السابقةُ في الموضوعِ، والجديدُ في هذا البحثِ.

وأما الفصولُ الأربعةُ، فهي كما يلي:

الفصلُ الأوَّلُ: قواعدُ الفصاحةِ المستخرَجةُ من القراءاتِ، وفيه تسعُ قواعدَ.

الفصلُ الثاني: قواعدُ علمِ المعاني المستخرَجةُ من القراءاتِ، وفيه إحدىٰ وثلاثون قاعدةً.

الفصلُ الثالثُ: قواعدُ علمِ البيانِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّة، وفيه ثلاثُ قواعدَ.

الفصلُ الرابعُ: قواعدُ علمِ البديعِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ، وفيه ستُّ قَواعدَ.

وأما الفهارسُ الأربعةُ:

فاقتَصرْتُ فيها علىٰ:

أ- فِهرسِ الآياتِ القرآنيَّةِ.

ب- فِهرسِ القواعدِ البلاغيةِ.

ج- فِهرسِ المصادِرِ والمراجِعِ.

د- فِهرسِ الموضوعاتِ.

❁ ❁ ❁

❁ منهجي في البحث

منهجي في هذا البحثِ قائمٌ على الاستقراءِ الموصِلِ إلى استخراجِ القاعدةِ البلاغيةِ مِن القِراءة القرآنيةِ. **واتبعْتُ في تحقيقِ هذا المنهجِ الخطواتِ التاليةَ:**

١- أَذكُرُ القاعدةَ، ثم أَذكُرُ شاهدَها مِن كلامِ اللهِ تعالىٰ.

٢- أستوثِقُ من سلامةِ القاعِدَةِ بذِكرِ مصدَرٍ بلاغيٍّ؛ إن وُجِدَ.

٣- استعنتُ في استخراجِ القاعدةِ بتأمُّلِ كلامِ المفسرين عندَ توجيهِهم للقراءةِ.

٤- أَصُوغُ القاعِدَةَ صياغةً سَهْلةً، مُراعِيًا في ذلكَ الأُصولَ، والضَّوابطَ المنطِقيةَ.

٥- شَمِلَ التقعيدُ الكَلِماتِ الأُصُولِيةَ والفرشيةَ(١).

٦- رتَّبْتُ القواعدَ حسبَ مواضعِها في كتبِ البلاغةِ؛ بدءًا بمقدِّماتِ علمِ المعاني، ثم أبوابِ علمِ المعاني الثمانيةِ، ثم علمِ البيانِ بفنونِه الثلاثةِ، ثم علمِ البديعِ.

٧- اعتمدتُ علىٰ القراءاتِ العَشْرِ المتواترةِ، ووثقْتُ القراءاتِ المخالفةَ لروايةِ حفصٍ فحسبُ؛ لشهرتِها.

٨- لم أشترطِ الحَصْرَ، وإن كنتُ قاربْتُه.

٩- ترجمْتُ لبعضِ الأعلامِ، واستشهدتُ ببعضِ الشواهدِ الشعريَّةِ؛ حسْبَ اقتضاءِ المقامِ.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصحبِه.

❁ ❁ ❁

❁ الدراساتُ السابقةُ في الموضوعِ

حَسْبَ عِلمِي؛ فإنه لم يَسبِقْني أحدٌ في توجيهِ القراءاتِ توجيهًا بلاغيًّا بهذه الطريقةِ التي تزيَّنَ بها بحثي.

(١) الذي أعنيه بالكلمة الفرشيةِ: كلُّ كلمةٍ قرآنيةٍ تعدَّدت بقراءاتها أساليب البيان في الآية، بقطع النظر عن تعدُّدِ المعاني، وهو اصطلاح خاص بي.

نعم، ثَمَّ بحوثٌ عِلْميَّةٌ نفيسةٌ، أبرزُها: «التوجيهُ البلاغِيُّ للقِراءاتِ القرآنِيَّةِ»(١)، ولكنَّه مختلِفٌ عن بحثي جُملةً، وتَفْصِيلًا؛ رغمَ غَزارةِ عِلمِه، وكثرةِ مسائلِه، وقُلْ مِثلَ ذلك عن كتاب «التوجيه البلاغي في القراءاتِ القرآنيَّةِ»(٢)؛ حيث تتلخصُ فكرةُ البحثِ عندَهما في جمعِ ما تناثَرَ مِن المسائلِ البلاغيةِ في كتبِ التوجيهِ والتفسيرِ، وإعادةِ تَرتيبِها وَفقَ تَرتيبِ مباحِثِ عِلمِ البلاغةِ.

وللقارئِ أن يَسألَ: ما الجديدُ الذي تميَّزَ به بحثي؟ فأقولُ:

۞ الجديدُ في هذا البحثِ

١- اعتمدتُ علىٰ صحيحِ القراءاتِ، واستبعدتُ شَواذَّها.

٢- اعتمدتُ في بحثي علىٰ طريقةِ الاستقراءِ، وذلك بالنظرِ في القِراءةِ أوَّلًا، ثُمَّ استخراجِ قاعِدَةٍ بلاغِيَّةٍ منها، بخِلافِ طَريقةِ الباحِثَيْنِ؛ حيثُ اعتَمَدا علىٰ الجمعِ والتَّحليلِ والوَصْفِ.

٣- جعلْتُ القراءةَ مصدرًا للقاعِدةِ، بينما جَعلَ كُلٌّ مِن الباحِثَيْنِ القاعِدةَ مَورِدًا للقِراءةِ.

٤- قَدَّمْتُ مَسائلَ بحثي كأبسطِ وأَمتَعِ ما يُمكِنُ تقديمُه في عِلْمَيِ القِراءاتِ والبلاغةِ، ولن تجِدَ هذا عندَ الباحِثَيْنِ، ولعل السببَ طبيعةُ المرحلةِ البحثيَّةِ.

۞ ۞ ۞

(١) وهو رسالة دكتوراه للدكتور أحمد سعد محمد، من جامعة عين شمس، ١٤١٨هـ.

(٢) وهو رسالة دكتوراه للدكتور عبد الله حسن عليوة، من جامعة الأزهر، ١٤٠٦هـ.

الفصلُ الأوَّلُ

قواعدُ الفصاحةِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ

القاعِدَةُ الأُولى

كَما أنَّ حُرُوفَ الكَلِمَةِ قَدْ تَتَنافَرُ(١)؛ فكذَلِكَ حَرَكاتُها؛ قدْ تُتَثاقَلُ(٢).

والتَّثاقُلُ؛ قد يقعُ بتشابُهِ الحَرَكاتِ المتواليةِ، أو بتغايُرِها(٣).

ومِن شواهِدِ هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ:

﴿بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] بإسكانِ الهمزِ، ﴿رُسُلُكُمْ﴾ [غافر:٥٠] بإسكانِ السينِ، ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام:١٠٩]، ﴿أَرْنِي﴾ [البقرة:٢٦٠، والأعراف:١٤٣] بإسكانِ الراءِ منهما، ونحوُها(٤).

وعِلَّةُ التسكينِ هنا هِيَ التَّخفِيفُ علىٰ مَن يَستثقِلون تَواليَ الحركاتِ(٥).

---

(١) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٦).

(٢) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب (١/ ٢٤٠)

(٣) وما سَكَنت لام الفعل في نحو: وضَعْتُ؛ إلا استثقالًا لتوالي الحركات، ولا في ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ -كما في الشواذ- إلا فرارًا من تواليها. انظر: الشفاء في علل القراءات، لأبي الفضل البخاري (١/ ١١٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي (٦/ ٣١٧).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو بخلاف عنه، ووافقه ابن كثير في ﴿أَرْنِي﴾، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٦٦)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢١٢).

(٥) انظر: شرح الهداية، للمهدوي (١/ ١٦٥).

القاعِدَةُ الثانِيةُ

إِذَا وَقَعَ حَرْفٌ مُدْغَمٌ بَعْدَ حَرْفٍ صَحِيحٍ؛ كانَ ذَلِكَ مِنْ دَواعِي النُّزُولِ عَنْ مَرْتَبَةِ الفَصَاحَةِ. إِلَّا مَا كانَ مِنْ كَلامِ اللهِ(١).

لأنَّ عُسْرَ النُّطقِ بالكَلِمةِ؛ ثِقَلٌ، والثِّقَلُ مَعلُولُ تنافرِ الحُروفِ(٢).

ومن شواهِدِ هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ:

﴿لَا تَعۡدُواْ﴾ [النساء:١٥٤] بإسكانِ العينِ(٣)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء:٥٨] بإسكانِها أيضًا(٤)، ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم:٢٩]، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ﴾ [الأعراف:١٩٩] بإدغامِهما(٥)، ونحوِها(٦).

❁ ❁ ❁

(١) راجِعْ: إبراز المعاني، لأبي شامة (١/ ٢٩٩) وكنز المعاني، للجعبري (٢/ ٣٠٦) عندَ قولِ الشاطبيِّ: «وإدغامُ حَرْفٍ قَبْلَه صَحَّ ساكِنٌ عَسِير...»، وانظر: النشر، لابن الجزري (١/ ١٠).

(٢) انظر: الإيضاح، للقزويني (١/ ٢٢).

(٣) وهي رواية أبي جعفر وقالون بخلاف عنه، انظر: النشر، لابن الجزري (٢/ ٢٥٣).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو وأبي جعفر وقالون وشعبة، انظر المستنير، لابن سوار (٢/ ٦٧).

(٥) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب بخلاف عنه، انظر: النشر، لابن الجزري (١/ ٢٩٨).

(٦) انظر: جامع البيان، للداني (١/ ٤٤٦)، والنشر، لابن الجزري (١/ ٢٩٩).

القاعِدَةُ الثالِثةُ

كُلُّ قِراءَةٍ مَرجِعُها اختلافُ اللَّهَجاتِ؛ فمَهْما عَسُرَ أَداؤُها عندَ قومٍ؛ فلَيسَ لِذلِك أَثَرٌ علىٰ فَصاحَتِها(١).

لأنَّ أَعْسَرَ ما يكونُ علىٰ قَومٍ -وهم عربٌ فصحاءُ- أَخَفُّ ما يكونُ علىٰ غيرِهم، وهم مثلُهم فصاحةً وبلاغةً، واختِلافُ الألْسِنَةِ مِن آياتِ اللهِ في خَلْقِ الإنسانِ.

فترقيقُ الراءِ، وتغليظُ اللامِ عند ورشٍ في نحوِ: ﴿غَيۡرِ﴾(٢) [البقرة:٥٩]، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٣) [البقرة:٣] أسهلُ عندَ قومٍ من التفخيمِ والترقيقِ فيهما، وقُلْ مثلَ هذا في الإمالةِ والتسهيلِ والإدغامِ والإظهارِ وسائرِ أبوابِ الأصولِ(٤).

❁ ❁ ❁

(١) هذه القاعدةُ مبنيَّةٌ علىٰ القاعدةِ المشهورةِ: كلُّ قراءةٍ وافقت العربيةَ ولو بوَجْهٍ، ووافقتْ أحدَ المصاحف العثمانيةِ ولو احتمالاً، وصحَّ سندُها، فهي القراءةُ الصحيحةُ التي لا يجوزُ ردُّها ولا يحِلُّ إنكارُها. انظر: النشر، لابن الجزري (١/ ٩).

(٢) انظر: التيسير، للداني (ص ١٩٢).

(٣) انظر: النشر، لابن الجزري (٢/ ٩٣).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص ٣٢)، والإيضاح، للأندرابي (١٣/ ب).

القاعِدَةُ الرابِعةُ

استِعْمالُ غَيْرِ المشْهُورِ مِنْ كَلامِ العَرَبِ مِنْ أَسْبابِ إِخْراجِهِ عَنْ حَدِّ الفَصَاحَةِ، إلا ما كَانَ مِنْ كَلامِ اللهِ(١).

حيث يشترط البلاغيون في فصاحة التركيب أن يَسلَمَ مِن ضعفِ التأليفِ، أي إنهم اشترطوا تَرْكَ غَيرِ المشهُورِ مِن كلامِ العَربِ، وأن يَسلَمَ مِن التعقيدِ اللفظيِّ كسلامَتِه -مثلًا- من الفصلِ بين المتجاوِرَينِ(٢).

ومن شواهِدِ استعمالِ غيرِ المشهورِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القمر:٧]، أي: تَخْشَعْنَ أَبْصارُهُم، حيث أُسنِدَ الفِعلُ إلىٰ ضَمِيرِ الفاعِلِ، والأشهرُ: تجريدُ الفعلِ منه، وعليه القراءةُ الثانيةُ: ﴿خَٰشِعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾(٣)، أي: يَخشَعُ أَبصارُهم(٤).

---

(١) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ١٨).

(٢) وكان شرطُهم هذا سببَ طعنِ بعضهم في القراءة المتواترة: (زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم).

(٣) وهي قراءة البصريين وحمزة والكسائي وخلف، انظر: التيسير، للداني (ص ٤٧٥)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٨٠).

(٤) قال ابن مالك في الألفية:

وجـــرِّدِ الـفـعـلَ إذا مـا أُسـنِـدا ... لاثـنـيـن أو جـمـعٍ كـفـاز الـشُّـهَـدا

ثم أشار إلىٰ قِلة استعمال اللغةِ الثانية -أي: عند النحويين- بقوله:

وقـد يُـقـال: سَـعِـدا وسَـعِـدُوا ... والـفـعـلُ لـلـظـاهـرِ بـعـدُ مُـسـنَـدُ

وانظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (١٠/ ١٢٦)، وشرح ابن عقيل (٢/ ٧٩).

ومن شواهِدِ هذه القاعِدةِ أيضًا مما يتعلَّقُ بفصاحةِ المفردِ:

﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾ [الإنسان:٤]، قُرِئتْ بتنوينِ كَلِمَةِ ﴿سَلَٰسِلَا۟﴾، وصِيَغُ منتهَىٰ الجموعِ مما لا يُنَوَّنُ، وعليه القراءةُ الثانيةُ(١).

ومن شواهِد ما يراه بعض البلاغيين تعقيدًا لفظيًّا: قراءةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧]، قُرِئت بالفصلِ بينَ المتضايفَين(٢)، والمشهورُ الوصلُ بينَهما، وعليه القراءةُ الثانيةُ(٣)، وما أجملَ القراءَتَينِ، وما أَطْيَبَهُما(٤).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الخامِسةُ

طُولُ الفَصْلِ بين التَّوابِعِ؛ لا يَنْقُصُ مِن فَصاحَةِ التَّرْكِيبِ؛ أَحْيانًا.

إذ إنَّ البلاغيِّين يَعُدُّونَه نَقْصًا(٥).

وشاهِدُ هذِه القاعِدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيةُ التاليةُ: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف:٨٨](٦).

---

(١) وهي قراءة المدنيَّين والكسائي وهشام ويعقوب، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (٢/ ٩٢٥)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٦٩٩).

(٢) وهي قراءة ابن عامر، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٤٧٦)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ١٤١).

(٣) انظر: التيسير، للداني (ص ٢٨٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٤/ ٦٥٧).

(٤) والخُلاصَةُ: أنَّ الفَصاحةَ والشُّهرةَ بينَهما عمومٌ، وخُصوصٌ مُطلقٌ، فكُلُّ مَشهورٍ فَصيحٌ، وليسَ كلُّ فَصيحٍ مَشهورًا.

(٥) انظر: بحثي. «استنباطُ القواعِدِ النَّحْوِيةِ مِن القِراءاتِ القُرآنيةِ». القاعدةَ الثلاثين.

(٦) التوابع المذكورة في القاعدة: العطف، والتوكيد، والنعت، والبدل.

قُرِئَ: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾، بالنصبِ(١) عطفًا علىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف:٨٠]، والتقديرُ: أم يَحسِبون أَنَّا لا نَسمَعُ سِرَّهم ونجواهم، وأَنَّا لا نَسمَعُ قِيلَه: يا ربِّ(٢).

وقلنا: (أحيانًا)؛ لنقصُرَ الأمْرَ علىٰ المعطوفِ المنصوب(٣).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السادِسةُ

في بابِ نائِبِ الفاعِلِ؛ يَنُوبُ مَنابَ الفاعِلِ؛ غَيرُ المفعُولِ بِه، مَعَ وُجودِه أَحْيانًا، ولَيْسَ هذا مما يُخِلُّ بِفَصاحَةِ التَّرْكِيبِ.

نحوُ: ضُرِبَ ضرْبٌ شديدٌ زيدًا.

والغالب: ضُرِبَ زيدٌ ضَرْبًا شديدًا(٤).

وشاهِدُ هذِه القاعِدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيةُ التالية: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ [الجاثية:١٤].

قُرِئَ: ﴿لِيُجْزَىٰ قَوْمًا﴾، بالبناءِ للمفعولِ(٥).

---

(١) وهي قراءة العشرة عدا عاصمًا وحمزة، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (٢/ ٨٥٨)، والتيسير، للداني (ص ٤٥٥).

(٢) انظر: إعراب القرآن، للنحاس (٤/ ٨١)، وشرح الهداية، للمهدوي (٢/ ٥١٠).

(٣) انظر: بحثي «استنباطُ القواعِدِ النَّحْوِيةِ مِن القِراءاتِ القُرآنيةِ»، القاعِدَةَ الحادِيةَ والثلاثين.

(٤) انظر: متممة الآجرومية، باب المفعولِ الذي لم يُسَمَّ فاعلُه (ص ٤٠)

(٥) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٦٥٦)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

فناب المصدرُ منابَ الفاعل، بدلًا مِن المفعول به، والتقدير: ليُجزَىٰ الجَزاءُ قَومًا...(١).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السابِعةُ

إذا كانَ الكلامُ البليغُ هو مُطابقةَ الكلامِ لمقتضَىٰ الحالِ؛ فأَبلَغُه ما تَنوَّعَتْ أَساليبُه في المقامِ الواحدِ(٢).

وشواهِدُ هذه القاعِدَةِ جميعُ القراءاتِ القرآنيَّةِ الفرشيَّةِ(٣).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثامِنةُ

أَوجُهُ الإِعْجازِ في القُرآنِ الكَرِيمِ مُتَعدِّدَةٌ، مِنْها إِعْجازُ قِراءَاتِه(٤).

ووجُه إعجازِها: تعدُّدُ المعاني في الكَلِمةِ الواحِدَةِ بتعدُّدِ قِراءاتِها في الجُملةِ الواحِدَةِ، في السياق الواحد، دونَ أدنَىٰ اضطرابٍ أو تَفاوُتٍ في بَلاغَتِها.

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٨٩)، والدر المصون، للسمين الحلبي (٩/ ٦٤٥).

(٢) هذه القاعِدةُ استُنبِطَتْ مِن تَعْرِيفِ عِلْمِ البَيانِ؛ إذْ هُو إيرادُ المعْنَىٰ الواحِدِ بِطُرقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدَّلالِ، وهو أَخَصُّ مِن علمِ المعاني، فمَتَىٰ استطعتُ أنْ أنوِّعَ الأَساليبَ في المقامِ أو السياقِ الواحدِ كان ذلك أرقىٰ دَرجةً. وانظر: بُغيةَ الإيضاحِ لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي (٣/ ٢).

(٣) ولو لم تتعدد معانيها، نحو: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران:٣٩]، قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿فَنَادَىٰهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، و﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾ [غافر:٢٦]، قرأه نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ﴿وَأَن يَظْهَرَ﴾، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٧٧١)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٦٥).

(٤) انظر: ملامِح مِن الإعجازِ البياني في ضوءِ القراءاتِ القرآنيةِ للدكتور أحمد محمد الخراط، موقع الألوكة.

وشواهِدُ هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ؛ جميعُ القراءاتِ الفرشيةِ المتعدِّدَةِ المعاني.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ التاسِعةُ

أَبْلغُ الكَلامِ أَوجَزُه في تَمامٍ(١).

وكلُّ قراءةٍ انطوَتْ علىٰ معنَيَينِ؛ فهِي مِن شواهد هذه القاعدةِ.

مثال: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ [البقرة:١٠](٢)، فيها معنىٰ ﴿يَكْذِبُونَ﴾، الثلاثيِّ المجرَّدِ، وزيادةٌ.

﴿مُدَّخَلًا﴾ [التوبة:٥٧]، فيها معنىٰ ﴿مَدْخَلًا﴾(٣)، الظَّرْفِ المخفَّفِ، وزيادةٌ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]، فيها ما ليسَ في ﴿تَرْجِعُ ٱلْأُمُورُ﴾(٤)، ففي الأُولىٰ: وإلىٰ اللهِ تَرجِعُ الملائكةُ الأمورَ، وفي الثانيةِ ما ليس في الأُولىٰ، ففيها إسنادُ الفعلِ إلىٰ ما ليس هو له؛ لعلاقةِ المفعوليَّةِ(٥).

❁ ❁ ❁

(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ (١/ ٨٦)، وكتاب الصناعتين، للعسكري (ص ١٧٣).

(٢) هي قراءة العشرة إلا الكوفيين، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٢٥)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ١٧).

(٣) وهي قراءة يعقوب، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٠٨)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٧٩).

(٤) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، انظر: التيسير (ص ٢٣٨)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ٥٥).

(٥) انظر: شرح الهداية، للمهدوي (١/ ١٩٦)، والموضح، لابن أبي مريم (١/ ٣٢٣).

الفصلُ الثاني

قواعدُ علمِ المعاني المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ

القاعِدَةُ الأُولى

إذا كانَت البَلاغةُ هِي مُطابَقةَ الكَلامِ لمقتَضَىٰ المقامِ؛ فكَذَلِكَ تَرْكُ ما يَقتَضِيهِ المقامُ بَلاغَة أَحْيانًا، ويُسَمَّىٰ: الخُرُوجَ عن مُقتَضَىٰ الظاهِرِ(١).

ومن صور الخروج عن مقتضىٰ الظاهر: الالتفات، وهو أنواع، منها:

الالتفاتُ مِن الخطابِ إلىٰ الغيبة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

قُرِئَ: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، بالغيبةِ(٢)؛ التفاتًا، وهذا خروجٌ عما يقتضِيه السِّياقُ، وهو ضربٌ مِن البَلاغَةِ رَفيعٌ، وهو في كتاب الله تعالىٰ كثير.

ومن الخروجِ عن مقتضىٰ الظاهرِ: تنزيلُ العالِمِ بالحُكمِ منزِلةَ خالي الذهنِ، كما في قولِه تعالىٰ مخاطبًا نوحًا: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود:٤٦]، قُرِئتْ بالنهيِ دونَ توكيدٍ؛ تنزيلًا لنوحٍ مَنزِلةَ خالي الذِّهْنِ عن حُكمِ سُؤال اللهِ النجاةَ للكافرين، والسياقُ يقتضي أن لا يُنَبَّهَ نبيُّ اللهِ إلىٰ مِثْلِ هذا؛ لأنَّ الحُكْمَ مَعلومٌ لَدَيه، فالتَّنبيهُ خروجٌ عن الظاهرِ.

---

(١) انظر: الإيضاح، للقزويني (١/ ٧٢)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٥٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (١/ ٥٢٤)، والمبهج، لسبط الخياط (١/ ٣٤٣).

ومِن الخروجِ عن مقتضَىٰ الظاهِرِ: تَنزيلُ العالِمِ بالحكمِ منزِلةَ المتَرَدِّدِ في قبولِه، كما في قولِه تعالىٰ مخاطِبًا نُوحًا: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، قُرِئَتْ بالنونِ الثقيلةِ(١)؛ تَوكِيدًا للنهيِ عن السؤال، والسياقُ يقتضِي أنْ لا يؤكَّدَ الحكمُ؛ لأنه موجَّه إلىٰ نبيٍّ، والنبيُّ يَكفِيْه أدنىٰ النهيِ للاستجابةِ، لكنه نُزِّل منزِلةَ المتردِّدِ؛ فجيءَ بالتوكيدِ، وهذا من الخروجِ عن مُقتضَىٰ السياقِ أو الظاهِرِ.

وصُوَرُ الخروجِ عن مقتضَىٰ الظاهِرِ كثيرةٌ جِدًّا، اكتفيت ببعضِ ما تحتمِلُه القِراءتانِ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثانيةُ

المركَّبُ: تارةً يكونُ جملةً رَئِيسَةً، وتارةً يكونُ جملةً غيرَ رَئِيسَةٍ(٢).

فالرئيسةُ: هي المستقِلَّةُ التي لم تكن قَيْدًا في غيرِها، وغيرُ الرئيسةِ: هي التي قُيِّدَتْ في إعرابِها بغيرِها، ولم تكُنْ مستقِلَّةً.

مثالُ الجملةِ الرئيسةِ: ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران:١٣٣](٣)، ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [النحل:١٢](٤)، جملتان ابتدائيتان، ليستا قيدًا في غيرِهما.

---

(١) وهي قراءة المدنيَّين وابن كثير وابن عامر، غير أن ابن كثير وهشامًا في وجهٍ فَتَحا النونَ، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٢٠٣)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٢٠).

(٢) انظر: الإيضاح، للقزويني (٢/ ١١٤)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٤٠)، المركب: ما تركب من كلمتين فأكثر ولو لم يفد.

(٣) هي قراءة المدنيَّين وابن عامر، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٥٤)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٤٢).

(٤) هي قراءة ابن عامر، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ١٥٠)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٤٨٦)،

ومثالُ غيرِ الرئيسةِ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾، جُملتانِ مَعطُوفتانِ علىٰ ما قبلهما، والتَّوابعُ؛ كُلُّها مُقيَّدةٌ بما قَبلَها.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثالثةُ

المرَكَّبُ: إما خَبرٌ، وإما إنْشاءٌ(١).

أي إنَّ الكلامَ المفيدَ في لغةِ العربِ لا يَعدُوْ هذين، إما أن تُخْبِرَ بخبرٍ واقعٍ وقتَ الإخبارِ به، وإما أَن تُنشِئَ كلامًا لم يكن واقعًا وقتَ التكلُّمِ به(٢).

ومِنْ شواهِدِ هذِه القاعِدَةِ في كِتابِ اللهِ تعالىٰ؛ الآياتُ التَّالِياتُ:

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]، بالإخبارِ(٣)، وقُرِئَتْ: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾، بالنهي، وهو مِن صِيَغِ الإنشاءِ.

﴿قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:٢٥٩]، بالإخبارِ، وقُرِئَتْ: ﴿قَالَ ٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، بالأمرِ(٤)، وهو مِن صِيَغِ الإنشاءِ.

---

(١) انظر: عقود الجمان، للسيوطي (ص ٣٢)، عند قول الناظم: «محتمِلٌ للصِّدْقِ والكِذْب الخبرُ*...»، جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٥٣).

(٢) كقولك: قُمْ، والقيام لم يكن واقعًا في الخارج وقت الأمر به، وانظر: بغية الإيضاح، لعبد المتعال الصعيدي (٢/ ٢٤٩).

(٣) وهي قراءة ابن كثير والبصريين، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٣٩)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢٧).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (٢/ ٥٥٦)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٣٨٤).

مثالٌ آخرُ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف:٩٠]، بالإخبارِ(١)، وقُرِئَتْ: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾، بالاستفهامِ، وهو مِن صِيَغِ الإنشاءِ.

مثالٌ آخرُ: ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ:١٩]، برفع ﴿رَبُّنَا﴾ علىٰ الإخبارِ(٢)، وقُرِئَتْ: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدَ﴾، بنصب ﴿رَبَّنَا﴾ علىٰ النداءِ، والنداءُ مِن صِيَغِ الإنشاءِ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الرابعةُ

المركَّبُ -خبرًا كان أو إنشاءً- إما جُملةٌ فِعليَّةٌ، وإما جُملةٌ اسميَّةٌ(٣).

فهذه أربعٌ؛ مقتضىٰ القسمةِ العقليةِ، فهل لها شواهدُ من القراءاتِ؟ نعم، وإليك البَيان.

جملةٌ فِعْليةٌ خَبَريةٌ: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١].

جُملةٌ فِعليَّةٌ إنشائيَّةٌ: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ [الصافات:١٥٣].

جُملةٌ اسميَّةٌ خَبَريةٌ: ﴿وَأَتْبَعُكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾(٤).

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي جعفر، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (١/ ٢٣٠)، والنشر، لابن الجزري (١/ ٣٧٢).

(٢) وهي قراءة يعقوب، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٣٨٢).

(٣) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٦٦ و٦٩).

(٤) وهي قراءة يعقوب، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٣٣٤)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).

جُملةٌ اسميَّةٌ إنشائيَّةٌ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ [يونس:٨١][(١)]، والتقدير: آلسحرُ هو ما جئتُم به[(٢)]؟

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الخامسةُ

المركَّبُ -خَبَرًا كان أو إنشاءً- يُلقَىٰ لِواحِدٍ مِن ثَلاثَة أَغراضٍ: إما لِلإفادةِ، وإما لِلَازمِها، وإما لِسِواهما[(٣)].

فهذه ستةُ أحوالٍ للمركَّبِ، ودونَك الأمثلة:

خبرٌ للإفادةِ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢]. قُرِئَتْ بتاءِ المتكلم[(٤)]، فموسىٰ عليه السلام -علىٰ هذه القراءة- يُخبِرُ فرعونَ أنه ليس مسحُورًا، وغرضُه إفادةُ فرعونَ باعتقادِه.

خبرٌ لِلَازمِ الإفادةِ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾، قُرِئَتْ بالإخبارِ[(٥)]؛ لإفادةِ يوسفَ بعلمِهم بأنه يوسفُ.

---

(١) هي قراءة أبي عمر وأبي جعفر، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٥٣٢)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥١٧).

(٢) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٩)، وفتح القدير، للشوكاني (٢/ ٥٢٩).

(٣) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٤٦). والغَرَضُ الثالثُ -وهو ما سوىٰ الإفادةِ ولازِمِها- هو التَّعبيرُ عن شُعورٍ لَدىٰ المتكلِّمِ، مِن غَضَبٍ، أو تَوبيخٍ، أو تَقْريعٍ، أو إعجابٍ، أو استرحامٍ، أو فَرَحٍ، أو حُزْنٍ، أو تحسُّرٍ، أو شَماتةٍ.

(٤) وهي قراءة الكسائي، انظر: التيسير، للداني (ص ٣٤٥)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٦٠٠).

(٥) تقدم تخريج هذه القراءة.

خبرٌ لما سِواهما: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قُرِئَتْ بتاءِ المخاطَبِ، وغرضُ مُوسىٰ عليه السلام علىٰ هذه القِراءة تَوبيخُ فرعونَ، لا الإفادةُ، ولا لازِمُها.

إنشاءٌ لِلإفادةِ: ﴿لَا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ [طه:٥٨]، قُرِئَتْ بالجزْمِ(١)، والغَرضُ: الإفادةُ بضَرورةِ الالتزامِ التامِّ بالموعِدِ.

إنشاءٌ لِلازمِ الإفادةِ: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٩]، والاستفهامُ هنا ليس علىٰ حقيقتِه؛ ولكنْ لقصدِ إعلامِهم بأنه عَرَفَهم(٢).

إنشاءٌ لما سِواهما: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [المؤمنون:٨٢](٣)، قُرِئَتْ بالاستفهامِ، وليسَ المرادُ الجوابَ علىٰ السؤالِ، ولكنِ التعجبُ، أو الإنكارُ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السادسةُ

الأَصْلُ في المركَّبِ خُلُوُّه مِن المؤكِّداتِ، فلا يُؤتَىٰ بها إلا إذا اقتَضَىٰ المقامُ(٤).

ولهذه القاعدةِ شواهِدُ في كتابِ اللهِ تعالىٰ، منها:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:١٠٢]، قُرِئَتا

(١) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٦٨)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٢٠).

(٢) لم يحضرني حتىٰ ساعةِ كتابةِ البحثِ آيةٌ قُرِئت بوجهين، أحدُهما: إنشاءٌ لِلازمِ فائدة؛ فاحتجت إلىٰ هذه الآية المباركة.

(٣) وغيرها.

(٤) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٤٧).

بالتخفيفِ علىٰ الأصلِ(١)؛ فتكونُ كلمةُ ﴿لَٰكِنْ﴾ حرفَ عطفٍ، يُفيد الاستدراكَ، وقُرِئَتا بالتثقيلِ؛ فتكونُ كلمةُ ﴿لَّٰكِنَّ﴾ حرفَ نصبٍ، وتوكيدٍ، واستدراكٍ.

وكذلك قولُه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ [هود:٤٦](٢)، قُرِئتْ بالتخفيفِ علىٰ الأَصْلِ، وقُرِئَتْ بالتثقيلِ توكيدًا.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنْ غَضِبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [النور:٩]، قُرِئَ بتَخفِيفِ النونِ تَفسِيريَّةً(٣)، وقُرِئَ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ بتَثقِيلِ النُّونِ التوكيديَّةِ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السابعةُ

الأَصْلُ في الجُمْلةِ الإطلاقُ، فإذا قُيِّدَتْ فَلِغَرَضٍ.

والقيودُ أنواعٌ، منها القيدُ بالبدَليَّةِ، ومسوِّغُ القيدِ بالبدلِ في الآية زيادةُ التقريرِ والإيضاحِ(٤).

وشاهد هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيةُ التاليةُ: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ﴾ [إبراهيم:١-٢].

---

(١) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٣٠)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

(٢) تقدم توثيق هذه القراءة، ص ١٥.

(٣) لأنها دخلت علىٰ فعل، أو مخففةً مِن الثقيلة، ويُقدَّر ضميرُ الشأنِ اسمًا لها، وهي قراءة نافع ويعقوب، إلا أن نافعًا يقرأ: ﴿غَضِبَ﴾، ويعقوب يخفف الثقيلةَ؛ فيقرأ: ﴿غَضَبُ﴾، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٦٦٨)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٨٧).

(٤) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ١٤٨).

قُرِئتْ بالخفضِ في لفظِ اسمِ اللهِ الأعظمِ ﴿ٱللَّهِ﴾، بدلًا من ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(١).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثامنةُ

الأصلُ في المخاطَبِ خُلُوُّ ذِهْنِه مِن الخَبَرِ الملقَىٰ إليهِ، فإذا كانَ كذلِك؛ لم يُؤَكَّدِ الخِطابُ بأيِّ نَوعٍ مِن أَنواعِ المؤَكِّداتِ؛ لِعَدَمِ الحاجَةِ إِلَيه(٢).

وشواهِدُ هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ كثيرةٌ، منها ما سيُذكَرُ في القاعِدَةِ التاليةِ:

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ التاسعةُ

مؤكِّداتُ الكلامِ كَثِيرةٌ، منها: إنَّ، ولكنَّ، ولامُ الابتداءِ، والقَسَمُ، والحُروفُ الزَّائدةُ، واسمِيَّةُ الجُمْلَةِ(٣)، والخبرُ المرادُ به الإنشاءُ(٤)، وضَمِيرُ الفَصْلِ(٥).

وشواهدُ هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ:

﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾ [النور:٩]، قُرِئَتْ في وجهٍ: بتثقيلِ النونِ للتوكيدِ.

﴿لَتَزُولُ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[إبراهيم:٤٦]، قُرِئَتْ في وَجهٍ بفتحِ لامِ الابتداءِ المفيدةِ للتوكيدِ(٦).

---

(١) انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٢٣١)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٥٢٧).

(٢) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٥٧).

(٣) لا يحضرني مثال عليها.

(٤) هذا المؤكِّد أضفته من عندي.

(٥) انظر: حلية اللبب المصون، للدمنهوري (ص ٤٢).

(٦) وهي قراءة الكسائي، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (٢/ ٦٩٩)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٣٥).

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١] ، قُرِئت في وَجهٍ بلامِ القسمِ(١).

﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٩] (٢)، قُرِئت ﴿غَيۡرُهُۥ﴾ بالرفعِ في وَجهٍ؛ إشارةً إلىٰ زِيادةِ حَرْفِ ﴿مِنۡ﴾ المفيدِ توكيدَ نَفْيِ الجِنسِ.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٦] ، قُرِئَتْ في وجهٍ برفعِ لفظِ الجلالةِ، ولفظِ ﴿رَبُّكُمۡ﴾، ولفظ ﴿رَبُّ﴾(٣).

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾، قُرِئَتْ ﴿لَا تُضَآرُّ﴾ بالرفعِ في وَجهٍ(٤)؛ علىٰ الإخبارِ، والمرادُ الإنشاءُ، وهذا نوعٌ من المؤكدات(٥).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد:٢٤] ، قُرِئَتْ في وَجهٍ بزيادةِ ضميرِ الفصلِ المفيدِ للتوكيدِ.

❁ ❁ ❁

(١) وهي قراءة ابن كثير بخلف عن البزي، انظر: التيسير، للداني (ص ٥٠٢)، والكشف، لمكي بن أبي طالب (٢/ ٣٤٩)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٨٢).

(٢) وغيرها.

(٣) وهي قراءة المدنيين وابن كثير والبصريين وابن عامر وشعبة، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٤٠٠)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٧٥٤).

(٤) تقدم تخريج هذه القراءة، ص ١٨.

(٥) لأن الخبرَ لا يكونُ إلا عن واقعٍ، فكأنَّ عدمَ المضارَّةِ أمرٌ واقعٌ مسلَّمٌ به، بخلافِ النهيِ عن إيقاعِ المضارَّةِ، فقد يمتثِلُ المخاطبُ النهيَ، وقد لا يمتثِلُه.

القاعِدَةُ العاشرةُ

الأَصْلُ في الكَلامِ حَمْلُه عَلىٰ ما وُضِعَ له، إلا لِقَرِينةٍ وعَلاقةٍ تَصرِفانِه عنه(١).

أي: حَمْلُه علىٰ ظاهِرِه، دُونَ تأويلٍ.

وشاهِدُ هذه القاعِدةِ:

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران:١٨١]، قُرِئَتْ بنونِ العظمة، أي: إن اللهَ هو الذي سيَكتُبُ بيدِه ما قالوا.

هذا هو الظاهرُ، وجازَ لنا تأويلُه، أي حملُه علىٰ غيرِ ظاهِرِه، بأن يكونَ الكَتَبةُ هم الملائكةَ؛ **لقَرِينتَين:**

الأولىٰ: القراءةُ الثانيةُ: ﴿سَيُكْتَبُ مَا قَالُوا﴾ بالبناءِ للمفعولِ(٢).

الثانيةُ: قولُه ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الإنفطار:١٠-١١].

والعَلاقةُ بين الظاهرِ والمؤوَّل: السببيةُ، أي: إنَّه لما كانَ اللهُ ﷻ هو الآمِرَ للملائكةِ بالكتابةِ؛ صحَّ إسنادُ فعلِ الكتابةِ إليه(٣).

ومن شواهِدِ هذه القاعِدةِ أيضًا:

﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ [الصافات:١٢]، قُرِئَتْ بإسنادِ الفعلِ إلىٰ ضميرِ المتكلِّمِ العائدِ إلىٰ الله ﷻ(٤).

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي (ص ٣٦٥)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٢٥١).

(٢) وهي قراءة حمزة، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٥٨)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٤٥).

(٣) علىٰ أن هذا التأويلَ لا ينفي صفةَ الكتابةِ عن اللهِ تعالىٰ، فقد ثَبَتَتْ صِفةُ الكتابةِ للهِ تعالىٰ بأدلةٍ أُخرَىٰ، ومن ذلك أنه سبحانه كَتَب التوراةَ بيدِه. رواه مسلم برقم (٢٦٥٢).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٣٩٨)، وغاية الاختصار،

والأصلُ حملُ الكلامِ علىٰ ظاهرِه، إلا لقرينةٍ وعَلاقةٍ تَصرِفانِه عن ظاهرِه، ولا قرينةَ ولا عَلاقةَ تُزَحْزِحانِ هذا الكلامَ المباركَ عن ظاهرِه، وعليه فإسنادُ الفعلِ إلىٰ الله إسنادٌ حقيقيٌّ(١).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الحاديةَ عشرةَ

الألْفاظُ الوَارِدةُ في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ؛ تُستَعملُ في مَعانِيها الشَّرْعيَّةِ حقيقةً، وفي مَعانِيها اللُّغَوِيةِ مَجازًا(٢).

فمثلًا: الصلاةُ، والزكاةُ، والصيامُ، والحجُّ، والإيمانُ، والإسلامُ؛ كلها ألفاظٌ لها معانٍ لغويةٌ، أي معانٍ تعرِفُها العربُ مِن لُغتِها، ومعانٍ شَرْعِيةٌ، أي معانٍ جديدةٌ مبنيَّةٌ علىٰ المعنىٰ اللُّغَويِّ وتَزيدُ عليه.

فالإيمانُ -مثلًا- معناه اللغويُّ: التَّصديقُ، بينَما في الشَّرْعِ: قَولٌ، وعَمَلٌ، واعتِقادٌ.

فإذا وَردَ ذِكْرُ الإيمان في القرآنِ الكريمِ؛ فمعناه حقيقةً: القولُ، والعملُ، والاعتقادُ. ومعناه المجازيُّ: التصديقُ. ولا يُحملُ علىٰ المعنىٰ المجازيِّ إلا لِقَرِينةٍ وعَلاقةٍ(٣).

لأبي العلاء (٢/ ٦٣٤).

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (١٩/ ٥١٤)، ومعالم التنزيل، للبغوي (٧/ ٣٦).

(٢) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (١٩٩)، والمراد بقولي «مجازًا»: مجازٌ شرعيٌّ، أي: عند الفقهاء، فالصلاة المعروفة حقيقة شرعية، وبمعنىٰ الدعاء مجاز عندهم، ولكن لا تحمل عليه إلا لقرينة وعلاقة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

(٣) انظر: التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول، للإسنوي (ص ٢٠١).

والشاهدُ علىٰ ذلك قولُه تعالىٰ:

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ [التوبة:١٢]، قُرِئَتْ: ﴿لَآ إِيمَٰنَ لَهُمۡ﴾(١)، بنفيِ جنسِ الإيمانِ المستفادِ مِن دخولِ «لا» التي لنفْيِ الجنس علىٰ المفردِ(٢)، ولما كانَ هؤلاءِ الكَفَرةُ مُصدِّقين بالله، ويَستغفِرُونه، ويُقِرُّون ببعضِ رُبُوبيَّته، ويُعظِّمُون حَرَمَه وشعائرَه، وهذا نوعٌ مِن الإيمانِ؛ عُلِمَ أنَّ المنفِيَّ هو الإيمانُ بِمعناهُ الحقيقيِّ الشَّرْعيِّ، لا المجازيِّ اللُّغَويِّ(٣)، وعُلِمَ صِحةُ القاعدةِ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثانيةَ عشرةَ

الكَلامُ إِمَّا حَقِيقةٌ، وإِمَّا مَجازٌ، وكُلٌّ مِنهما إِما خَبَرٌ، وإِما إِنْشاءٌ.

أما الحقِيقيُّ؛ فهُو: ما أُرِيدَ ظاهِرُهُ، ويأتي خبرًا، ويأتي إنشاءً.

وأما المجازِيُّ: ما أُرِيدَ غيرُ ظاهِرِه، ويأتي خبرًا، ويأتي إنشاءً أيضًا.

فهذه أربعةٌ بمقتضىٰ القسمة العقلية، وإليك الشواهد مِن كتاب الله تعالىٰ:

الأول: المركَّبُ الخبريُّ الحقيقيُّ: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ [القلم:١٤]، أي: فَعَلَ كلَّ ذلك؛ لأنه كانَ مُتَمَوِّلًا كثيرَ الأولادِ.

وكذلك: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، علىٰ قِراءةِ فتحِ

(١) وهي قراءة ابن عامر، انظر: التيسير، للداني (ص ٣٠٢)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٧٨).

(٢) كما سيأتي في القاعدة الثالثة والثلاثين.

(٣) وبهذا يظهر بطلان تعريف الإيمان بمجرَّدِ التصديق.

الخاءِ[1] فِعْلاً ماضِيًا.

الثاني: المركَّبُ الخبريُّ المجازِيُّ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، علىٰ قراءة رفعِ الفِعلِ علىٰ الإخبارِ[2]، وهو مَجازٌ، والحقيقةُ النهيُ.

الثالث: المركَّبُ الإنشائيُّ الحقيقيُّ: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [غافر:٤٦]، علىٰ قراءة النداءِ[3]، وهو إنشاءٌ حقيقيٌّ، أي: نداءٌ علىٰ حقيقتِهِ.

الرابع: المركَّبُ الإنشائيُّ المجازيُّ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، علىٰ قراءةِ كسرِ الخاءِ، فعلَ أمرٍ، وليس المرادُ حقيقته المفيدة للوجوب، والقرينةُ الصارِفةُ: شرعيةٌ[4]، والعَلاقةُ: الآمِريةُ[5].

❁ ❁ ❁

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (١/ ٥٣١)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٣٥٥).

(٢) و(لا) نافية، وسكون لام الفعل عارض، والفعل مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها اشتغال الحرف بعلامة المناسبة، وهي: «الوصل بنية الوقف»، ولم أقف علىٰ توجيهٍ لهذه القراءة، ولكن دَلَّ عليها ثبات الألف، ولو كان الفعل مجزومًا لقيل: لا يُضَرْ، وهذه القراءة لأبي جعفر، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (٤/ ١٢٩)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢٧).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٤١٩)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٦٥).

(٤) أي: إن السنة دلت علىٰ استحباب الصلاة خلفه لطواف القدوم، فالصارفُ شرعيٌّ.

(٥) أي: إنه لما كانت الصلاة خلف المقام مطلوبة شرعًا -ولو استحبابًا- ساغ استعمال فعل الأمر لها.

القاعِدَةُ الثالثةَ عشرةَ

المجازُ قد يَكُونُ عَقْليًّا، وقد يَكُونُ لُغَويًّا، وقد يَكُونُ تَرْكِيبِيًّا(١).

ويأتي بيانُه -علىٰ الترتيبِ- فيما يلي من القواعدِ(٢).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الرابعةَ عشرةَ

المجازُ العَقْليُّ قائِمٌ علىٰ نِسْبةِ شَيْءٍ إلىٰ شَيْءٍ، وهذه النسبة قدْ تَكونُ نِسْبةً إِسْناديَّةً، وقدْ تَكونُ نِسْبةً إِضافيَّةً، وقدْ تكونُ نِسْبةً إِيقاعِيَّةً، وقدْ تَكونُ نِسْبةً وَصْفيَّةً(٣).

وإليك البيان:

النِّسبةُ الإسناديَّةُ: إسنادُ الفِعلِ أو شِبْهِ الفعلِ إلىٰ غيرِ ما هو له، ويأتي بيانُه في القاعدةِ التاليةِ.

النِّسبةُ الإضافِيَّةُ: إضافةُ المصدَرِ إلىٰ معمولِه(٤)، نحو: ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل:٧]، علىٰ قراءةِ الفَتْحِ(٥)، أيْ: إلا بما تَشُقُّه الأنفُسُ، والأصلُ: إلا بشَقِّ السَّفَرِ للأنفُسِ(٦).

---

(١) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٢٥١).

(٢) وهي القواعدُ الرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة، والسابعة عشرة.

(٣) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٢٥٥).

(٤) انظر: حلية اللب المصون، للدمنهوري (ص ٤٥)، ومعمولُه هنا: فاعلُه.

(٥) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٢٤٤)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٣٩).

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٥٩٤)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٦/ ٥٠٨).

وكذلك: ﴿بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات:٦]، علىٰ قراءة الإضافة(١)، أي: بما تُزَيِّنُه الكواكِبُ، والأصْل: بزِينَتِنا للسماءِ بالكواكبِ.

النِّسبةُ الإيقاعِيَّةُ: وهِيَ إيقاعُ الفِعلِ عَلىٰ غَيرِ ما حَقُّه أنْ يُوقَعَ عَلَيهِ(٢)، نحوُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء:٢٥].

قُرِئَ: ﴿ٱلْمُحْصِنَٰتِ﴾ بالكسر(٣)، أي: الـمُحصِناتِ أَزواجَهن، وهذا مجازٌ عقليٌّ بالنسبة الإيقاعيةِ، علىٰ اعتبار أن الحقيقةَ: الـمحصِناتِ أنفسَهن بالأزواجِ(٤).

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

قرئ: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾، بالنصب، أي: واتقوا الأرحامَ، وهذا مجازٌ عقليٌّ بالنسبة الإيقاعيةِ، والحقيقةُ: واتقوا اللهَ في الأَرْحامِ(٥).

النِّسبةُ الوَصْفِيَّةُ: وهي وَصْفُ الشَّيءِ بصِفةِ مَن أَوْجَدَه، نحو: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١]، علىٰ قراءة الرَّفْعِ والتَّنْوِينِ في كَلِمَةِ ﴿عَلِيٌّ﴾، والـمعنىٰ: هذا صِراطٌ مُستقِيمٌ، عَلِيٌّ مَنْ أَوجَدَه(٦).

---

(١) وهي قراءة العشر عدا عاصمًا وحمزة، انظر: التيسير، للداني (ص ٤٣١)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٥٦).

(٢) حلية اللبب المصون، للدمنهوري (ص ٤٥).

(٣) وهي قراءة الكسائي، انظر: الإرشاد (٢/ ٥٩٦)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٤٢٤).

(٤) وهذا التقدير أقرب؛ لأن السياق في وَصْفِ المنكوحة، ووصفُها بالعِفَّةِ أولىٰ مِنْ وَصْفِها بإعفافِ الزَّوج، وعلىٰ التقدير الآخر: المحصِناتِ أزواجَهن، لا مجازَ.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣٤٧).

(٦) ولا أعرف أحدًا قال به، ومثلُه: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، أي: مَن قالَه، وأَحكمَه، وأَنزَلَه، وانظر: الإيضاح، للقزويني (١/ ١٢٧)، والمطول لسعد الدين، التفتازاني (ص ٥٨).

القاعِدَةُ الخامسةَ عشرةَ

إذا أُسنِدَ الفِعلُ، أَوْ شِبهُهُ إِلَىٰ غَيرِ ما هُو لَه؛ فهُو إِسنادٌ مَجازِيٌّ[1]، ويُسَمَّىٰ مَجازًا عَقْلِيًّا.

ومفهوم القاعدة أنه إذا أُسنِدَ الفعلُ، أو شِبْهُه إلىٰ ما هو له؛ فهو إسنادٌ حقيقيٌّ.

وحينئذٍ يكون مُقتضَىٰ القاعدةِ ومفهومُها: أن الجملةَ الفعليةَ، وشِبْهَها أربعةُ أَقْسامٍ، **فخُذْ بيانَها:**

إسنادُ الفعلِ إلىٰ ما هو له: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤] علىٰ قراءةِ النصبِ، أي الوصلُ الذي كانَ بينكم.

إسنادُ الفعلِ إلىٰ غيرِ ما هو له: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾، علىٰ قراءةِ الرفع[2]؛ لأن البَينَ مَحَلٌّ للتقطيعِ.

إسنادُ شبهِ الفِعْلِ إلىٰ ما هو له: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥]. قُرِنَتْ بإضافةِ ﴿قَلْبِ﴾ إلىٰ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، و﴿جَبَّارٍ﴾ صِفةٌ، شِبهُ فِعلٍ[3] لـ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، وعليه فالضميرُ المسندُ إليه، المستترُ المرفوعُ بـ ﴿جَبَّارٍ﴾؛ عائدٌ علىٰ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، وهو إسنادٌ حقيقيٌّ.

---

(١) انظر: الجواهر، للهاشمي (ص ٢٥٥).

(٢) وهي قراءة العشرة عدا المدنيين وحفصًا والكسائي، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٤٦٧)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٦٠).

(٣) وهو من الصيغ المحوَّلة عن اسم الفاعل. انظر: شذا العرف، لأحمد الحملاوي (ص ١٢١).

إسنادُ شِبْهِ الفعلِ إلىٰ غيرِ ما هو له: قِراءةُ القطع عن الإضافةِ في الآية السابقةِ(١)؛ فيكونُ ﴿جَبَّارٍ﴾؛ صفةً ثانيةً لـ﴿قَلْبٍ﴾، وعليه فالضميرُ المسندُ إليه، المستترُ المرفوعُ بـ﴿جَبَّارٍ﴾، عائدٌ علىٰ ﴿قَلْبٍ﴾، وهو إسنادٌ مجازيٌّ؛ إذِ الجبَّارُ: صاحبُ القلبِ، لا القَلبُ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السادسةَ عشرةَ

المجازُ اللُّغَوِيُّ هو: استِعمالُ كَلِمةٍ في غَيرِ ما وُضِعَتْ له، ويَنقَسِمُ إلىٰ قِسْمَينِ: مجازٌ مُفرَدٌ مُرسَلٌ، ومَجازٌ مُفرَدٌ بالاستِعارَةِ(٢).

أما المجازُ المفرَدُ المرسَلُ، فهو: لَفْظٌ مُفرَدٌ، استُعمِلَ في غير معناهُ الأصليِّ؛ لملاحظةِ عَلاقةٍ مرسَلةٍ(٣)، مع قرينةٍ دالَّةٍ علىٰ عدمِ إرادةِ المعنَىٰ الأصليِّ(٤).

ومن شواهِدِ هذا النَّوعِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، قُرِئَتْ: ﴿حُسْنًا﴾، بضمٍ فسكونٍ، واللفظُ المجازُ في الآيةِ: (حُسْنًا)، والاستعمالُ الحقيقيُّ: وقولوا للناسِ أيَّ كلامٍ يكونُ مُؤَدَّاهُ الحُسنُ.

والقرينةُ: لغويةٌ؛ إذْ الحُسنُ مَصْدرٌ، والأصلُ في المصدرِ أن لا يُوصَفُ به، ولا

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر بخلف عنه، انظر: التيسير، للداني (ص ٤٤٣)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٦٥).

(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي (ص ٣٦٢).

(٣) أي: مطلقةٍ غير مقيدةٍ بالمشابَهةِ.

(٤) انظر: حلية اللب المصون للدمنهوري (ص ١٤٨).

يُخبرُ به، والعَلاقةُ: اللُّزُوميَّةُ، أي: إنَّ الحُسْنَ مِنْ لوازِمِ حُبِّ الخَيرِ للنَّاسِ.

وأما المجازُ المفرَدُ بالاستِعارةِ، فهو: لفظٌ مفرد، استُعمِلَ في غيرِ معناهُ الأَصْليِّ؛ لملاحظةِ عَلاقةِ مشابَهةٍ، مع قرينةٍ دالةٍ على عدمِ إرادة المعنىٰ الأصلي(١).

ومِن شواهِدِ هذِه القاعِدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيةُ التاليةُ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص:١٥]، قُرِئَ ﴿فَوَاقٍ﴾ بفتحِ الفاء، و﴿فُوَاقٍ﴾ بضمِّها(٢).

أما الفَواقُ بالفتح؛ فبِمعنَىٰ الإفاقةِ والاستراحةِ(٣)، من الفعلِ أفاقَ، كالجَوابِ بمعنىٰ الإجابةِ مِن الفعل أَجابَ، قالَه مؤرِّجُ السَّدوسيُّ(٤)، والفرَّاءُ(٥)، ومن

---

(١) انظر: حلية اللب المصون للدمنهوري (ص ١٤٩). ومتىٰ صُرِّحَ بالمشبه به؛ فالاستعارةُ تصريحية، وضابطُ المجازِ المفردِ بالاستعارة: تشبيهٌ حُذِفَ منه أحدُ طَرفَيه (المشبهُ، أو المشبهُ به)، وأداةُ الشبَهِ، ووجهُ الشبَهِ، ولا بُدَّ مِن تناسِي التشبيهِ مِن أصله. نحو: (رأيت أسدًا يحمل سيفًا).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٤٠٣)، وغاية الاختصار (٢/ ٦٣٧).

(٣) تقول العرب: ما أقام عندي فُواقَ ناقةٍ، وبعضٌ يقول: فَوَاق ناقة، بمعنىٰ: الإفاقة. كإفاقةِ المغْشِيِّ عليه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (فوق) (١٠/ ٣١٦).

(٤) أبو فَيد النحوي البصري، أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروىٰ الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما، وله عدة تصانيف، منها كتاب الأنواء وكتاب غريب القرآن وغيرهما، توفي سنة ١٩٥ هـ، انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٥/ ٣٠٤).

(٥) أبو زكريا يحيىٰ بنُ زيادِ بنُ عبدِ اللهِ الأسلميُّ المعروفُ بالفَرَّاءِ، أبرَعُ الكوفيِّين وأعلمُهم بالنحوِ، صنَّفَ معانيَ القرآنِ ومُشْكِلَ اللغةِ وغيرَهما، تُوفِّيَ سنةَ ٢٠٧ هـ، انظرْ: إنباهَ الرواةِ، للقفطي (٤/ ٧)، ووفياتِ الأعيانِ، لابن خلكان (٦/ ١٧٦).

المفسرين ابنُ زيدٍ(١) والسُّدِّيُّ(٢)(٣).

وأمَّا الفُواقُ بالضمِّ فبمعنىٰ: الزمنِ الذي بينَ حَلْبَتَي حالِبِ الناقةِ، ورَضْعَتَيْ رَضِيعِها(٤).

وعلىٰ قراءةِ الضمِّ يكونُ في الآيةِ مجازٌ مفردٌ بالاستعارةِ؛ حيثُ استُعيرَتْ كلمةُ ﴿فُوَاقٍ﴾؛ لتشبيهِ قِصَرِ الزَّمَنِ بعدَ النفخةِ بقِصَرِ زمنِ الفُواقِ، والقرينةُ الصارفةُ: حاليةٌ(٥)، والعَلاقةُ: المشابَهةُ.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج:٣٩]، قُرِئَتْ ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بالبناءِ للمفعولِ. استُعِيرَتْ المقاتلةُ؛ لتشبيهِ شِدَّةِ الأَذىٰ بالقتلِ، كقولِك: قَتَلْتُه ضَرْبًا، والقرينةُ الصارفةُ: حاليةٌ؛ إذِ الخطابُ لمن وَقَع عليهم الأَذىٰ، والعَلاقةُ: المشابَهةُ.

❁ ❁ ❁

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري، صاحب قرآن وتفسير، له تفسير في مجلد، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، حدث عن أبيه وابن المنكدر، روىٰ عنه هشام بن عمار وقتيبة وغيرهما، توفي سنة ١٨٢ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ٣٤٩)، وطبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٧١).

(٢) هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي الكوفي، الإمام المفسر، روىٰ عن ابن عباس وأنس وغيرهما، روىٰ عنه أبو عوانة والثوري وغيرهما، توفي سنة ١٢٧ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/ ٢٦٥)، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (٩/ ٨٥).

(٣) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٩/ ٣٤٦).

(٤) انظر: المفردات، للراغب (ص ٦٤٩).

(٥) ومعنىٰ الحالِيَّةِ: أنَّ حالَ الناسِ في تلك الساعة ليس حالَ حَلْبِ ناقةٍ أو عَنْز.

القاعِدَةُ السابعةَ عشرةَ

المجَازُ التَرْكِيبِيُّ هُو: استِعمالُ جُمْلةٍ لا يُرادُ ظاهِرُها، وينقَسِمُ إلىٰ مَجازٍ مُركَّبٍ مُرسَلٍ، ومَجازٍ مُرَكَّبٍ بالِاستِعارَةِ.

أمَّا المجازُ المرَكَّبُ المرْسَلُ فهُو: جملةٌ استُعمِلَتْ في غَيرِ المعنَىٰ الذِي وُضِعَتْ لَه؛ لَعَلاقَةٍ مُرسَلَةٍ، مَعَ قَرِينةٍ مانِعةٍ مِن المعنَىٰ الأَصْلِيِّ(١).

ويَكُونُ في الجملةِ الخبريةِ، ويَكونُ في الجملةِ الإنشائيةِ، **وإليكَ الأمثلةَ.**

مَجازٌ مُرَكَّبٌ مُرسَلٌ خَبَرِيٌّ: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]، قُرِئَتْ برَفْعِ الفعلِ المضارعِ(٢)؛ إخبارًا عن عدَمِ وجودِ المضارة، مجازًا، وحقيقتُها: النهيُ عنِ المضارَّةِ، أو نقول: جملةٌ خبريةٌ مؤوَّلةٌ بالإنشائية، أو خَبرٌ أُرِيدَ به النَّهْيُ.

مثالٌ آخَرُ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾، قُرِئَتْ: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾، بفَتحِ التاءِ، بالبناءِ للمَفعُولِ، وهي جملةٌ خَبَريةٌ تفيدُ الحالَ، والاستقبالَ، وليس هذا مرادًا، بل المرادُ: إفادةُ الماضي، أي: أُذن للذين قُوتِلُوا.. وإذا جِيء بالمضارعِ والمرادُ الماضي؛ فهذا مجازٌ تركيبيٌّ خبريٌّ، والقرينةُ هنا: حالِيَّةٌ(٣)، والعَلاقةُ: الاستمراريَّةُ.

وعلىٰ قراءةِ ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾؛ بالبناءِ للمعلومِ(٤)؛ في الآيةِ مجازٌ مرسلٌ مركبٌ

---

(١) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٢٧٤).

(٢) تقدم ذكرها ومن قرأ بها، ص١٨.

(٣) أي: حالُهم وقت نزول الآية؛ كان كذلك.

(٤) وهي قراءة العشرة عدا المدنيين وابن عامر وحفصًا، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٧٩)، =

أيضًا، وهو: استعمال المضارع للاستقبال دون الحال، أي: أُذِن للذين يَوَدُّون أن يُقاتِلُوا مَن آذاهم.. والقَرينةُ هنا أيضًا: حاليَّةٌ(١)، والعَلاقَةُ: المستقبَلِيَّةُ.

مَجازٌ مُرَكَّبٌ مُرسَلٌ إنْشائِيٌّ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، قُرِئت: بكَسْرِ الخاءِ؛ فِعلَ أمرٍ، وحقيقةُ الأمرِ: الطلبُ علىٰ وجهِ الإلزامِ(٢)، وليسَ مرادًا هنا، بل المرادُ: الطلبُ علىٰ وجهِ الاستحبابِ؛ فالجملةُ ليستْ علىٰ ظاهرِها، بل هي مؤوَّلةٌ، وهي مجازٌ مركَّبٌ مرسلٌ إنشائيٌّ، والقرينةُ: شرعيةٌ(٣)، العَلاقةُ: الآمِريَّةُ.

وكذلك قولُه تعالىٰ: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ [الصافات:١٥٣]، قُرِئتْ بالاستِفهامِ، وحَقيقةُ الاستفهامِ: طلبُ الإفهامِ، أو الإجابةُ علىٰ السُّؤال، وليسَ هذا مرادًا في الآية، بل المرادُ: الاستفهامُ علىٰ وجهِ الإنكارِ، فالتَّركيبُ هنا مجازيٌّ إنشائيٌّ، والقرينة: حاليةٌ(٤)، والعلاقةُ: الاستفهاميةُ.

وأمَّا المجازُ المرَكَّبُ بالإستِعارَةِ؛ فهُو: جُملةٌ استُعمِلَتْ في غَيرِ المعنَىٰ الذِي وُضِعَتْ لَه؛ لِعَلاقَةِ المشابهةِ، مَعَ قَرينةٍ مانِعةٍ مِن المعنَىٰ الأَصْلِيِّ، ويُسمِّيْهِ البَيانِيُّون: الاستعارةَ التمثيليةَ(٥)، والعَلاقةُ: المشابَهةُ دائمًا، والقرينةُ: حاليةٌ دائمًا، وضابطُ الاستعارةِ التمثيليةِ: جميعُ الأمثالِ السائرةِ نثرًا، ونظمًا.

= والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٢٦).

(١) لأن حالَهم وقتَ نُزُول الآية أنهم لم يَبْدَؤوا القِتالَ بَعْدُ؛ فحُمِلَ المضارعُ علىٰ معنىٰ الاستقبالِ.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ [النور:٦٣]. وانظر: الأصول من علم الأصول، لمحمد العثيمين (ص ٢٤).

(٣) تقدم بيانها، ص: ٢٦.

(٤) أي: والحال أن الله يعلم أنه لم يصطفِ البناتِ علىٰ البنين.

(٥) انظر: البلاغة الواضحة، لعلي الجارم (ص ٩٨).

ولا أجِدُ لها مِثالًا في كتابِ اللهِ تعالىٰ، في حُدودِ بَحْثِيَ المتعلِّقِ باستخراجِ القواعِدِ البَلاغِيةِ مِن القِراءاتِ القُرآنيةِ(١).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثامنةَ عشرةَ

الأَصْلُ في المُسنَدِ إليه ذِكْرُه، فإذا حُذِفَ؛ فلِغَرَضٍ(٢).

وشاهِدُ هذِه القاعدة في كتاب الله تعالىٰ: الآيةُ القرآنيةُ التاليةُ:

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ [يونس:٨٩]، قُرِئَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ بتخفيف النونِ(٣)؛ علامةَ رفعٍ للفِعلِ، والتقديرُ: وأنتُما لا تتَّبِعانِ سبيلَ الذين لا يَعلَمُون.

وحُذِفَ المسندُ إليه ليحتمِلَ التركيبُ طلبَ الكفِّ ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾، وهذا مِن أَبْرزِ صُوَرِ إعجازِ القِراءاتِ القرآنيةِ.

❁ ❁ ❁

القاعدةُ التاسعةَ عشرةَ

يُحذَفُ المُسنَدُ إليهَ لِأَغْراضٍ، مِنْها: الحَذَرُ مِن الإِقْرارِ(٤).

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧].

---

(١) أعني: مما يُمكن أن يَحْكِيَه الله ﷻ في كتابه العزيز عن غَيرِه في قَصَصِهم، أما أن تكون الاستعارةُ التمثيليةُ منسوبةً إلىٰ الله ومِنْ قَولِه؛ فاللهُ منزَّهٌ عن ذلك.

(٢) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (٩٥).

(٣) وهي قراءة ابن عامر بخلف عن هشام، انظر: التيسير، للداني (ص ٣١١)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٨٦).

(٤) ويعبر عنه البلاغيون بإمكانِ الجحود، انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٤)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٩٦).

قُرِئَ: ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾(١)، برفعِ لفظِ الجلالة خبرًا للمسنَدِ إليه المحذوفِ، والتقديرُ: رَبُّ السَّمَواتِ ورَبُّ العَرْشِ العَظيمِ؛ اللهُ.

فلو ذَكَروا المسندَ إليه في جَوابِهم؛ لكانَ ذلك إقرارًا تامًّا بربوبيةِ اللهِ، لِمَا في تعريفِ المُبتدأ والخبرِ مِن إفادةِ الحصرِ، وهم لم يكونوا كذلك؛ فحَذَفوا لِيَقتَصِرُوا علىٰ نَوعِ إقرارٍ بأنَّ السَّمَواتِ مُلكٌ للهِ، وهذا ثابتٌ عندَهم.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ العشرون

المُسْنَدُ إِلَيهِ في الجُمْلَةِ الِاسْمِيةِ لا يَكُونُ إلا مُعَرَّفًا أَوْ مُخَصَّصًا(٢).

لأنه محكومٌ عليه، ولا يُحكَمُ علىٰ مَجْهُولٍ.

وشاهِدُ هذه القاعدة في كتابِ الله ﷻ: العدمُ، أي: إنك لن تجِدَ المُسندَ إليه في كتابِ اللهِ تعالىٰ إلا مُعرَّفًا، أو مُخصَّصًا.

فإن أُورِد عليك نحوُ قولِه تعالىٰ: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠]، علىٰ قراءة ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بالرَّفْعِ مُسنَدًا إِلَيهِ، وهو نكرةٌ؛ فالجوابُ أنه مخصَّصٌ بوَصْفٍ مقدَّرٍ، أي: ظُلُماتٌ كَثِيرَةٌ، والمقدَّرُ في مَنزِلةِ وقُوَّةِ الملفُوظِ(٣).

وعلىٰ قِراءةِ الجرِّ: ﴿سَحَابٌ ظُلُمَٰتٍ﴾(٤)؛ يكونُ المسندُ إليه ﴿بَعْضُهَا﴾

---

(١) وهي قراءة البصريين، انظر: التيسير، للداني (ص ٣٨٧)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ٣١٦).

(٢) انظر: الإيضاح، للقزويني (٢/ ٩)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ١٠٨).

(٣) انظر: المشكاة الفتحيَّة علىٰ الشمعةِ المضيَّةِ، للدُّمياطي (ص ١٥).

(٤) وهي رواية البزي عن ابن كثير، انظر: التيسير، للداني (ص ٣٨٣)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٣٢).

معرَّفًا بالإضافةِ إلىٰ الضَّمِيرِ.

وإنْ أُورِدَ عليك قولُه تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٦-٣٧]، علىٰ قراءةِ ﴿يُسَبَّحُ﴾ بالبِناءِ للمفعولِ(١)، و﴿رِجَالٌ﴾ مسندٌ إليه نكرةٌ؛ فالجوابُ أنه مخصَّصٌ بالوَصْفِ بعدَه، وهو جملةُ ﴿لَا تُلْهِيهِمْ﴾.

❁ ❁ ❁

القاعِدةُ الحاديةُ والعشرون

يُعرَّفُ المُسنَدُ إِلَيهِ بِالمَوصُولِيَّةِ لأَغْراضٍ. مِنْها: التَّنْبيهُ عَلَىٰ خَطَأِ غَيرِ المخاطَبِ(٢).

وشاهِدُ هذه القاعدةِ في كتابِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:١٠٧].

قُرِئَتْ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بالقَطْعِ والاستِئنافِ(٣)، والاسمُ الموصولُ مُسندٌ إليه، وفي صِلتِه إشعارٌ بِخَطأِ الموصُولِ، ولو لم يُذكَرُ الخبرُ كما هو هنا.

❁ ❁ ❁

(١) وهي قراءة ابن عامر وشعبة، انظر: الإرشاد، لأبي الطيب (٢/ ٧٤٦)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٧٦٢).

(٢) انظر: الجواهر، للهاشمي (ص ١١٤).

(٣) وهي قراءة المدنيين وابن عامر، انظر: التيسير، للداني (ص ٣٠٥)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٨١).

القاعِدَةُ الثانيةُ والعشرون

يُنكَّرُ المسنَدُ إليهِ في سِياقِ الإثباتِ لِأَغْراضٍ. منها: التعظيمُ(١)، ومِنْها: التكثيرُ(٢).

وشاهِدُ هذه القاعدة في كتابِ الله ﷻ: قولُه تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [المؤمنون:٣٦-٣٧]، قُرِئَتْ بِبِناءِ الفِعلِ للفاعِلِ، والمسندُ إليه نكرةٌ في سياق الإثبات؛ لإفادة التعظيم، أي: رجالٌ عِظامٌ عندَ ربِّهم.

وقولُه تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ [الفرقان:٦١].

قُرِئَتْ ﴿سِرَٰجًا﴾ بالإفرادِ، وهو نكرة في سياق الإثبات؛ يفيد التعظيم، أي: سِراجًا عظيمًا.

و﴿سِرَٰجًا﴾ وإن كانتْ مفعولًا به إعرابًا، لكنَّها في حُكمِ المسنَدِ إليه؛ لأنَّ ﴿جَعَلَ﴾ إذا نَصَبَتْ مَفعولَينِ؛ فهما في الأصْلِ: مُبتدأٌ، وخَبَرٌ، وأصلُ الجملةِ: في السماءِ سراجٌ عظيمٌ، ونَظِيرُ هَذَا التنكيرِ المفيدِ للتعظيمِ فِي الشِّعْرِ:

لَه حاجِبٌ عنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُه(٣)

---

(١) انظر: الإيضاح، للقزويني (٢/ ١٢٨)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ١٣٥).

(٢) لم أجِدْ مَن ذَكَره، ولكنه معنًىٰ صحيحٌ.

ومنها الإطلاقُ، وله في كتاب الله شواهدُ، لكنها ليست علىٰ شرطي، نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

(٣) صدر بيت من الطويل لأبي الطَّمَحان مولىٰ ابن أبي السِّمط، تتمته:

وليس له عن طالبِ العُرفِ حاجبُ

انظر: ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري (١/ ٢٣)، والإيضاح، للقزويني (٢/ ٣٦).

وشاهِدُ التَّكْثيرِ مِن كتابِ اللهِ ﷻ: قولُه تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا﴾، بِالجَمعِ. أي: سُرُجًا كثيرة(١).

ويُمكِنُ الاستِشهادُ -أيضًا- بِقولِه تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ [المؤمنون:٣٦-٣٧] علىٰ تقديرِ: كثيرون.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثالثةُ والعشرون

نَفْيُ المسندِ إليه إذا كان جَمْعًا لا يُفِيدُ استِغْراقَ جِنْسِهِ.

فإذا قُلتَ: لا رِجالَ في الدارِ؛ تستطيعُ الاستثناءَ، فتقولُ: بل رجلان، أو: بل رجلٌ(٢).

وشاهِدُ هذه القاعدةِ في كِتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيَّةُ التاليةُ: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة:١٢].

قُرِئَ: ﴿لَآ أَيْمَـٰنَ﴾ بفتحِ الهمزةِ: جَمْعَ يَمينٍ، والمنفيُّ: الأَيمانُ المأْخوذةُ مِنهم في العُهودِ، لا جِنسُ اليَمينِ، وعليه فتستطيعُ أن تَقُولَ: إلا يَمِينًا لهم فيها مصلحةٌ، وهذِه أَشَدُّ في ذمِّ أَخلاقِ الكَفَرَةِ الفَجَرَةِ.

---

(١) وإن كان التكثير مستفادًا -أيضًا- مِن صِيغة جمع الكثرة «فُعُل»، ومِن شواهِدِ المسندِ إليه المنكَّرِ المفيدِ للكَثْرةِ: قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ [الشعراء:٤١] أي: كثيرًا، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر:٤]، أي: كثيرون، وقوله ﷺ: «هل فيها مِن أَوْرَقَ؟ قال: إن فيها لَوُرْقًا» أي: وُرْقًا كثيرة.

(٢) انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٨).

القاعِدَةُ الرابعةُ والعشرون

نَفْيُ المسنَدِ إليه إذا كان مَصْدرًا، أوِ اسمًا مُفْرَدًا؛ يُفِيدُ الِاستغراقَ(١).

فإذا قلتَ: لا صَبْرَ عِندَ فلانٍ؛ فقد نَفَيتَ عنه جِنسَ الصبرِ، وأصلَه، وإذا قلت: لا رجُلَ في الدارِ؛ فقد نَفَيتَ جِنسَه، ومِنْ ثَمَّ لَا تَستَطِيعُ الِاستِثناءَ.

وشاهِدُ هذه القاعدةِ في كِتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيَّةُ التاليةُ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾.

قُرِئَ: ﴿لَآ إِيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾(٢)، بكسرِ الهمزةِ، والمنفيُّ الإيمانُ، وهو مصدرٌ دَخَلَتْ عليه لا النافيةُ للجنس؛ فاستغرَقَت جَميعَ دَرجاتِه وشُعَبِه.

وبإعمالِ قاعِدَةِ: «الأَصْل في الكَلامِ: حَمْلُه عَلىٰ ما وُضِعَ له، إلا لِقَرِينةٍ وعَلاقةٍ تَصرِفانِه عنه»؛ فالأصلُ: نفيُ وُجودِ الإيمانِ(٣).

❁ ❁ ❁

(١) شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٨).

(٢) تقدم تخريج هذه القراءة ص ٢٥.

(٣) فإن قيل: إنهم يؤمنون بوجودِ الخالقِ الرازقِ؛ قلنا: المنفي في الآية جنسُ الإيمان الشرعي، وإيمانُهم هذا ليس شرعيًّا؛ إذِ المرادُ بالإيمانِ في لسانِ الشارعِ الحكيمِ: قَولٌ، واعتقادٌ، وعملٌ.

القاعِدَةُ الخامسةُ والعشرون

يُحذَفُ المسْنَدُ لِأغْراضٍ، منها: تَهْويلُه.

ويُشترَطُ ظُهُورُهُ بِدَلَالَةِ القَرائِنِ عَليه(١).

وشاهِدُ هذِه القاعِدَةِ قَولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

قُرِئَ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾(٢)، علىٰ القطعِ والاستئنافِ، والخبرُ محذوفٌ، تقديرُه: يُعذَّبُون(٣)، ودَلَّ عليه صلةُ الموصُولِ، فالمخاطَبُ يَستطيعُ الحُكمَ علىٰ الموصولِ بِمجرَّدِ سماعِ ما ذُكِرَ في الصِّلَةِ، وغرضُ الحذفِ: التهويلُ، والتفظيعُ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السادسةُ والعشرون

يُحْذَفُ المسْنَدُ لِأَغْراضٍ، مِنْها: الحَذَرُ مِن الإِقْرارِ(٤).

مثال ذلك: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧](٥).

---

(١) انظر: عقود الجمان، للسيوطي (ص ٣١)، جواهر البلاغة، للهاشمي (١٢٠).

(٢) وهي قراءة المدنيين وابن عامر، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٥١٨)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ١٨٢).

(٣) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، للمهدوي (٣/ ٣٠٤).

(٤) انظر: الجواهر، للهاشمي (ص ١٣٣).

(٥) مرَّ ذِكرُ هذه الآيةِ في القاعدةِ التاسعةَ عشرةَ، مِثالًا علىٰ حذْفِ المسندِ إليه لذاتِ الغرض.

قُرِئَ: ﴿سيقولون اللهُ﴾ برفع لفظ الجلالة مبتدأ للخبرِ المحذوفِ، والتقديرُ: اللهُ رَبُّ السَّمواتِ ورَبُّ العَرْشِ العَظيمِ.

فلو ذَكَروا المسندَ في جَوابِهم؛ لكان ذلك إقرارًا تامًّا بربوبيةِ الله، لما في تعريف المبتدأ والخبر مِن إفادةِ الحصرِ، وهم لم يكونوا كذلك؛ فحَذَفوا لِيَقتَصِرُوا علىٰ نَوعِ إقرارٍ بأنَّ السَّمواتِ مُلكٌ للهِ، وهذا ثابتٌ عندَهم ويعتقدونه.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ السابعةُ والعشرون

مِنْ أَساليبِ الحَصْرِ[1]: تَعريفُ المبتَدَأِ والخَبَرِ، ولامُ الاستِغراقِ، وضَميرُ الفَصْلِ.

فمِن شواهِدِ الأسلوبِ الأولِ؛ قولُه تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١].

قُرِئَ: ﴿وَأَتۡبَعُكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾[2]، جملةٌ اسميَّةٌ، وكل من طرفيها معرَّفٌ.

وتقديرُ الكلامِ: وما أتباعُك إلا الأَرذلُون.

ومِن شواهِدِ الأسلوبِ الثاني قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد:٢٤].

قُرِئَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[3]، وأصلُ الجُملةِ: فإن اللهَ الغنيُّ الحميدُ، أي: لا غيرُه.

---

(١) والحصرُ والقصرُ كلاهما بمعنًىٰ واحدٍ.

(٢) تقدم تخريجها ص: ١٨.

(٣) وهي قراءة المدنيين وابن عامر، انظر: التيسير، للداني (ص ٤٨١)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٣٨٤).

فحُصِرَ الغِنَىٰ والحَمْدُ في الإلهِ ﷻ، بلامِ الاستغراقِ الداخلةِ علىٰ الخبرِ المفيدةِ للحصرِ، وهو استغراقٌ حقيقيٌّ، لا ادِّعائيٌّ.

ومِن شواهِدِ الأسلوبِ الثالثِ قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

قُرِئَ بضميرِ الفَصْلِ بينَ المبتدأ والخبرِ، وأَصْلُ الجملةِ: فإنَّ اللهَ هو الغنيُّ الحميدُ، أي: لا غيرُه.

فحُصِرَ الغِنَىٰ والحمْدُ بِضَميرِ الفَصْلِ المفيدِ للحَصْرِ.

وجميعُ هذه الأساليبِ تُعْرَفُ بأُسلوبِ الحصْرِ بالفَحْوىٰ.

فائدة: كلُّ حَصْرٍ؛ يُفِيدُ التوكيدَ، ولا عَكْسَ[1]، وعليه فلم نستفِدْ من (إنَّ) في الآية حصرًا.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثامنةُ والعشرون

مَتَىٰ كانَ بَينَ الجُملتَينِ تَناسُبٌ، ولَيسَ ثَمَّ ما يَدْعُو إلىٰ الفَصْلِ؛ وَجَبَ وَصْلُهُما، ومَتَىٰ أَرَدْتَ تَشْرِيكَ الجُمْلَتَينِ في الحُكْمِ الإعْرابيِّ؛ وَجَبَ الوَصْلُ بَينَهما[2].

أي: يجبُ الوصلُ بينَ الجملتَين بحرفِ العطفِ «و»؛ إذا وقعَ التناسُبُ في المعنىٰ، ولا مُسَوِّغَ للفصلِ بينَهما، ومن شواهِدِ هذه القاعدة في كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا

(١) وتقدم الكلام فيه، ص: ٢٢.

(٢) انظر: البلاغة الواضحة، لعلي الجارم ومصطفىٰ أمين، (ص ٢٣٣).

قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٧٤-٧٥].

قُرِئَ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾، بالوَصْلِ(١).

وذلك علىٰ سبيلِ سَرْدِ أقوالِ كلِّ طرفٍ، ابتداءً من: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف:٧٣]، فعُطِفَ علىٰ قولِه قولُ قومِه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾، أي: قال صالحٌ كذا، وقال قومُه كذا.

فلما كانَ بينَ الأقوالِ تناسُبٌ، وليس ثَمَّ ما يدعو إلىٰ الفصلِ؛ وجَبَ الوصلُ، أي: العطفُ بالواوِ.

وكذلك إذا أردتَ التشريكَ في الحكمِ الإعرابيِّ بينَ الجملتَين؛ وجَبَ الوصلُ بينَهما.

وشاهدُه من كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

قُرِئَ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾، عطفًا علىٰ الأوامر السابقة، ابتداءً من: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران:١٣٠].

❁ ❁ ❁

(١) وهي قراءة ابن عامر، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ١٥٢)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٤٩٤).

القاعِدَةُ التاسعةُ والعشرون

مَتَىٰ جَازَ تَقْدِيرُ سُؤالٍ بَينَ الجُمْلَتَينِ؛ جازَ الفَصْلُ بَينَهما، ومَتَىٰ اختَلَفَتْ الجُمْلَتانِ خَبَرًا، وإِنْشاءً؛ وَجَبَ الفَصْلُ بَينَهما، ومَتَىٰ كانَتْ الثانِيَةُ بَيَانًا للأُوْلَىٰ؛ وَجَبَ الفَصْلُ بَينَهما(١).

أي: متَىٰ أمكنَ صياغةُ سؤالٍ يُستنبَطُ من الجملةِ الأُولىٰ؛ جازَ الفصلُ بينَ الجملتَين.

وشاهِدُ هذه القاعِدَةِ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٧٤-٧٥].

قُرِئَ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾، بدون واو العطف، والتقدير: لما قال لهم نبيُّ الله صالح ما قال، ماذا قال له قومُه؟ فجاءت الآية جوابًا علىٰ السؤال بدون واو العطف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾.

---

(١) ويعبر البلاغيون عن الصورة الأولىٰ بأنه متىٰ جاز تقدير سؤال بين الجملتين؛ كان بينهما شبه كمال اتصال، وحينئذ يسوغ الفصل، وعن الصورة الثانية بأنه متىٰ اختلفت الجملتان خبرًا وإنشاءً؛ كان بينهما كمال انقطاع، وحينئذ يجب الفصل بينهما، وعن الصورة الثالثة بأنه متىٰ كان بين الجملتين اتحادٌ تام، كأن تكون الثانية بيانًا للأولىٰ؛ كان بينهما كمال اتصال، وحينئذ يجب الفصلُ بينهما. انظر: البلاغة الواضحة، لعلي الجارم (ص ٢٣٠).

ومَتَىٰ اختَلَفَتْ الجُمْلَتانِ خَبرًا، وإِنْشاءً؛ وَجَبَ الفَصْلُ بَينَهما.

وشاهد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩].

قُرِئَ: ﴿وَلَا تَسۡـَٔلُ﴾، بالجزْمِ(١)، والجملتان مختلفتان خبراً وإنشاءً، وحسبَ القاعدةِ؛ يجِبُ الفصلُ، **فلماذا جاءَتْ موصولةً قولًا واحدًا؟**

الجوابُ: في الآيةِ تقديرٌ، هو: فبشِّرْ وأَنذِرْ ولا تَسْأَلْ عَن أَصحابِ الجحيمِ(٢).

وَمَتَىٰ كَانَت الثَّانِيَةُ بَيَانًا للأُوْلَىٰ؛ وَجَبَ الفَصْلُ بَينَهما.

وشاهِدُ هذِه القاعِدَةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ التاليةُ:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦].

قُرِئَ: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ بدونِ واوِ العطفِ(٣)، أي: بالفصلِ، باعتبارِ الجملةِ بيانًا لما قبلَها، كأنه قِيلَ بَعدَ ما عَدَّد شَيئًا مِن قَبائحِهم: هل انقطعَ خيطُ إسهابِهم في الافتراءِ علىٰ اللهِ تعالىٰ، أم امتدَّ؟ فقيلَ: لا، بل امتدَّ، فإنهم قالوا ما هو أَشْنَعُ وأَفظَعُ، قالوا: اتخذ الله ولدًا..(٤)

❁ ❁ ❁

(١) وهي قراءة نافع ويعقوب، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٣٥٣)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢١).

(٢) وعلىٰ هذا التقدير يكون في الآية إيجاز قصر، وسيأتي في القاعدة التالية.

(٣) وهي قراءة ابن عامر، انظر: الإرشاد، لأبي الطيب (٢/ ٥٣٠)، والتيسير، للداني (ص ٢٣١).

(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي (١/ ٣٦٤).

القاعِدَةُ الثلاثون

كُلُّ معنًى أُدِّيَ بِتمامِه فَصِيحًا بَيِّنًا بأَوْجَزِ لَفْظٍ؛ فهُو الْإيجازُ، وهُو نَوْعَانِ: إِيجازُ قِصَرٍ، وإِيجازُ حَذْفٍ(١).

أما إيجازُ القِصَرِ: فهو تضمينُ العباراتِ القليلةِ القصيرةِ المعانيَ المتعدِّدَةِ، مِن غَيرِ حَذْفٍ، ومُعظَمُ النظمِ القرآنيِّ إيجازُ قِصَرٍ، ومِن شواهِدِه قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾ [البقرة:٢٥٩].

قُرِئَ: ﴿نُنشِزُهَا﴾، بالزاي، وفيه معنىٰ النُّشُورِ -بالرَّاءِ- المأخوذِ مِن القراءة الأخرىٰ(٢)، وزيادةٌ؛ إذ إنَّ النُّشوزَ -بالزاي- معناه: الارتفاعُ، ونُنشِزُها: نَرْفَعُها، ولا رَفْعَ إلا بالإحياءِ، بخلافِ ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالراءِ في القراءةِ الثانيةِ، فهِي بمعنىٰ الإحياءِ دونَ الرفعِ(٣).

وأما إيجازُ الحذفِ: فهو ما تضمَّنَ العباراتِ القليلةَ، لكن بسببِ حذفٍ جَرَىٰ علىٰ بعضِها، ودلَّتْ عليه القرينةُ، ومن شواهِدِه في كتابِ اللهِ تعالىٰ:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١].

قُرِئَ: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ بالنصْبِ.

---

(١) انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ٦٨)، وجواهر البلاغة، للهاشمي (ص ١٩٧).

(٢) وهي قراءة المدنيين والبصريين وابن كثير، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٤٢)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٣١).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (نشر) (٥/ ٢٠٦)، وغريب القرآن، للسجستاني (ص ٤٧٢).

والأصل: اتقوا اللهَ الذي تساءلون به، واتقوا الأرحامَ التي تساءلون بها.

وهذا إيجازٌ بالحَذْفِ، دَلَّتْ عليه قَرِينةٌ لُغَوِيةٌ، وهِيَ قِراءةُ الجرِّ(١).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الحاديةُ والثلاثون

كلُّ زيادةٍ في اللَّفْظِ علىٰ أَصْلِ المعْنَىٰ، ولها فائِدَةٌ، فهي إطناب(٢).

ويَحصُلُ الإِطْنابُ بِصِيَغٍ كَثِيرةٍ، منها:

زيادةُ المبنَىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة:٥٧].

قُرِئَ: ﴿مَدْخَلًا﴾(٣) بالتخفيف، وقُرِئَ: ﴿مُدَّخَلًا﴾، علىٰ الإطنابِ المقدَّرِ، أَي: لو يجدون ملْجأً، أو مغاراتٍ، أو مَدخَلًا -ولو ضيِّقًا- لَوَلَّوْا إليه.. ووجْهُ الإطنابِ: سرعةُ الاعتراضِ بذمِّهم.

ويحصُلُ الإطنابُ بالتكرارِ؛ لتقريرِ المعنىٰ في نفسِ السامعِ، أو لِطُولِ الفَصْلِ،

---

(١) إذ لا وجه لربط الأمر بتقوىٰ الله بما في حيز الصلة، فلو قلت: أيها الناس اتقوا الله الذي تساءلون بالأرحام؛ لكان لغوًا، فتعين المعنىٰ: واتقوا الأرحامَ التي تساءلون بها، وقراءة الخفض هي قراءة حمزة، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٩٩)، والمبهج، لسبط الخياط (٢/ ٤١٨).

(٢) انظر: البلاغة الواضحة، لعلي الجارم (ص ٢٥٠). والإطناب: زيادة اللفظ علىٰ المعنىٰ لفائدة. انظر: بغية الإيضاح، لعبد المتعال الصعيدي (٢/ ١١٠).

(٣) وهي قراءة يعقوب، انظر: غاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٥٠٨)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٧٩).

وشاهدُه من كتابِ اللهِ تعالىٰ:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤].

قرئ: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، بفتح همزة ﴿فَأَنَّهُۥ﴾، تكرارًا لـ ﴿أَنَّهُۥ﴾، إما لتقريرِ وتمكينِ المعنىٰ، وإمَّا لِطُولِ الفَصْلِ.

ويحصُلُ الإطْنابُ بإعادَةِ ذِكْرِ العامِلِ، وشاهِدُه مِن كِتابِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤].

قُرِئَ: ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ بإعادةِ ذكرِ العاملِ(١).

وقُرِئَ: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ بحذف العامل.

فعلىٰ القراءةِ الأُولىٰ يكونُ في الكلامِ إطنابٌ، ووجهُهُ: تكرارُ ذِكْرِ العامِلِ، وفائدتُه: شَيءٌ مِن المواساةِ للمخاطَبِ، وهو هنا: النبيُّ ﷺ.

ويحصُلُ الإطنابُ بالاعتِراضِ، وللاعتراضِ أغراضٌ، منها سرعةُ التنزيهِ، ومنها التعظيمُ، وشاهِدُه مِن كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦].

قُرِئَ: ﴿وَضَعْتُ﴾ بسكونِ العَينِ، وضَمِّ التاءِ ضَميرًا للمتكلمِ(٢)، عائدٌ إلىٰ امرأةِ عمرانَ.

---

(١) وهي قراءة رواية هشام -بخلف عنه- عن ابن عامر، انظر: الإرشاد، لابن غلبون (٢/ ٥٩٠)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٤٥).

(٢) وهي قراءة ابن عامر وشعبة ويعقوب، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٥٠)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ٧٩).

وقُرِئَ: ﴿وَضَعَتْ﴾، بسكون التاء حرفًا، علامةً لتأنيثِ الفاعلِ.

فعلىٰ القِراءةِ الأولىٰ: ﴿وَضَعْتُ﴾ إطنابٌ بالاعتراضِ من المتكلمِ؛ لغرضِ الإسراعِ إلىٰ تنزيهِ اللهِ تعالىٰ عن الجهْلِ.

وعلىٰ القراءةِ الثانيةِ: ﴿وَضَعَتْ﴾ الغَرَضُ من الإطنابِ تعظيمُ اللهِ نفسَه بإثباتِ العِلمِ له ﷻ.

ويحصُلُ الإطنابُ بذكرِ الخاصِّ بعدَ العامِّ(١)، وشاهِدُه مِن كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١].

قُرِئَ: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ بالنصْبِ.

والمعنىٰ: واتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحامَ، وهذا إطنابٌ، ووجهُه: ذكرُ الخاصِّ بعدَ العامِّ، وفائدتُه: الاهتمامُ بالخاصِّ، والمعنىٰ: اتقوا اللهَ في كُلِّ أعمالِكم، وفي أرحامِكم خاصةً.

❁ ❁ ❁

(١) للوقوف علىٰ جميع صور الإطناب المذكورة؛ ينظر: كتاب البلاغة الواضحة، لعلي الجارم (ص ٢٥٠-٢٥١).

الفصلُ الثالثُ

قواعدُ علمِ البيانِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ

القاعِدَةُ الأولى

يَكُونُ التَّشبِيهُ بَلِيغًا إذا لم تُذْكَرْ أَداتُه، ولا وَجْهُ الشَّبَهِ(١).

وشاهِدُ هذِه القاعِدةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القرآنيةُ التاليةُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف:٩٨](٢).

قُرِئَ: ﴿دَكَّآءَ﴾، بألفِ تأنيثٍ ممدودةٍ.

وهو تشبيهٌ بليغٌ؛ حيثُ شُبِّهَ الرَّدْمُ بناقةٍ دكَّاءَ، مُستويةِ الظهرِ، لا سنامَ لها، والتقديرُ: جَعَلَ ربِّي الرَّدْمَ كناقةٍ مدكوكةِ السنامِ(٣)، ووجهُ البلاغةِ في التشبيهِ: أنَّ المشبَّهَ يكادُ أن يصيرَ في رتبةِ المشبَّهِ به.

ومثلُه قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

قُرِئَ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بفتح التاء، أي وجعلَه اللهُ بالنسبةِ للنبيِّين كالخاتَمِ الذي تُختَم به الظروفُ بعدَ غَلْقِها(٤).

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي (ص ٣٥٥)، وحلية اللب المصون، للدمنهوري (ص ١٤٥). ووجه الشبه: ما يشترك فيه طرفا التشبيه.

(٢) هي قراءة الكوفيين: عاصم وحمزة والكسائي. انظر: التيسير، للداني (ص ٣٥٤).

(٣) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٥/ ٤٥٠).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري (٣/ ٥٤٤).

القاعِدَةُ الثانِيَةُ

إذا أُطلِقَ الكَلامُ وأُشِيرَ به إلىٰ مَعْنًىٰ آخَرَ يُفْهَمُ مِن السِّياقِ، وأُرِيدَ تَعْظِيمُهُ؛ فهُو تَعرِيضٌ، والتَّعرِيضُ نَوعٌ مِن الكِنايةِ(١).

وللتعريضِ شاهِدٌ مِن كتابِ الله تعالىٰ في قولِه في مُحكَمِ التنزيل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١] .

قُرِئَ: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامِ﴾ بالجرِّ تعريضًا(٢).

والمعنىٰ: واتقوا اللهَ الذي تساءَلون به، وبالأرحامِ التي كنتُم تتساءلون بها تعظيمًا لها أيامَ جاهلِيَّتِكُم، أتذكُرون ذلك؟ إذن اتقوا اللهَ فيها، وعظِّموها الآنَ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثالِثَةُ

لا بُدَّ مِن الفَصاحَةِ قَبْلَ المعانِي، ولا بُدَّ مِن المعانِي قَبْلَ البَيانِ، ولا بُدَّ مِن البَيانِ قَبْلَ البَدِيعِ(٣).

فكيفَ أَعرِفُ أنَّ في الآيةِ إطنابًا -وهذا مِن المعاني- إذا لم أكُنْ أعرِفُ الفرْقَ بينَ دَخَلَ وادَّخَلَ -وهذا مِن الفصاحةِ-، وكيف أَعرِفُ المجازَ اللُّغَويَّ المرَكَّبَ

(١) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٢٨٩).

(٢) انظر (ص ٤٢).

(٣) ومن أجل ذلك يرتب علماء البلاغة أبوابَ علم البلاغة بهذا الترتيب.

في نحوِ: ﴿ءَأَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ [آل عمران:٧٣](١) -وهذا من البيانِ- إذا لم أَكُنْ أَعرِفُ الإنشاءَ والخبرَ -وهذا من المعاني-، وكيف أُدخِلُ على الجملةِ محسِّناتٍ لفظيةً أو معنويةً، وأنا لم أُتقِنْ أصلَ تركيبِ الجملةِ إسنادًا، وإخبارًا، وإنشاءً، وقَصْرًا، وإيجازًا، وتشبيهًا، ومجازًا؛ وكُلُّ ذلك من المعاني والبيانِ.

❁ ❁ ❁

(١) القراءة بالاستفهام هي قراءة ابن كثير، انظر: المستنير، لابن سوار (٢/ ٨٣)، والنشر، لابن الجزري (١/ ٣٦٥).

الفصلُ الرابعُ

قواعدُ علمِ البديعِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ

القاعِدَةُ الأولى

مِنَ المحَسِّناتِ اللَّفْظِيةِ: السَّجْعُ، وهُوَ توافُقُ الفَقْرَتَينِ فِي الحَرْفِ الأَخِيرِ وَقْفًا، فِي نَثْرِ الكَلامِ كثيرًا، وفي شِعْرِه قليلًا، وهُوَ أَنْواعٌ، فأَمَّا مَا تَماثَلَتْ أَوْ تَقارَبَتْ فِيهِ الأَلْفاظُ، فِي كِلا الفَقْرَتَينِ وَزْنًا أو قَافِيةً؛ فهُوَ السَّجْعُ المرَصَّعُ(١).

وشاهد السَّجْعِ المُرَصَّعِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٥-٦٨].

قُرِئَ: ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾، ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ بالأَلِفِ وَقْفًا، والعربُ تفعلُ ذلك في السَّجْعِ، وفي قوافي الشِّعْرِ وأَعارِيضِه، وحَسُنَ هذا في رُؤوسِ الآي؛ تمثيلًا لها بالقوافي(٢)، غير أنَّ البعضَ -تأدُّبًا- لا يُسَمِّي شَواهِدَ السَّجْعِ في القرآنِ سَجْعًا، ولكِنْ: مُراعاةَ الفَواصلِ(٣)، ولا مُشاحَّةَ في الأمرِ.

---

(١) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي (ص ٣٣٠).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (١٩/ ٣٦).

(٣) انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٥٠).

القاعِدَةُ الثانية

مِن المحَسِّناتِ المعنَوِيَّةِ: الطِّباقُ، أو المطابَقةُ، أو التَّضادُّ، أو التَّكافُؤُ، وهُوَ: الجَمْعُ بَيْنَ مَعنَيَينِ مُتَقابِلَينِ(١).

وشاهِدُ هَذِه القاعِدةِ في كِتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القُرآنيةُ التاليةُ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] علىٰ قِراءةِ التَّخفيف في ﴿مَيْتًا﴾، أي: مَن أمَتْناه، ويُقابِلُ الإماتةَ الإحياءُ.

وكذلك الآيةُ القُرآنيةُ التاليةُ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣]، علىٰ قِراءةِ القَصْرِ في ﴿أَتَاكُمْ﴾(٢)، ويقابِلُ الفَوتَ: الإدراكُ، وهو: الإتيانُ، والمعنىٰ: لا تحزَنْ علىٰ ما فاتَكَ، ولا تفرَحْ بما أدركَكَ، أو أتاكَ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الثالِثَةُ

مِن المحَسِّناتِ المعْنويةِ اللفُّ والنَّشْرُ المجْمَلُ.

وهو أن يُذكَرَ متعدِّدٌ إجمالًا، ثم يُذكَرَ ما لكلِّ واحِدٍ مِن آحاد هذا المتعدِّد مِن غيرِ تَعيينٍ؛ ثقةً بتمييزِ السامعِ.

وشاهِدُ هَذِه القاعِدةِ في كِتابِ اللهِ تعالىٰ: الآيةُ القُرآنيةُ التاليةُ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:١٨٢].

---

(١) انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٥٠).

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٨٣٠)، وغاية الاختصار، لأبي العلاء (٢/ ٦٧٦).

قُرِئَ: ﴿مُّوصٍ﴾، من أوصىٰ المتعدِّي بالهمزِ المفيدِ لأصلِ معنىٰ الفعلِ.

وقُرِئَ: ﴿مُوَصٍّ﴾، من وصَّىٰ المفيدِ للمُتعمِّدِ الخطأَ في الوصيَّةِ.

وإذا كانَ الجنفُ هو الخطأَ غيرَ المتعمَّدِ في الوصيَّةِ، والإثمُ هو تعمُّدُ الجَورِ فيها، وإذا عرفنا أنَّ الإيصاءَ هو مجرَّدَ الوصيَّةِ، وأنَّ التوصيةَ تفيدُ معنًىٰ زائدًا مناسبًا للجنَفِ، وهو تعمُّدُ الخطأِ فيها؛ فإننا سنقرِّرُ حينئذٍ أنَّ في الآيةِ لفًّا ونشرًا مُجمَلًا، ويكونُ معنىٰ الآيةِ بالقراءتَين هكذا:

فمَن خاف مِن مُوْصٍ جَنَفًا، أو خافَ مِن مُوَصٍّ إثمًا؛ فأصلحَ بينَ المحتَضِرِ وبينَ ورَثتِه بتصحيحِ الخطأ من المخطئِ، وبالتذكيرِ باللهِ للجائرِ في وصيَّتِه، أو بتعديلِها بعدَ موتِه؛ فهو علىٰ الحقِّ، ولا حرجَ عليه بعدَ التعديلِ(١).

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الرابِعَةُ

إذا اجتَمَعَتْ جُملَتانِ فحُذِفَ مِنَ إحْداهُما ما ذُكِرَ في الأُخْرَىٰ، والعَكْسُ؛ فهُو الِاحْتِباكُ(٢).

وشاهِدُ هذا المحسِّنِ المعنوي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

قُرِئَ: ﴿يَطْهُرْنَ ۖ﴾، مِن «طَهُر» الثلاثيِّ المجرَّدِ، وفرْقٌ بينَ طَهُرَتْ، وتَطَهَّرَتْ،

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٢/ ١٩٩).

(٢) وقد عرَّفَه السيوطي في العقودِ بقولِه: «قُلْتُ وَمِنْهُ الاحْتِبَاكُ يُخْتَصَرْ * مِنْ شِقَّيِ الجُمْلَةِ ضِدُّ مَا ذُكِرْ». انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٣٣).

وفي الجملةِ الأولىٰ عُلِّقَ الجِماعُ بالطَّهارةِ، وفي الجُملةِ الثانيةِ عُلِّقَ بالتَّطَهُّرِ، فعُلِمَ أنَّ في الجملتَين محذوفَينِ، دَلَّ علىٰ كلٍّ منهما شيءٌ مذكورٌ في الأُخرىٰ، هكذا: ولا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فيَتَطَهَّرْن، فإذا طَهُرْنَ فتَطَهَّرْنَ؛ فأتوهن(١).

وفي الآية بهذا النظمِ الباهر ما فيه من الأحكامِ، وبلاغةِ البيانِ، فما أَعْظَمَه، وما أَبْلغَه، وما أَحْسنَه مِن لِسانٍ عربيٍّ مبينٍ.

❁ ❁ ❁

القاعِدَةُ الخامِسَةُ

كَما أنَّ أَساليبَ المبالَغَةِ تَكُونُ في المركَّباتِ؛ تَكُونُ كَذلِكَ في المفْرَداتِ.

وأساليبُ المبالغةِ في المركَّباتِ: التشبيهُ، والمجازُ المرسلُ، والاستعارةُ، والكنايةُ.

أما أساليبُ المبالَغةِ في المفرَداتِ؛ فكَفَعُلَ في قولِه تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

قُرِئَ: ﴿وَعَبُدَ﴾، بضَمِّ الباءِ(٢) وَصْفًا؛ لِإفادةِ الكَثْرةِ في عِبادةِ الطاغوتِ(٣)، وله نظائِرُ في العَرَبيَّةِ، نحوُ: يَقُظٍ، ونَدُسٍ(٤)، وفَطُنٍ، وحَذُرٍ، بضمِّ العَينِ في الكلِّ؛ للمُبالغةِ في الوَصْفِ.

---

(١) وقد عرَّفَه السيوطي في العقودِ بقولِه: «قُلْتُ وَمِنْهُ الاحْتِبَاكُ يُخْتَصَرْ * مِنْ شِقَّيِ الجُمْلَةِ ضِدُّ مَا ذُكِر». انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي (ص ١٣٣).

(٢) وهي قراءة حمزة، انظر: التيسير، للداني (ص ٢٧٠)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢٥).

(٣) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٤/ ٣٢٧).

(٤) ورجُلٌ نَدُسٌ، ونَدْسٌ، ونَدِسٌ، أَي: فَهِمٌ، سَرِيعُ السَّمْعِ، فَطِن، انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ندس) (ص٥٧٧).

القاعِدَةُ السادِسَةُ

إذا دَخَل النِّداءُ علىٰ اسْمِ الإشارةِ؛ فالغالِبُ أنَّه أُسْلُوبُ تَهْوِينٍ(١).

تقول: يا هذا، أتدري مَن تخاطب؟ واسكُتْ يا هذا.

وشاهِدُ هذِه القاعِدَةِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ؛ الآيةُ القرآنيةُ التاليةُ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل:٢٥].

قُرِئَت: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾(٢)، علىٰ تقديرِ: ألا يا هؤلاءِ، اسجُدُوا للهِ(٣)، أي: أيها المشركون بالله، اسجُدُوا لله، ولا شكَّ أنَّ المقامَ مَقامُ تَهْوِينٍ وتَقْلِيلٍ وتحقِيرٍ مِنْ شأنِ المخاطَبِ المشرِكِ بالله.

وفي نحوِ هذا المعنَىٰ(٤) يَقولُ صاحِبُ التَّحرِيرِ والتَّنوِيرِ ﷺ عندَ قولِ الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [ص:١٥]: «وقد تَتَبَّعْتُ اصطِلاحَ القُرآنِ؛ فوجدتُه أنَّهُ إذا استَعمَلَ ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾، ولم يَكُنْ معَه مشارٌ إليه مذكورٌ؛ أنه يُرِيدُ به المشركينَ مِن أهل مكةَ»(٥).

والحمدُ لله ربِّ العالمين،

وصَلَّى الله وسلم وبارك على نبيِّه الأميِّ وآله وصحبه أجمعين

---

(١) ولم أَقِفْ علىٰ مَنْ ذَكَرَ هذِه القاعِدَةَ؛ فلك الحمْدُ والمنَّةُ يا أللهُ.

(٢) وهي قراءة الكسائي وأبي جعفر ورويس، انظر: المبهج، لسبط الخياط (٢/ ٦٩٢)، والمستنير، لابن سوار (٢/ ٣٤٠).

(٣) قال الشاطبي في الحرز البيت ٥٣٩؛ موجِّهًا قراءة الكسائي: أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا.

(٤) أي: معنىٰ التهوين.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢٣/ ٢٢٣).

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات:

الحمدُ للهِ من قبلُ ومن بعدُ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّ الهدىٰ والبيانِ، وبعدُ.

ففي ختامِ هذا البحثِ السهلِ العسِرِ، وبعد رحلةٍ علميةٍ شاقَّةٍ شَيِّقةٍ، قضَيْتُها بين أنفاسِ عُلماءِ التفسيرِ والقراءات والبلاغةِ؛ لأَستَخلِصَ منها تِسْعةً وأَربَعِينَ قاعدةً بلاغيةً- يَطيبُ لي أنْ أُقَدِّمَ ثُلَّةً مِن النتائجِ والتَّوصِياتِ، مِن شَأْنِها أن يُستَضاءَ بها أَثناءَ السَّيرِ في هذا الطريقِ:

١- تَعَلَّمْ البَلاغةَ أوَّلًا مِن كُتُب عُلمائِها، ثمَّ اجعلِ القرآنَ الكريمَ أَصْلًا تَحتكِمُ إليه، وقاعدةً تنطلقُ منها.

٢- تَقعِيدُ عُلُومِ الآلةِ -كالبلاغَةِ، والنحوِ، والصَّرْفِ مَثلًا- كَفِيلٌ بتسْهِيلِ وُصُولِها إلىٰ أَذْهانِ طُلابِها واستيعابِها.

٣- كُتُبُ عِلَلِ القِراءاتِ -رَغْمَ قِلَّةِ مَباحِثِه فِيها- مَصْدرٌ مِن مَصادِرِ عِلْمِ البَلاغَةِ.

٤- مِن أَجْلِ الوُقُوفِ علىٰ إعجازِ القُرآنِ البيانيِّ؛ لا بدَّ مِن دراسةِ عِلمِ البلاغةِ أوَّلًا.

٥- كلُّ عالـمٍ بِالبلاغَةِ عالـمٍ بعِلَلِ القِراءاتِ، ولا عَكْسَ.

٤- قبلَ تقييدِ العلمِ وتقعيدِه أيًّا كان -أَعنِي عِلْمَ الآلةِ-لا بُدَّ مِن دراسةِ أساسِيَّاتِ عِلْمِ الـمنطِقِ؛ إذْ إنَّ القاعدةَ نصٌّ دَقيقٌ، مختصرٌ، جامعٌ، مانعٌ.

ثمَّ أمَّا بعدُ:

فذاك ما تيسَّر ليَ استخلاصُه، واستنباطُه مما فَتحَ اللهُ به عليَّ حين استعنتُ به -جلَّ ثناؤُه- متَّكِئًا علىٰ أَقوالِ وآراءِ عُلماءِ التوجيهِ والتفسير والبلاغة.

وهذا ما بَدا لِي ذكرُه مِن نتائِجَ وتَوصياتٍ، فما كانَ صوابًا فمِن اللهِ، وما كانَ مِن خَطَأٍ فمِن نفسِي، ومِن الشيطانِ.

واللهَ أسألُ أن يَنفعَ بهذا البحثِ محرِّرَه وقارِئَه؛ آمينَ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ علىٰ خاتَم النبيِّينَ وآلِه وصحبِه أجمعين

الفهـــارس

وهي كالتالي:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس القواعد.

٣- فهرس المصادر والمراجع.

٤- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الآيــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٣	البقرة	٣٥
﴿يُكَذِّبُونَ﴾	١٠	البقرة	٤٠
﴿بَارِئِكُمْ﴾	٥٤	البقرة	٣٣
﴿غَيْرَ﴾	٥٩	البقرة	٣٥
﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	٧٤	البقرة	٤١
﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	البقرة	٥٧
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾	١٠٢	البقرة	٤٦
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾	١١٦	البقرة	٧٣
﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾	١١٩	البقرة	٧٣
﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾	١٢٥	البقرة	٥٢، ٥٣، ٦١
﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾	١٨٢	البقرة	٨٢
﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾	٢١٠	البقرة	٤٠
﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾	٢٢٢	البقرة	٨٣
﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ﴾	٢٣٣	البقرة	٤٣، ٤٩، ٦٠
﴿نُنشِزُهَا﴾	٢٥٩	البقرة	٧٤

الآيــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾	٢٥٩	البقرة	٤٣
﴿أَرِنِي﴾	٢٦٠	البقرة	٣٣
﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ﴾	٣٨٢	البقرة	٥٣
﴿أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾	٣٦	آل عمران	٧٦
﴿ءَأَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾	٧٣	آل عمران	٨٠
﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾	١٣٠	آل عمران	٧١
﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾	١٣٣	آل عمران	٤٢، ٧١
﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾	١٨١	آل عمران	٥٠
﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾	١٨٤	آل عمران	٧٦
﴿بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾	١	النساء	٥٥، ٧٤، ٧٧، ٧٩
﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾	٢٥	النساء	٥٥
﴿نِعِمَّا﴾	٥٨	النساء	٣٤
﴿لَا تَعۡدُواْ﴾	١٥٤	النساء	٣٤
﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٦٠	المائدة	٨٤
﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	٥٤	الأنعام	٧٦
﴿تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾	٩٤	الأنعام	٥٦
﴿يُشۡعِرُكُمۡ﴾	١٠٩	الأنعام	٣٣
﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا﴾	١٢٢	الأنعام	٨٢
﴿قَتۡلُ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآئِهِمۡ﴾	١٣٧	الأنعام	٣٧

الآيــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾	٥٤	الأعراف	٤٣
﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	٥٩	الأعراف	٤٩
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾	٧٥	الأعراف	٧١، ٧٢
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ﴾	١٩٩	الأعراف	٣٤
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	الأنفال	٤٦
﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾	١٢	التوبة	٥٢، ٦٦، ٦٧
﴿مُدَّخَلًا﴾	٥٧	التوبة	٤٠، ٧٥
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾	١٠٧	التوبة	٦٤، ٦٨
﴿بِهِ ءَآلسِّحْرُ﴾	٨١	يونس	٤٥
﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾	٨٩	يونس	٦٢
﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾	٤٦	هود	٤١، ٤٧
﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم﴾	٨٩	يوسف	٤٦
﴿إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾	٩٠	يوسف	٤٤
﴿ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾	١	إبراهيم	٤٧
﴿لَتَزُولُ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾	٤٦	إبراهيم	٤٨
﴿صِرَٰطٌ عَلِيٌّ مُّسْتَقِيمٌ﴾	٤١	الحجر	٥٥
﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾	٧	النحل	٥٤
﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾	١٢	النحل	٤٢
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ﴾	١٠٢	الإسراء	٤٥

الآيــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿دَكَّآءَ﴾	٩٨	الكهف	٧٨
﴿فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	٢٩	مريم	٣٤
﴿لَا نُخْلِفُهُۥ﴾	٥٨	طه	٤٦
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾	٣٩	الحج	٥٩، ٦٠
﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾	٨٢	المؤمنون	٤٦
﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾	٨٦	المؤمنون	٦٢، ٦٨
﴿أَنْ غَضِبَ ٱللَّهُ﴾	٩	النور	٤٧، ٤٨
﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾	٣٦	النور	٦٤، ٦٥
﴿سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ﴾	٤٠	النور	٦٣
﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾	١١١	الشعراء	٤٤، ٦٩
﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾	٦١	الفرقان	٦٥
﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾	٢٥	النمل	٨٥
﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	٤٠	الأحزاب	٧٨
﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾	٦٦	الأحزاب	٨١
﴿رَبُّنَا بَٰعِدَ﴾	١٩	سبأ	٤٤
﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾	٦	الصافات	٥٥
﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾	١٢	الصافات	٥٠
﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ﴾	١٢٦	الصافات	٤٩
﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾	١٥٣	الصافات	٤٤، ٦١
﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾	١٥	ص	٥٨، ٥٩

الآيــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾	١٥	ص	٤٥
﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾	٣٥	غافر	٥٦
﴿أَدْخُلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾	٤٦	غافر	٣٩
﴿رُسُلُكُمْ﴾	٥٠	غافر	٣٣
﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾	٨٨	الزخرف	٣٧
﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾	١٤	الجاثية	٣٨
﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾	٧	القمر	٣٦
﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾	٢٣	الحديد	٨٢
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾	٢٤	الحديد	٤٩، ٦٩
﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾	٤	الإنسان	٣٧
﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	١	القيامة	٤٩
﴿أَن كَانَ﴾	١٤	القلم	٥٢
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾	١٠	الانفطار	٥٠

فهرسُ القواعدِ

قواعد الفصاحة

١-كَما أنَّ حُرُوفَ الكَلِمَةِ قَدْ تَتَنافَرُ؛ فكذَلِكَ حَرَكاتُها قدْ تُتَثاقَلُ.	٣٣
٢- إِذَا وَقَعَ حَرْفٌ مُدْغَمٌ بَعْدَ حَرْفٍ صَحِيحٍ؛ كانَ ذَلِكَ مِنْ دَواعِي النُّزُولِ عَنْ مَرْتَبَةِ الفَصَاحَةِ، إِلَّا مَا كانَ مِنْ كَلامِ اللهِ.	٣٤
٣-كُلُّ قِراءَةٍ مَرجِعُها اختلافُ اللَّهَجاتِ، فمَهْما عَسُرَ نُطْقُها عندَ قومٍ؛ فلَيسَ لِذلِك أَثَرٌ علىٰ فَصاحَتِها	٣٥
٤- استِعْمالُ غَيْرِ المشْهُورِ مِنْ كَلامِ العَرَبِ مِنْ أَسْبابِ إِخْراجِهِ عَنْ حَدِّ الفَصاحَةِ، إلا ما كَان مِنْ كَلامِ اللهِ	٣٦
٥- طُولُ الفَصْلِ بين التَّوابِعِ، لا يَنْقُصُ مِن فَصاحَةِ التَّرْكِيبِ أَحْيانًا.	٣٧
٦- في بابِ نائِبِ الفاعِلِ، يَنُوبُ مَنابَ الفاعِلِ غَيرُ المفعُولِ بِه، مَعَ وُجودِهِ أَحْيانًا، ولَيْسَ هذا مما يُخِلُّ بِفَصاحَةِ التَّرْكِيبِ.	٣٨
٧- إذا كانَ الكلامُ البليغُ هو مُطابقةَ الكلامِ لمقتضَىٰ الحالِ؛ فأَبلَغُه ما تَنوَّعتْ مَعانِيهِ بتَنوُّعِ قِراءَتِه، مطابقةً للمقتَضَىٰ.	٣٩
٨- أَوجُهُ الإِعْجازِ في القُرآنِ الكَرِيمِ مُتَعدِّدَةٌ، مِنْها إِعْجازُ قِراءَاتِه.	٣٩
٩- أَبْلغُ الكَلامِ أَوجَزُه في تَمامٍ.	٤٠

قواعد علم المعاني

١- إِذا كانَت البَلاغةُ هِي مُطابَقةَ الكَلامِ لمقتَضَىٰ المقامِ؛ فكَذَلِكَ تَرْكُ ما يَقتَضِيهِ المقامُ بَلاغَةٌ أَحْيانًا، ويُسَمَّىٰ: الخُرُوجَ عن مُقتَضَىٰ الظاهِرِ.	٤١
٢- المركَّبُ تارةً يكونُ جملةً رئيسيَّةً، وتارةً يكونُ جملةً غيرَ رَئِيسيةٍ.	٤٢

٣- المركَّبُ إما خَبَرٌ، وإما إنشاءٌ.	٤٣
٤- المركَّبُ -خبرًا كان أو إنشاءً- إما جُملةٌ فِعليَّةٌ، وإما جُملةٌ اسميَّةٌ.	٤٤
٥- المركَّبُ -خَبَرًا كان أو إنشاءً- يُلقَىٰ لِواحِدٍ مِن ثَلاثَة أَغراضٍ، إما لِلإفادةِ، وإما لِلَازمِها، وإما لِسِواهما.	٤٥
٦- الأَصْلُ في المركَّبِ خُلُوُّه مِن المؤكِّداتِ، فلا يُؤتَىٰ بها إلا إذا اقتَضَىٰ المقامُ.	٤٦
٧- الأَصْلُ في الجُمْلةِ الإطلاقُ، فإذا قُيِّدَتْ فَلِغَرَضٍ.	٤٧
٨- الأصلُ في المخاطَبِ خُلُوُّ ذِهْنِه مِن الخَبَرِ الملقَىٰ إليهِ، فإذا كانَ كذلِك؛ لم يُؤَكَّد الخِطابُ بأيِّ نَوعٍ مِن أَنواعِ المؤكِّداتِ لِعَدَمِ الحاجَةِ إِلَيه.	٤٨
٩- مؤكِّداتُ الكلامِ كَثِيرةٌ، منها: إنَّ، ولكنَّ، ولامُ الابتداء، والقَسَمُ، والحُروفُ الزَّائدةُ، واسميَّةُ الجُمْلَةِ، وضَمِيرُ الفَصْلِ.	٤٨
١٠- الأَصْلُ في الكَلامِ حَمْلُه عَلىٰ ما وُضِعَ له، إلا لِقَرِينةٍ وعَلاقةٍ تَصرِفانِه عنه.	٥٠
١١- الألْفاظُ الوَارِدةُ في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ تُستَعملُ في مَعانِيها الشَّرْعيَّةِ حقيقةً، وفي مَعانِيها اللُّغَوِيةِ مَجازًا.	٥١
١٢- الكَلامُ إِمَّا حَقِيقةٌ، وإِمَّا مَجازٌ، وكُلٌّ مِنهما إما خَبَرٌ، وإما إِنْشاءٌ.	٥٢
١٣- المجازُ قد يَكُونُ عَقْليًّا، وقد يَكُونُ لُغَويًّا، وقد يَكُونُ تَرْكِيبيًّا.	٥٤
١٤- المجازُ العَقْليُّ قائِمٌ علىٰ نِسْبةِ شَيْءٍ إلىٰ شَيْءٍ، وقدْ يَكونُ نِسْبةً إِسْناديَّةً، وقدْ يَكونُ نِسْبةً إِضافيَّةً، وقدْ يَكونُ نِسْبةً إِيقاعِيَّةً، وقدْ يَكونُ نِسْبةً وَصْفيَّةً.	٥٤
١٥- إِذا أُسنِدَ الفِعلُ، أَوْ شِبهُهُ إِلَىٰ غَيرِ ما هُو لَه؛ فهُو إِسنادٌ مَجازِيٌّ، ويُسَمَّىٰ مَجازًا عَقْلِيًّا.	٥٦
١٦- المجازُ اللُّغَوِيُّ هو: استِعمالُ كَلِمةٍ في غَيرِ ما وُضِعَتْ له، ويَنقَسِمُ إلىٰ قِسْمَينِ: مجازٌ مُفْرَدٌ مُرسَلٌ، ومَجازٌ مُفْرَدٌ بالِاستِعارَةِ.	٥٧
١٧- المجَازُ التَّرْكِيبِيُّ هُو: استِعمالُ جُمْلةٍ لا يُرادُ ظاهِرُها، وينقَسِمُ إلىٰ: مَجازٍ مُركَّبٍ مُرسَلٍ، ومَجازٍ مُرَكَّبٍ بالِاستِعارَةِ.	٦٠

١٨- الأَصْلُ في المسنَدِ إليه ذِكْرُه، فإذا حُذِفَ؛ فلِغَرَض.	٦٢
١٩- يُحذَفُ المسنَدُ إليهَ لِأَغْراضٍ، مِنْها: الحَذَرُ مِن الإقْرارِ.	٦٢
٢٠- المسْنَدُ إِلَيهِ في الجُمْلَةِ الاِسْمِيةِ لا يَكُونُ إلا مُعَرَّفًا أَوْ مُخَصَّصًا.	٦٣
٢١- يُعرَّفُ المسنَدُ إِلَيهِ بِالموصُولِيَّةِ لأَغْراضٍ، مِنْها: التَّنْبيهُ عَلَىٰ خَطَأِ غَيرِ المخاطَبِ.	٦٤
٢٢- يُنكَّرُ المسنَدُ إِليهِ في سِياقِ الإثباتِ لِأَغْراضٍ، منها: التعظيمُ، ومِنْها: التكثيرُ.	٦٥
٢٣- نَفْيُ المسندِ إليه إذا كان جَمْعًا لا يُفِيدُ استِغْراقَ جِنْسِهِ.	٦٦
٢٤- نَفْيُ المسنَدِ إليه إذا كان اسمًا مفردًا يُفِيدُ الاِستغَراقَ.	٦٧
٢٥- يُحذَفُ المسْنَدُ لِأغْراضٍ، منها: تَهْويلُه.	٦٨
٢٦- يُحْذَفُ المسْنَدُ لِأَغْراضٍ، مِنْها: الحَذَرُ مِن الإقْرارِ.	٦٨
٢٧- مِنْ أَساليبِ الحَصْرِ تَعريفُ المبتَدَأِ وَالخَبَرِ، ولامُ الاِستغراقِ، وضَمِيرُ الفَصْلِ.	٦٩
٢٨- مَتَىٰ كانَ بَينَ الجُملَتَينِ تَناسُبٌ، ولَيسَ ثَمَّ ما يَدْعُو إلىٰ الفَصْلِ؛ وَجَبَ وَصْلُهُما، ومَتَىٰ أَرَدْتَ تَشْرِيكَ الجُمْلَتَينِ في الحُكْمِ الإعْرابيِّ؛ وَجَبَ الوَصْلُ بَينَهما.	٧٠
٢٩- مَتَىٰ جَازَ تَقْدِيرُ سُؤالٍ بَينَ الجُمْلَتَينِ؛ جازَ الفَصْلُ بَينَهما، ومَتَىٰ اختَلَفَتْ الجُمْلَتانِ خَبَرًا، وإِنْشاءً؛ وَجَبَ الفَصْلُ بَينَهما، ومَتَىٰ كانَت الثانِيَةُ بَيانًا للأُوْلَىٰ؛ وَجَبَ الفَصْلُ بَينَهما.	٧٢
٣٠- كُلُّ معنًىٰ أُدِّيَ بِتمامِهِ فَصِيحًا بَيِّنًا بأَوْجَزِ لَفْظٍ؛ فهُو الْإِيْجازُ، وهُو نَوْعَانِ: إِيجازُ قِصَرٍ، وإيجازُ حَذْفٍ.	٧٤
٣١- كلُّ زيادةٍ في اللَّفْظِ علىٰ أَصْلِ المعْنَىٰ، ولها فائِدَةٌ؛ فهي إطناب.	٧٥

قواعد علم البيان

١- يَكُونُ التَّشبِيهُ بَلِيغًا؛ إذا لم تُذْكَرْ أَداتُه، ولَا وَجْهُ الشَّبَهِ.	٧٨
٢- إذا أُطلِقَ الكَلامُ وأُشِيرَ به إلىٰ مَعْنًىٰ آخَرَ يُفْهَمُ مِن السِّياقِ، وأُرِيدَ تَعْظِيمُهُ؛ فهُو تَعرِيضٌ. والتَّعرِيضُ نَوعٌ مِن الكِنايةِ.	٧٩
٣- لا بُدَّ مِن الفَصاحَةِ قَبْلَ المعانِي، ولا بُدَّ مِن المعانِي قَبْلَ البَيانِ، ولا بُدَّ مِن البَيانِ قَبْلَ البَدِيعِ.	٧٩

قواعد علم البديع

١- مِنَ المحَسِّناتِ اللَّفْظِيةِ: السَّجْعُ، وهُوَ تَوافُقُ الفَقْرَتَينِ فِي الحَرْفِ الأَخِيرِ وَقْفًا، فِي نَثْرِ الكَلامِ وشِعْرِه، وهُوَ أَنْواعٌ: فأَمَّا مَا تَماثَلَتْ، أَوْ تَقارَبَتْ فِيهِ الأَلْفاظُ، فِي كِلا الفَقْرَتَينِ، وَزْنًا أو قَافِيةً؛ فهُوَ السَّجْعُ المرَصَّعُ.	٨١
٢- مِن المحَسِّناتِ المعنَوِيَّةِ: الطِّباقُ، أو المطابَقةُ، أو التَّضادُّ، أو التَّكافُؤُ، وهُوَ: الجَمْعُ بَيْنَ مَعنَيَينِ مُتَقابِلَينِ.	٨٢
٣- مِن المحَسِّناتِ المعْنويةِ اللفُّ والنَّشْرُ المجْمَلُ.	٨٢
٤-إذا اجتَمَعَتْ جُملَتانِ فحُذِفَ مِنَ إِحْداهُما ما ذُكِرَ في الأُخْرَىٰ، والعَكْسُ؛ فهُو الاحْتِباكُ.	٨٣
٥-كَما أنَّ أَساليبَ المبالَغَةِ تَكُونُ في المرَكَّباتِ؛ تَكُونُ كَذلِكَ في المفْرَداتِ.	٨٤
٦- إذا دَخَل النِّداءُ علىٰ اسْمِ الإشارةِ فالغالِبُ أنَّه أُسْلُوبُ تَهْوِينٍ.	٨٥

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- «إبراز المعاني من حرز الأماني». أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي. تحقيق وتعليق: محمود بن عبد الخالق جادو. د. ط، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣ هـ.

٣- «الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة». ابن غلبون، أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله. تحقيق: د. باسم السيد، الطبعة الأولىٰ، مسابقة القرآن الكريم، ١٤٣١ هـ = ٢٠١١ م.

٤- «استنباطُ القواعِدِ النَّحْوِيةِ مِن القِراءاتِ القُرآنيةِ». علي، طلال بن أحمد. بحثٌ أَكادِيمِيٌّ محكَّم.

٥- «الأصول من علم الأصول». العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. الطبعة الرابعة، دار ابن الجوزي، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م.

٦- «إنباهُ الرُّواة علىٰ أنباه النُّحاة». القِفطيِّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولىٰ، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٢ م.

٧- «الإيضاح في القراءات». الأندرابي، أحمد بن أبي عمر. مخطوط بمكتبة معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة إسطنبول، برقم (١٣٥٠).

٨- «الإيضاح في علوم البلاغة». القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. الطبعة الثالثة، بيروت: دار الجيل، د. ت.

٩- «البحر المحيط». أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٠- «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة». القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت.

١١- «بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة». الصعيدي، عبد المتعال. الطبعة السابعة عشر، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ م.

١٢- «البلاغةُ الواضحةُ». الجارم، علي، وأمين، مصطفىٰ. د. ط، القاهرة: دار المعارف، د. ت.

١٣- «البيان والتبيين». الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. الطبعة السابعة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ = ١٩٨٨ م.

١٤- «تأويل مشكل القرآن». ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م.

١٥- «التحرير والتنوير». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٦- «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل». المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار. تحقيق: محمد زياد وفرح نصري. الطبعة الأولىٰ، قطر: وزارة الأوقاف، ١٤٣٥ هـ = ٢٠١٤م.

١٧- «تلخيص البيان في مجازات القرآن». الشريف الرضي، أبو الحسن السيد محمد بن الحسين بن موسىٰ الحسيني. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد علي مقلد. د. ط. بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت.

١٨- «التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول». الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي. تحقيق د. محمد حسن هيتو. الطبعة الأولىٰ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ.

١٩- «التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية». محمد. أحمد سعد. الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الآداب، د. ت.

٢٠- «التوجيه البلاغي». عليوة، عبد الله حسن. رسالة دكتوراه، مصر: كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٦ هـ.

٢١- «التيسير في القراءات السبع». الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. تحقيق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولىٰ، الإمارات: مكتبة الصحابة، ٢٠٠٨ م.

٢٢- «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن

غالب الآملي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٢٣- «جامع البيان في القراءات السبع». الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. الطبعة الأولىٰ، الإمارات: جامعة الشارقة، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.

٢٤- «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع». الهاشمي، أحمد بن إبراهيم. ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. د. ط، بيروت: المكتبة العصرية، د. ت.

٢٥- «حرز الأماني ووجه التهاني». الشاطبي، أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد، تحقيق: محمد تميم الزعبي، د. ط، مؤسسة ألف لام ميم، د. ت.

٢٦- «حلية اللبب المصون بشرح الجوهر المكنون». الدمنهوري، شهاب الدين أحمد بن عبد المنعم. مطبوع بهامش حاشية العلامة الشيخ مخلوف علىٰ حلية اللبب المصون، د. ط، القاهرة: مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٥٧ هـ= ١٩٣٨ م.

٢٧- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون». السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. د. ط، دمشق: دار القلم، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.

٢٨- «دلائل الإعجاز في علم المعاني». الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. تحقيق: الأستاذ محمود شاكر، الطبعة الثالثة، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ م.

٢٩- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

٣٠- «سير أعلام النبلاء». الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

٣١- «شذا العرف في فن الصرف». الحملاوي، أحمد بن محمد. قدم له وعلق عليه: الدكتور محمد

بن عبد المعطي، خرج شواهده ووضع فهارسه: أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري. د. ط، الرياض: دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

٣٢- «شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك». ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون، القاهرة: دار التراث، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

٣٣- «شرح الهداية». المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار، تحقيق ودراسة: الدكتور حازم سعيد حيدر، د. ط، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥ هـ.

٣٤- «شرح عقود الجمان وبهامشه حلية اللب المصون علىٰ الجوهر المكنون». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. د. ط. بيروت: دار الفكر، مصورة عن طبعة الحلبي. د. ت.

٣٥- «الشفاء في علل القراءات». لأبي الفضل البخاري، أحمد بن محمد بن محمد. من أول الكتاب إلىٰ آخر سورة يوسف، دراسة وتحقيق: صالح بن أحمد العماري، رسالة دكتوراه، السعودية: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٦- ١٤٣٧هـ.

٣٦- «صحيح مسلم». مسلم بن الحجاج أبو الحسن. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م.

٣٧- «الصناعتين». العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ.

٣٨- «طبقاتُ المفسِّرين». الدَّاوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد. راجعَتها لجنةٌ من العلماء، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٣٩- «غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار». الهمذاني، أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل. تحقيق: د. أشرف طلعت، الطبعة الأولىٰ، جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م.

٤٠- «غريب القرآن المسمىٰ بنزهة القلوب». السجستاني، أبو بكر محمد بن عُزير، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الطبعة الأولىٰ، سوريا: دار قتيبة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٤١- «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. الطبعة الأولىٰ، دمشق، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ.

٤٢- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤٣- «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها». القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار، تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان، د. ط، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

٤٤- «كنز المعاني». الجعبري، برهان الدين أبىٰ إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل. ضمن كتاب «الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني»، اليزيدي، أحمد. د. ط. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٤٥- «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علىٰ. الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤٦- «المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي لسبط الخياط». قزمار، وفاء عبد الله، رسالة دكتوراه، السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة أم القرىٰ، ١٤٠٤هـ.

٤٧- «متممة الآجرومية». الرعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب. اعتنىٰ بها: علي عبد الله السلوم، الطبعة الأولىٰ، الرياض: دار الصميعي، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

٤٨- «المستنيرُ في القراءات العشر». ابن سوار، أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر. تحقيق ودراسة: د. عمار أمين الددو، الطبعة الأولىٰ، الإمارات: دار البحوث للدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٤٩- «المشكاة الفتحية علىٰ الشمعة المضية». الدمياطي، محمد بن محمد البديري. قرأه وعلق عليه: الدكتور يحيىٰ مراد، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤م.

٥٠- «المطول على التلخيص». التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر. د. ط، تركيا: الحاج محرم أفندي البوسنوي، ١٣٠٨هـ.

٥١- «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخَران، الطبعة الرابعة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م.

٥٢- «مفتاح العلوم». السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٣- «المفردات في غريب القرآن». الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، تحقيق الدكتور صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ ١٤١٢ هـ.

٥٤- «ملامِحُ مِن الإعجازِ البياني في ضوءِ القراءاتِ القرآنيةِ». الخراط، أحمد محمد، منشور إلكترونيًّا بموقع الألوكة.

٥٥- «النشر في القراءات العشر». ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. أشرف علىٰ تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: الشيخ علي محمد الضباع، د. ط، المطبعة التجارية الكبرىٰ، مصورة دار الكتاب العلمية، د. ت.

٥٦- «الوافي بالوَفَيات». الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفىٰ. الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م.

٥٧- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان». ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولىٰ، بيروت: دار صادر، ١٩٩٠-١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٣

المقدِّمةُ ٢٧

أهميَّةُ الموضوعِ ٢٨

أَسبابُ اختيارِ الموضوعِ ٢٩

خُطةُ البحثِ ٢٩

منهجي في البحثِ ٣٠

الدراساتُ السابقةُ في الموضوعِ ٣١

الجديدُ في هذا البحثِ ٣٢

الفصلُ الأوَّلُ: قواعدُ الفصاحةِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ ٣٣

القاعِدَةُ الأُولىٰ ٣٣

القاعِدَةُ الثانِيةُ ٣٤

القاعِدَةُ الثالِثةُ ٣٥

القاعِدَةُ الرابِعةُ ٣٦

القاعِدَةُ الخامِسةُ ٣٧

القاعِدَةُ السادِسةُ ٣٨

القاعِدَةُ السابِعةُ ٣٩

القاعِدَةُ الثامِنةُ ٣٩

القاعِدَةُ التاسِعةُ ٤٠

الفصلُ الثاني: قواعدُ علمِ المعاني المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ ٤١

القاعِدَةُ الأُولىٰ ٤١

القاعِدَةُ الثانيةُ ٤٢

القاعِدَةُ الثالثةُ ٤٣
القاعِدَةُ الرابعةُ ٤٤
القاعِدَةُ الخامسةُ ٤٥
القاعِدَةُ السادسةُ ٤٦
القاعِدَةُ السابعةُ ٤٧
القاعِدَةُ الثامنةُ ٤٨
القاعِدَةُ التاسعةُ ٤٨
القاعِدَةُ العاشرةُ ٥٠
القاعِدَةُ الحاديةَ عشرةَ ٥١
القاعِدَةُ الثانيةَ عشرةَ ٥٢
القاعِدَةُ الثالثةَ عشرةَ ٥٤
القاعِدَةُ الرابعةَ عشرةَ ٥٤
القاعِدَةُ الخامسةَ عشرةَ ٥٦
القاعِدَةُ السادسةَ عشرةَ ٥٧
القاعِدَةُ السابعةَ عشرةَ ٦٠
القاعِدَةُ الثامنةَ عشرةَ ٦٢
القاعدةُ التاسعةَ عشرةَ ٦٢
القاعِدَةُ العشرون ٦٣
القاعِدةُ الحاديةُ والعشرون ٦٤
القاعِدَةُ الثانيةُ والعشرون ٦٥
القاعِدَةُ الثالثةُ والعشرون ٦٦
القاعِدَةُ الرابعةُ والعشرون ٦٧
القاعِدَةُ الخامسةُ والعشرون ٦٨
القاعِدَةُ السادسةُ والعشرون ٦٨

القاعِدَةُ السابعةُ والعشرون ٦٩
القاعِدَةُ الثامنةُ والعشرون ٧٠
القاعِدَةُ التاسعةُ والعشرون ٧٢
القاعِدَةُ الثلاثون ٧٤
القاعِدَةُ الحاديةُ والثلاثون ٧٥
الفصلُ الثالثُ: قواعدُ علمِ البيانِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ ٧٨
القاعِدَةُ الأولىٰ ٧٨
القاعِدَةُ الثانِيَةُ ٧٩
القاعِدَةُ الثالِثَةُ ٧٩
الفصلُ الرابعُ: قواعدُ علمِ البديعِ المستخرَجةُ من القراءاتِ القرآنيَّةِ ٨١
القاعِدَةُ الأولىٰ ٨١
القاعِدَةُ الثانية ٨٢
القاعِدَةُ الثالِثَةُ ٨٢
القاعِدَةُ الرابِعَةُ ٨٣
القاعِدَةُ الخامِسَةُ ٨٤
القاعِدَةُ السادِسَةُ ٨٥
الخاتمة: ٨٦
أهم النتائجُ والتوصياتٌ ٨٦
الفهارس ٨٩
فهرس الآيات ٩٠
فهرسُ القواعدِ ٩٥
فهرس المصادر والمراجع ٩٩
فهرس الموضوعات ١٠٥

أستاذ اللغة العربية بالثانوي التأهيلي، الصويرة -المغرب-

- حاصل على درجة الماجستير في النقد الأدبي من كلية الآداب بجامعة القاضي عياض مراكش بأطروحته: النموذج التأويلي التقابلي وانسجام الخطاب القرآني.
- حاصل على درجة الدكتوراه في النقد الأدبي من كلية الآداب بجامعة القاضي عياض مراكش بأطروحته: تلقي ألف ليلة وليلة في النقد المغاربي.

بعض النتاج العلمي:

- كتاب بعنوان «التقابلية منهجا لانسجام خطاب التأويل» ٢٠١٩.
- المشاركة في كتاب جماعي بعنوان أدب الرحلة؛ جدلية الأنا والآخر في عالم متغير، تقديم وتنسيق: الدكتور خالد التوزاني، طبعة ٢٠٢٠م.
- كتاب على مرمى حجر (أدب الرحلة)، دار السعيد للنشر، مصر، ٢٠٢٠.
- المشاركة في كتاب جماعي بعنوان «نحو بلاغة تأويلية جديدة، أبحاث محكمة في جهود الباحث الأكاديمي المغربي محمد بازي، تقديم وتنسيق الدكتور الحسين اخليفة، مطبعة قرطبة، أكادير، ط١، ٢٠١٩.
- شارك في العديد من الندوات الوطنية والدولية.

البريد الإلكتروني: molodarniba@gmail.com

مستخلص البحث

يُعنىٰ هذا البحث بدراسة: (الإعجاز الأسلوبي في تفسير أبي السعود، تفسير سورة آل عمران أنموذجا)، متوسّلا بالمنهج التحليلي – الوصفي.

وتتجلىٰ أهميّته في كشف نوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز الأسلوبي لما له من أهمية في تذوق المعاني القرآنية وتدبرها.

ويهدف البحث إلىٰ بيان أهمية المسلك الأسلوبي في تجلية المعاني القرآنية، وفي كشف أسرار نظم هذا الكتاب العجيب، باعتباره قابلا للدراسة وفق بعض المناهج الحديثة رافعا تحديه الإعجازي في وجه ما استجد من آليات في مجال تحليل الخطاب.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، ومدخل، وسبعة مباحث، وخاتمة:

فأما المقدمة فتضمنت التعريف بالموضوع، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة فيه، وخطته.

وأما المدخل فخُصّص للتذكير بوجوه إعجاز القرآن، فالتعريف بالتفسير وصاحبه، ثم حديث عن الأسلوبية والأسلوب.

وجاءت المباحث على النحو الآتي:

الأول: التقديم والتأخير.

الثاني: التعريف والتنكير.

الثالث: الإظهار والإضمار.

الرابع: اختيار صيغة بدل أخرى.

الخامس: مادة الكلمة.

السادس: التكرار.

السابع: الالتفات.

وخلص البحث إلى بيان أهمية تفسير أبي السعود لما يزخر به من نكات بلاغية وأسلوبية في تذوق القرآن، وإلى تأكيد النظم الفريد لكتاب الله على مستوى أسلوبه؛ مؤكدين على أن المقولات الأسلوبية يمكن أن تكون مدخلا للاستدلال على إعجاز القرآن، وآلية من آليات تذوقه وتدبره.

ويوصي البحث بأهمية دراسة القرآن بما استجد في علوم اللسانيات وتحليل الخطاب شريطة مراعاة خصوصيته وسياقاته، والحفاظ على إسهامات التراث في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، الأسلوبية، الإعجاز الأسلوبي، تأويل.

Stylistic Inimitability in the Tafsir of Abu Al Saud

"Tafsir of Surat Al-Imran as an Example"

Dr. Miloud Arnibah
,Professor of Arabic Language, Vocational Secondary Education
Essaouira, Morocco

Abstract

This research focuses on studying: (The stylistic inimitability in the Tafsir of Abu Al Saud, Tafsir of Surat Al-Imran as an example), following the analytical, descriptive approach.

It mainly highlights the stylistic inimitability which reflects the great meanings of the Holy Quran.

The research also sheds light on the significance of stylistic approach to explaining the Quranic meanings, as well as revealing the secrets of this miraculous book, given that it stands firm as a great miracle before the new analytical approaches of speech.

The research includes a foreword, an introduction, seven sections, and a conclusion:

The foreword includes presentation to the subject, as well as its objectives, methodology, previous studies, and plan.

The introduction shows the stylistic inimitability of the Holy

Quran, and includes presentation of the Tafsir and its author as well as his approach and methodology.

The sections are as follows:

First: Anastrophe

Second: Definite and Indefinite

Third: Incorporation and Ellipsis

Fourth: Substitution

Fifth: Origin of the Word

Sixth: Repetition

Seventh: Apostrophe

The research sheds light on the significance of the Tafsir of Abu Al Saud, given that it is full of rhetoric styles in the interpretation of the Holy Quran. In addition, it highlights the unique style of the Quran, while indicating that stylism is one of the contemplation approaches of the Quran and proves the inimitability of this sacred Book.

The research recommends studying the Quran in light of the latest developments in linguistics while taking into consideration its specificities and contexts and keeping the heritage contributions in this field.

Key words: Inimitability, Stylistic, Stylistic inimitability and interpretation

المقدمـــة

١- موضوع البحث وأهدافه:

يعالج هذا البحث موضوع الإعجاز الأسلوبي في تفسير أبي السعود، ويهدف إلىٰ الكشف عن أحد وجوه إعجاز الكتاب العزيز الذي لا تنقضي عجائبه، وهذا الوجه مرتبط أساسًا بالجانب اللغوي، باعتبار القرآن الكريم ظاهرة لغوية، تحدَّىٰ الله تعالىٰ بها قومًا برعوا في اللغة.

وننطلق من تفسير أبي السعود الذي أودعه صاحبه صورًا عديدة من هذا الإعجاز بشكل لافت، فكانت غايتنا هي أن نتتبع الصور التي توقَّف عندها الشيخ، وكيف أعمل فكره فيها متدبرًا ليقدم لها تأويلات خاصة، تدل علىٰ تميز هذا المفسر في هذا الجانب من جهة، ومن جهة أخرىٰ تكشف لنا جانبًا مهمًّا من الجوانب التي برع فيها الأسلوب القرآني وجعلها رافدًا من روافد إعجازه المتعددة؛ عملًا بالقاعدة التي تقول بأن أي تغيير في المبنىٰ يلازمه تغيير في المعنىٰ.

٢- دواعي البحث وإشكاليته:

وقفت عدة اعتبارات وراء اختياري لموضوع الجانب الأسلوبي في تفسير أبي السعود المسمىٰ «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم» من خلال سورة آل عمران أهمها:

- أن سورة آل عمران تتناسب مع طبيعة البحث والغلاف الحيزي، حتىٰ لا يكون طويلًا فيُمل، أو قصيرًا فيُخل.

- عناية أبي السعود الظاهرة بهذه اللفتات واللطائف التي تميز النص القرآني في تفسيره، وهي عناية ظاهرة وبيّنة تنم عن نية وقصد، واتجاه واضح في التفسير.

- محاولة اختبار علم الأسلوب ومعرفة مدىٰ جدواه في الدراسات القرآنية عامة، والتفسير علىٰ وجه الخصوص.

وينطلق البحث من إشكالية أساسية وهي: إلىٰ أي حد يُعتبر المسلك الأسلوبي ذا قيمة وجدوىٰ في كشف أسرار التنزيل واستخراج درره وعجائبه التي لا تنقضي من خلال ما جاء من لفتات في تفسير أبي السعود؟

وقد وضعنا بعض الفرضيات التي ستكون موضوع الاختبار في صفحات هذا العمل المتواضع، وهي:

- أن أبا السعود جاء بمنهج مخالف لمنهج النحاة واللغويين في التعامل مع ظاهرة خروج الأساليب القرآنية عن التراكيب النمطية، أو ما يسميه المعاصرون بـــ«الانزياح»(١).

- أن علم الأسلوب يمكن أن يكون مدخلًا لفهم النص القرآني وتأويله، ووسيلة لكشف الإعجاز الأسلوبي فيه.

---

(١) مفهوم الانزياح قد استعمل أول مرة في الدراسات الأسلوبية خاصة عند ريفاتير وبالي وسبيتزر، ولكن جون كوهن هو الذي أعطىٰ المفهوم بعدًا آخر وطوره حتىٰ ارتبط باسمه، وذلك في كتابه المشهور **بنية اللغة الشعرية**، الذي ترجمه محمد العمري ومحمد الولي، عن دار توبقال للنشر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦.

ويرد هذا المفهوم بمصطلحات أخرىٰ منها: التجاوز، الانحراف، الاختلال، الإحاطة، المخالفة، الانتهاك، خرق السنن، العصيان، اللحن، التحريف. ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: (ص ١٠٠، ١٠١).

۞ ٣- الدراسات السابقة:

لقد شكل الإعجاز الأسلوبي اهتمام العديد من الباحثين في علم الأسلوب وفي الإعجاز القرآني؛ فنتج عن ذلك مجموعة من الدراسات، أغلبها ركزت علىٰ قضايا شبيهة بتلك التي يتناولها أبو السعود في تفسيره؛ أي أنها سعت إلىٰ البحث في أسرار الأسلوب القرآني عبر اختياراته، نافية عنه الخطأ.

ومن أبرز الدراسات التي توقفنا عندها كتاب بعنوان: «الإعجاز الأسلوبي والنحو»، لِعِزِّ الدين الذهبي، تناول هذا الكتاب الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم بشكل علمي، معتمدًا التصور اللساني في معالجة قضاياه، **وبمنهج قائم علىٰ الفصل بين نظامين:**

الأول: نظام اللغة ويمثله النحاة، وأظهر في بنائهم للقواعد التكلف والتعقيد وعدم قدرتهم علىٰ فهم الانزياحات في النص القرآني، مما حال دون تلمسهم للعامل الجمالي والدلالي للنصوص، بسبب إسقاط نظام اللغة علىٰ نظام النص.

والثاني: نظام النص؛ الذي يمثله التصور الجديد المرتكز علىٰ أسلوبية الانزياح باعتماد المفاهيم اللسانية التي تمكن من تلمس بعض المعاني الجديدة في القرآن، وبيان بعض ما فيه من الانزياحات الدالة علىٰ إبداعيته ودلالته، وبالتالي إعجازه. ثم خلص الباحث إلىٰ أن الأسلوبية علم قادر علىٰ مقاربة النصوص -ومنها القرآن- أسلوبيًّا، وبيان ما وقع فيه النحاة من تكلف وأخطاء وعدم قدرة علىٰ كشف مغالق النصوص.

وهناك دراسة أخرىٰ، وهي عبارة عن مقالة للكاتب العراقي عبد الهادي خضير نيشان بعنوان «المغايرة الأسلوبية في القرآن، آراء وملاحظات»، والمقالة

منشورة في مجلة اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٦، الجزء الأول، ١٤٣٢هـ، توقف فيها الباحث عند بلاغة الأسلوب في الآيات المتشابهة، وقد أكد المبدأ الذي اتفق عليه العلماء منذ القديم، وهو أن أي تغيير في الآية المكررة عن سابقتها حتىٰ لو كان في حرف واحد لا بدَّ أن يكون وراءه فرق دلالي ينبغي طلبه وتلمسه. إلا أنه افترض وجود تفسير آخر لهذه المغايرة الأسلوبية، وهو مراعاة السياق الصوتي، أو هو البحث عن تلوين المغايرة الأسلوبية حتىٰ لا يكون التكرار تامًّا.

وقد اخترنا الاشتغال علىٰ تفسير أبي السعود لما لمسنا فيه من لفتات طريفة وعميقة، لا تنكشف إلا لرجل تقي ورع أدام النظر والتدبر في كتاب الله تعالىٰ؛ فكانت نتائج ذلك إشراقات ربانية، جلت صورة مهمة من صور إعجاز هذا الكتاب، وأظهرت غنىٰ اختياراته ونظمه الذي فاق نظم كل كلام وباينه.

٤- منهج البحث:

وأما عن المنهج المتبع في البحث، فهو منهج وصفي تحليلي؛ ذلك أننا نرصد الظاهرة الأسلوبية التي أشار إليها المفسر بشكل متكرر، فنعرفها انطلاقًا مما تداوله علماء القرآن الكريم والبلاغيين، ثم بعد ذلك نستحضر ما ذكره الشيخ بخصوص الآيات التي وردت فيها فنصفه ونحلله، وفي الأخير نعلق عليه بما فتح الله علينا من التأمل والتفكر.

٥- خطة البحث:

وفيما يتعلق بخطة البحث، فإننا قسمناه إلىٰ: **مقدمة** أبرزنا فيها موضوع البحث وأهدافه، ثم حددنا إشكاليته، ووضحنا خطته ومنهجه.

وأتبعناها **بمدخل**، ذكرنا فيه وجوه إعجاز القرآن الكريم التي تداولها العلماء والمفسرون، ثم عرفنا بأبي السعود، وتفسيره، لننتقل فيما بعد إلىٰ الحديث عن

الأسلوب والأسلوبية في اللغة ثم في الاصطلاح، ولا سيما عند الغربيين، وذلك بشكل مختصر. واستحضرنا بعض الدراسات التي تناولت موضوع الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم.

وأما متن البحث فقد قسمناه إلى سبعة مباحث استخلصناها من خلال رصد الظواهر الأسلوبية الموجودة في سورة آل عمران، وهي على التوالي:

المبحث الأول: التقديم والتأخير

المبحث الثاني: التعريف والتنكير

المبحث الثالث: الإظهار والإضمار

المبحث الرابع: اختيار صيغة بدل أخرىٰ

المبحث الخامس: مادة الكلمة

المبحث السادس: التكرار

المبحث السابع: الالتفات.

ثم ختمنا البحث بمجموعة من الخلاصات والنتائج وتوصية.

ونشير إلىٰ أننا اشتغلنا بتفسير سورة آل عمران في الجزء الأول من التفسير من ص: ٤٣٠ إلىٰ ص٦٣٦. واكتفينا بتخريج الآيات؛ لأنها -في ظننا- تحيل مباشرة علىٰ أقوال أبي السعود بخصوصها، وذلك اجتنابًا لكثرة الإحالات.

والله نسأل أن يوفقنا ويفتح علينا ببعض ما فتح به علىٰ الشيخ الجليل أبي السعود في فتح مغاليق النص القرآني، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مدخـــل

لقد أنزل الله تعالىٰ علىٰ خير رسله أفضل كتبه، وتحدّىٰ بإعجازه جميع خلقه، من إنسه وجنه، فقال لهم في أول الأمر: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلما لم يقدروا خفَّف من درجة التحدي قائلًا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ثم لما عجزوا عن هذا أيضًا تحداهم بأقل من ذلك فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ثم إن وجوه الإعجاز فيه كثيرة لا تحصىٰ ولا تعد[(١)]، بلغ فيها الدارسون

(١) ذكر ابن القيم الجوزية بعض صور إعجاز القرآن الكريم التي تداولها العلماء، ولعل أهمها ما اختاره القاضي عياض وجماعة وهي أربعة:

١- حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادات العرب.

٢- صور نظمه العجيب الأسلوب الغريب، المخالف لأساليب كلام العرب.

٣- ما انطوىٰ عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن، ولم يقع فوجد كما أخبر.

٤- ما أتىٰ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة. الفوائد المشوق إلىٰ علوم القرآن وعلم البيان، لابن القيم، (ص٣٨٦)، وهذا الكتاب دارت شكوك حول نسبته إلىٰ ابن القيم، وقد حسم الدكتور زكريا سعيد علي خطأ هذه النسبة وأكد في كتاب **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن**، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، أن الكتاب مطبوع خطأ بعنوان الفوائد المشوق إلىٰ علوم القرآن وعلم البيان، لابن القيم الجوزية). =

والباحثون أقصىٰ الجهد، فلم يظفروا من درها إلا بالقليل، فوقفوا منبهرين أمام أسرار هذا التنزيل. فشجرته دائمة العطاء، لا يثنيها صيف ولا شتاء، وبستانه مرتع الفقهاء والعقلاء.

فكم من سورة من سوره الجامعات، وآية من آياته المحكمات أسجدت الجباه خلبًا، وخفقت لها القلوب عجبًا، فيه للعقل برهان وحجة، وللقلب جمال وطرفة، وللسان عذوبة ونغمة. كنوزه غالية ثمينة، وجواهره لامعة نفيسة، وعجائبه كثيرة لا تنقضي، وعطاؤه دائم أبدي، مَن احتج به أقنع، ومَن تغنَّىٰ بكلماته أخشع وأمتع، ومن درس خطوطه تفنن وأبدع.

ومن وجوه إعجازه التي سالت فيها بحار من المداد، وتنافس فيها العلماء

= **وذكر الزركشي اثنتي عشرة صورة لإعجازه، وهي:**

١- إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم.

٢- التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف.

٣- ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية.

٤- ما تضمن من إخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين.

٥- إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل.

٦- نظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه.

٧- الفصاحة وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب.

٨- النظم والتأليف والترصيف.

٩- أنه شيء لا يمكن التعبير عنه.

١٠- استمرار الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها.

١١- من جهة البلاغة.

١٢- بجميع ما وقع من الأقوال. (البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٣٢٣-٣٦٩).

والأفذاذ، فملأوا في ذلك الأسفار بالدرر والجواهر، وجاءوا فيها بالعجائب والبواهر: الإعجاز الأسلوبي.

ومن العلماء الأجلاء، خُدَّام الكتاب الأوفياء، الذين عنوا بذلك فجلوه خير جلاء، القاضي أبو السعود، صاحب كتابه المحمود، الذي سماه «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم»، وهو كتاب مشهور بين كتب التفسير المنثور، كثير الفوائد، شهي الموائد؛ فمَن يكون هذا العَلَم؟

١- ترجمة أبي السعود[(١)]:

هو شيخ الإسلام ومفتي الأنام المولىٰ؛ أبو السعود بن محمد العمادي، المتوفىٰ سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، ولد بقرية قريبة من قسطنطينية، وقرأ علىٰ والده كثيرًا؛ من جملة ما قرأ عليه حاشية التجريد للشريف الجرجاني، وشرح المفتاح للشريف أيضًا قرأه عليه مرتين، وشرح المواقف له أيضًا، وسار ملازمًا من المولىٰ سعدي جلبي وتنقل في المدارس، ثم قلد قضاء برسة، ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر ودام عليه مدة ثماني سنين، ثم لما توفي المولىٰ سعد الله بن عيسىٰ بن أمير خان تولىٰ مكانه الفتيا فقام بأعبائها أتم قيام، وذلك سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، واستمر علىٰ ذلك إلىٰ أن مات.

سارت أجوبته في جميع العلوم وجميع الآفاق مسير النجوم، وكان من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف علىٰ سنامها وغاربها، وضربت له نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها. تفرد في ميدان فضله فلم يجاره أحد، وانقطع عن

(١) اعتمدنا في ذلك علىٰ كتابين هما: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، (٨/ ٣٩٨-٤٠٠). وكشف الظنون لحاجي خليفة، المجلد الثاني، (ص ٦٥-٦٦).

القرين والمماثل في كل بلد.

عاقه الدرس والفتوىٰ والاشتغال بما هو أهم وأقوىٰ عن التفرغ للتصنيف؛ سوىٰ أنه اختلس فرصًا وصرفها إلىٰ التفسير الشريف، وقد أتىٰ بما لم تسمع به الأذهان، ولم تقرع بمثله الآذان، وسماه بإرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم. ولما بلغ تسويده سورة ص وطال العهد بيضه في شعبان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وأرسله إلىٰ السلطان سليمان خان، فاشتهر صيته وانتشرت نسخه في الأقطار، ووقع التلقي بالقبول من الفحول والكبار؛ لحسن سبكه ولطف تعبيره، فصار يقال له: خطيب المفسرين.

كان طويل القامة، خفيف العارضين، غير متكلف في الطعام واللباس؛ غير أن فيه نوع اكتراث بمداراة الناس والميل الزائد إلىٰ أرباب الرياسة، فكان ذا مهابة عظيمة، واسع التقرير، سائغ التحرير.

له شعر كثير مطبوع؛ منه قصيدته الميمية الطويلة التي أولها:

أبعد سليمىٰ مطلب ومرام ... وغير هواها لوعة وغرام

وفوق حماها ملجأ ومثابة ... ودون ذراها موقف ومقام

من مصنفاته[1]:

- بضاعة القاضي في الصكوك[2]: رسالة ألفها ليبين للقضاة الأصول والقواعد التي ينبغي عليهم مراعاتها في عملهم.

(١) ينظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، المجلد الثاني، (ص ٦٥- ٦٦).

(٢) كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/ ٢٤٧).

- تحفة الطلاب في المناظرة(١): منظومة في اثنين وخمسين بيتًا من الرجز.

- تواقف الأنظار في أوائل منار الأنوار(٢).

- حسم الخلاف في المسح علىٰ الخفاف(٣): رسالة مخطوطة يتضح من عنوانها أنها في الفقه وتتعلق بأحكام المسح علىٰ الخفين.

- الفتاوىٰ(٤): مجموعة فتاوىٰ أبي السعود، جمعها بعض العلماء والطلاب.

۞ ٢- بين يدي التفسير:

الكتاب الذي نشتغل عليه هو التفسير المعنون بـ«تفسير أبي السعود، أو إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم» لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (٩٠٠هـ-٩٨٢هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، من منشورات مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ.

يقع التفسير في خمسة أجزاء؛ يضم الجزء الأول مقدمة المحقق، وفيها ترجمة الشيخ أبي السعود، والتعريف بكتابه ومصادره، وأيضًا شرح لخطة المحقق، ثم ديباجة المؤلف وتفسير سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء. أما الجزء الثاني فيحتوي علىٰ تفسير السور من المائدة إلىٰ آخر سورة يونس، والجزء الثالث يبتدئ بسورة هود وينتهي بآخر سورة الأنبياء. ويبدأ الجزء الرابع بتفسير سورة

(١) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، (٩/ ٣٦٤).

(٢) كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢/ ١٨٢٦).

(٣) نفسه، (١/ ٧٥٥).

(٤) نفسه، (٢/ ١٢١٩).

الحج ويختتم بتفسير آخر سورة الزمر، وأما الجزء الخامس والأخير فيبدأ بسورة غافر التي سماها المفسر سورة المؤمن، وينتهي بآخر سورة الناس.

وقبل أن نخوض في الموضوع لا بد أن نعرج علىٰ معنىٰ الأسلوب والأسلوبية في وقفة مختصرة.

۞ ٣- الأسلوب والأسلوبية:

جاء في اللسان أن الأسلوب «يقال للسطر من النخل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، وهو الطريق والوجه، والمذهب، يقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي في أفانين القول»(١).

أما في الثقافة الغربية «فكلمة style مأخوذة من stylos التي تعني قضيبًا من الحديد كان القدماء يكتبون به علىٰ ألواح الشمع»(٢).

أما المعنىٰ المتداول في الحياة، فيدور حول طريقة التصرف وهو قديم جدًّا، وهناك معنىٰ أكثر تخصيصًا يتم تداوله بين عموم المتعلمين؛ وهو أن «الأسلوب هو وسيلة التعبير عن الفكرة بواسطة الكلمات والتركيبات»(٣)، وبمعنىٰ آخر هو «طريقة في الكتابة»(٤).

وفي الجانب الاصطلاحي لا نكاد نعثر علىٰ تعريف جامع، وإنما مجموعة من التعريفات المختلفة، ورغم اختلافها فإنها تجمع علىٰ مسألة «خصوصية التعبير،

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (سلب)، (ص٢٠٨٥).

(٢) اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، (ص٢٢)

(٣) معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، (ص١١٤).

(٤) الأسلوبية، بيير جيرو، (ص٩).

وتفرده»، ولكنهم اختلفوا أيضًا في تحديد مصدر هذه الخصوصية، فتفرقوا في ذلك اتجاهات ومذاهب؛ فمنهم من جعلها عند وسط معين (أطباء، حرفيين...)، وهناك من جعلها في عصر معين، وهناك من درسها عند كاتب معين، ومنهم من تتبعها في لغة معينة، ثم هناك من قاربها في نص معين؛ لأنهم اعتبروا دراستها عند كاتب معين تندرج ضمن مجال اللسانيات.

ويبدو أنه من الصعب العثور على تعريف موحد لـ«الأسلوب» يحدد دلالته تحديدًا دقيقًا؛ وسبب ذلك أن «هذه الكلمة لا تخص المجال اللساني وحده، بل استعملت في مجالات أخرى عديدة من مجالات الحياة اليومية والفن»(١). وقد تعددت التعاريف بشكل لافت، إلى درجة أن صلاح فضل قد أحصى حوالي ثلاثين تعريفًا(٢).

لكن هل يمكن أن نقول بأن الأسلوب وُجد في الثقافة العربية القديمة؟

الجواب: هو نعم، ولكنه وجود لغوي، أما المعنى الاصطلاحي ففيه شك. لقد ورد عند عبد القاهر (ت٤٧١هـ) مرتبطًا بالنظم، وذكره- أيضًا- ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في فصل صناعة الشعر ووجه تعلمه فقال: «فاعلم أنها عبارة عنده على المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان»(٣).

(١) البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، لهنريش بليت، (ص٥١).

(٢) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، (ص٩١ وما بعدها).

(٣) المقدمة، لابن خلدون، (٢/ ٣٩٧)

وأما الأسلوبية -أو علم الأسلوب- فهي علم وليد القرن العشرين، وتتفق مع الأسلوب الذي يعتبر مهدًا طبيعيًّا لها في «كونهما يقومان علىٰ مبدأ الانتقاء والاختيار للمادة الأدائية والتي تتكفل الأسلوبية بدراستها»(١)، وقد اعتبرت «علمًا لسانيًّا نقديًّا»(٢) كما عند الألماني س. أولمان. أما بيير جيرو فيرىٰ بأن الأسلوبية «دراسة للتعبير اللساني»(٣). وفي المدرسة الفرنسية هي «دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة»(٤). وقد عرَّف شارل بالي الأسلوبية أو علم الأسلوب بأنه «العلم الذي يدرس عناصر اللغة المنظمة، من وجهة نظر محتواها التعبيري والتأثيري»(٥)، وهي عند جاكبسون «بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولًا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيًا»(٦).

ويكاد الباحثون يتفقون علىٰ أن الفضل في ظهور الأسلوبية الغربية الحديثة يعود إلىٰ الفرنسي شارل بالي سنة ١٩٠٢(٧)، من خلال كتابه الموسوم بـ«بحث في علم الأسلوب الفرنسي»، وقد عرَّف الأسلوبية في موضع آخر بأنها «علم يعنىٰ بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة المعبرة عن الحساسية»(٨)، ثم

(١) البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، لرجاء عيد، (ص٢١).

(٢) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، (ص٢٤).

(٣) الأسلوبية، بيير جيرو، (ص١٠).

(٤) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، (ص١٣٤).

(٥) نفسه، (ص٩٨).

(٦) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، (ص٣٧).

(٧) نفسه، (ص٢٠).

(٨) في الأسلوبية والأسلوب، محمد اللويمي، (ص٤٢).

أُعلن عن اكتمالها علمًا لسانيًّا نقديًّا سنة ١٩٦٩م على يد الألماني س. أولمان(١).

وما قيل حول تعريف الأسلوب بخصوص كثرة التعريفات يسري- في جزء منه- على الأسلوبية أو علم الأسلوب؛ **وعمومًا فإن هذه التعريفات كلها يمكن ردها إلى ثلاثة اعتبارات(٢)، وهي:**

أولًا: باعتبار المرسل أو المخاطب (التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه: الأسلوب هو الرجل).

ثانيًا: باعتبار المتلقي والمخاطب (سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أيًّا كان هذا الأثر).

ثالثًا: باعتبار الخطاب (مجموعة الظواهر اللغوية المختارة الموظفة المشكلة عدولًا، وما يتصل به من إيحاءات ودلالات).

لذلك يمكن الحديث عن اتجاهات في الأسلوبية(٣)، تختلف باختلاف المنطلقات ووجهات النظر، ومنها اتجاهان كبيران، وهما: الأسلوبية اللسانية التي تسعى إلى تكوين علم أصوات ونحو ومعجم للمسالك الأسلوبية، وذلك بجمع أصناف المسالك الأسلوبية من النصوص، وهي تتميز باهتمامها «البحثي والتحليلي

(١) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، (ص٢٤).

(٢) ينظر الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، (ص ٥٧-١٠٦).

(٣) يقدم هنريش بليت تصنيفًا لاتجاهات الأسلوبيات، فيذكر منها: الاتجاه التعبيري، والاتجاه المحاكاتي، والاتجاه التأثيري، والاتجاه التأليفي، وأسلوبية السجلات، والأسلوبية السيميائية، وأسلوبية السياق، وأسلوبية الانزياح، وأسلوبية الإحصاء. (ينظر: هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، (مقدمة المترجم)، (ص١٣).

والوصفي بالأسلوب أخذًا بمناهج وأسس لسانية تدخلها في دائرة البحث اللساني والنظري»[(١)]. والأسلوبية الأدبية التي تعتبر خصوصية الحدث الأسلوبي وطابعه الفردي، وتنكر أي إمكانية لوضع المسالك الأسلوبية في أصناف، ولا يمكن دراستها إلا بالانطلاق من النص، أي أنها «ترمي إلىٰ الخطاب أو نقل الرسالة وإفهام المتلقي وتمييز الظواهر الأسلوبية بخصائص وصفات وسمات إشارية محددة مستعينة بالأسلوبية اللسانية»[(٢)]. واندرجت تحت كل اتجاه اتجاهات أخرىٰ.

٤- بين البلاغة والأسلوبية:

تثير العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة مجموعة من الإشكالات والتساؤلات؛ فهل البلاغة هي مهد الأسلوبية؟ أم أن الأسلوبية علم حديث النشأة لا علاقة له بالبلاغة؟ وهل فعلًا أصبحت البلاغة عاجزة عن تحليل النصوص لتترك المجال للأسلوبية بديلًا لها قادرًا علىٰ هذا التحليل؟ وما حدود العلاقة بين الطرفين؟

يرىٰ بعض الباحثين الغربيين أن العلاقة بين البلاغة الغربية القديمة والأسلوبية الحديثة هي علاقة خلف بسلف، فأغلبهم يقرّون بأن الأسلوبية هي العلم الحديث البديل عن البلاغة بمفهومها التقليدي، فعندما «شب علم الأسلوب أصبح هو البلاغة الجديدة في دورها المزدوج، كعلم للتعبير ونقد للأساليب»[(٣)]، وهذا ما ذهب إلىٰ مثله بيير جيرو الذي يقول: «إن الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف»[(٤)]،

(١) «الأسلوبية اللسانية»، ولريش بيوشل، (ص١١٢).

(٢) نفسه، (ص١١٣).

(٣) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، (ص١٧٥).

(٤) الأسلوبية، بيير جيرو، (ص٩).

مما يعني أن بين الطرفين علاقة تداخل، وكأن البلاغة هي الأب، والأسلوبية هي الوريثة الشرعية للبلاغة القديمة(١)، وهو نفس ما رآه بول كولان إذ ذهب إلىٰ أن «الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر»(٢). وهناك من رأىٰ بأن الأسلوبية هي بعث جديد للبلاغة؛ ذلك أن البلاغة الغربية ماتت في نهاية القرن التاسع، و«لكنها ما لبثت أن بُعثت من جديد تحت اسم «علم الأسلوب»»(٣).

وعملًا بمبدأ رفض القطائع الإبستيمولوجية، والأخذ بنظرية تطور العلوم وارتباطها ببعضها، فإن الأسلوبية باعتبارها علمًا حديثًا «حاولت تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية، ومن حيث اقتصارها علىٰ الدراسة الجزئية التي تتناول اللفظة المفردة، ثم الصعود إلىٰ الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة»(٤)، ولا يعني ذلك أن بين الطرفين قطيعة تامة كما أشرنا، ولكن العلاقة بينهما ظلت منذ زمن وطيدة إلىٰ حد يصعب معه التمييز بين اختصاصات كل منهما، وقد عبر هنريش بليت عن طبيعة هذه العلاقة المتداخلة بقوله: «تتقلص الأسلوبية أحيانًا حتىٰ لا تعدو أن تكون جزءًا من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحيانًا عن هذا النموذج وتتسع حتىٰ لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها بلاغة مختزلة»(٥). وهذا التداخل نجده عند أول غربي استعمل مصطلح الأسلوبية، وهو نوفاليس، فهي عنده «تختلط مع البلاغة»(٦).

(١) البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبد المطلب، (ص٢٥٩).

(٢) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، (ص٥٢).

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي، د.صلاح فضل، (ص٣٦٥).

(٤) البلاغة والأسلوبية، د.حمد عبد المطلب، (ص٣٥٢).

(٥) البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، لهنريش بليت، (ص١٩).

(٦) الأسلوبية، بيير جيرو، (ص٩).

أما عند العرب فقد تباينت آراء الدارسين حول طبيعة هذه العلاقة؛ فمنهم من رأىٰ بأن الأسلوبية والبلاغة ترتبطان ارتباطًا وثيقًا، واعتبر بعضهم أن الأسلوبية ليست علمًا غربيًّا حديث النشأة كليًّا، ولكن لها جذورها في البلاغة العربية القديمة، ومنهم عبد المنعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود وعبد العزيز شرف الذين اعتبروا عبد القاهر الجرجاني رائد الأسلوبية في البيان العربي(١).

وما ذهب إليه شكري عياد شبيه بهذا التوجه؛ إذ اعتبر أن «علم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا؛ لأن أصوله ترجع إلىٰ علوم البلاغة، وثقافتنا العربية تزدهي بتراث غني في علوم البلاغة»(٢).

ويُعتبر كتاب «الأسلوب» لأحمد الشايب محاولة مبكرة لدمج البلاغة بالأسلوبية في تجديد البلاغة العربية، فقد أعلن الكاتب في التقديم عن تطبيق منهج جديد يضع البلاغة العربية وضعًا جديدًا يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتها العلمية والإنشائية.

ويدرج البلاغة العربية في بابين أولهما: باب الأسلوب، ويدخل ضمنه موضوعات: المعاني والبيان والبديع، لا علىٰ أنها علوم مستقلة، بل علىٰ أنها فصول في باب الأسلوب تناول بحوثها كما يتناول غيرها(٣).

والدارسون الذين أكدوا علىٰ العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة كثيرون، ذكر منهم محمد كريم الكواز(٤): تمام حسان، أحمد مطلوب، لطفي

(١) الأسلوبية والبيان العربي، د.محمد عبد المنعم خفاجي وآخران، (ص١٥١ وما بعدها)

(٢) مدخل إلىٰ علم الأسلوب، د.شكري عياد، (ص٧).

(٣) الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، لأحمد الشايب، (ص٣).

(٤) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكواز، (ص١١٢ وما بعدها).

البديع، حمادي صمود، عبد الحكيم راضي.

ورأى الكواز بأن أوجه التلاقي بين البلاغة والأسلوبية تمت على مستوى مفهومي العدول والمقارنة الأسلوبية.

وهناك من اعتبر أن الأسلوبية تختلف اختلافًا بينًا عن البلاغة العربية القديمة، ونفى الصلة بينهما، ومنهم صلاح فضل الذي يقول بصريح العبارة: «فمن السذاجة بمكان أن نتصور علمًا ناضجًا في غير عصره؛ لأن هذا يؤدي إلى خلل في بنية الثقافة الإنسانية»(١).

وهناك فئة ثالثة تقف موقفًا وسطًا، فهي ترى بأن ثمة مواضع تتفق فيها الأسلوبية والبلاغة، وهناك مواضع أخرى تختلفان فيها، ومن هؤلاء محمد كريم الكواز الذي، وإن كان يميل إلى فصل البلاغة عن الأسلوبية، فإنه يقر بأمور بدت لنا وجيهة، فأجملناها كما يأتي(٢):

- اختلاف البلاغة عن الأسلوبية في مستوى من مستويات الإعجاز البلاغي القرآني لا يعني القطيعة التامة؛ ولكن يعني أن التطابق بين بعض المقولات قد يحصل بين بلاغة القرآن والأسلوبية.
- إمكانية الاستفادة من الأسلوبية في الكشف عن بلاغة القرآن من حيث المنهج، مع مراعاة خصوصية مستوى الإعجاز.
- الحاجة إلى تنمية آراء بعض العلماء العرب وتوضيحها بما يجعل الإفادة من الأسلوبية في المستقبل مدخلًا واسعًا إلى الإعجاز البلاغي.

(١) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، (ص١٨٤).

(٢) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكواز، (ص ١٤٣- ١٤٤).

- التمييز بين بلاغة أرسطو التي ورثتها الحضارة الغربية فأقامت علىٰ أنقاضها الأسلوبية، وبلاغة العرب التي ترعرعت في ظل القرآن الكريم.

والذي نميل إليه هو أن الصلة ثابتة بين البلاغة العربية القديمة والأسلوبية؛ لكننا لا ندعي تعصبًا أن الأسلوبية علم عربي النشأة، ولكن من الجائز أن بعض مبادئ هذا العلم قد وُجدت عند البلاغيين القدامىٰ ولكن باعتبارها مفاهيم ذهنية متداولة، أما القول بأن الأسلوبية وُجدت بالتصور الغربي الحديث في التراث البلاغي العربي فلا يمكن أن يقول بمثله عاقل.

ولكن الذي لا شك فيه هو أن عددًا لا بأس به من مباحث البلاغة العربية يمكن تناوله تناولًا جديدًا في إطار الأسلوبية الحديثة؛ فعلىٰ سبيل المثال ما تناوله عبد القاهر الجرجاني من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وغير ذلك من وجوه البيان والبديع كان «تحديدًا قريبًا من مفهوم الأسلوبية في المذاهب الغربية الحديثة»(١).

وهذا ما أكده محمد عبد المطلب الذي أبرز العلاقة بين المباحث البلاغية والأسلوبية بقوله: «وإذا كان علم المعاني يتصل بدراسة الأسلوب من حيث ما يعرض للجملة، فإن علم البيان يتصل بها من حيث ما يعرض للمفرد»(٢).

وعمومًا فإن الأسلوب يسمح بتناول القضايا البلاغية تناولًا حديثًا ما دام أنه «خروج علىٰ المعيار أو المألوف، أو اختراق للمثالية، والمثالية تكون في الأداء العادي للغة، وأما «الاختراق» أو ما يسمىٰ «خرق السنن» فإنما يكون في المستوىٰ الإبداعي لها»(٣).

(١) الأسلوبية والبيان العربي، د.محمد عبد المنعم خفاجي وآخران، (ص٥).

(٢) البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبد المطلب، (ص ٢٦٣- ٢٦٤).

(٣) نفسه، (ص٢٨٦).

وبناء على ما تقدم بدا لنا أن تناولنا لبعض المباحث البلاغية في تفسير أبي السعود من مدخل أسلوبي أمر مسوغ ومشروع، بغية أن نكشف عن تميّز الأسلوب القرآني في اختياراته الأسلوبية وربط ذلك بالدلالة ومقصدية المتكلم الذي هو الحق سبحانه من جهة، وحال المخاطبين من جهة ثانية، ثم طبيعة الخطاب القرآني في سياق معين من جهة ثالثة؛ للوقوف على بعض صور إعجازه التي لا تنقضي.

المبحث الأول

التقديم والتأخير

التقديم والتأخير من الأبواب التي أحيطت بعناية كبيرة من لدن الشيخ أبي السعود، وأتىٰ فيها بلطائف عديدة، وطرائف فريدة، ولا عجب في ذلك فإمام النحاة عبد القاهر احتفىٰ بهذا الباب أيما احتفاء، واعتبره من أهم مظاهر نظرية النظم التي أرسىٰ أسسها في كتابه «دلائل الإعجاز».

يقول إمام النحاة عن أهمية هذا الباب: «هو بابٌ جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلىٰ لطيفة»(١).

ويجعله مدخلا أساسًا لتذوق النصوص ووسيلة من الوسائل الفعالة لكشف جماليتها، من خلال تلمس مواقع التقديم، فإذا نظرت في شعر فراقك سماعه، ولذَّ عندك، وأردت أن تعلم الجهة التي منها جاء إعجابك به «فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكانٍ إلىٰ مكانٍ»(٢).

فالمعاني تتحدد تبعًا لطريقة ترتيب الألفاظ، وهو أحد التعريفات التي قدمها عبد القاهر لمفهوم المزية، فهي «تقع في اللفظ مرتبًا علىٰ المعاني المرتبة في النفس»(٣).

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني عبد القاهر، (ص١١٠).

(٢) نفسه، (ص١١٠).

(٣) نفسه، (ص١٢٣).

ولما كانت هذه هي أهمية التقديم والتأخير، فإن أبا السعود له وقفات مع هذه الظاهرة في كتاب الله يكشف أسرار التنزيل التي تهتز لها النفوس إعجابا؛ يقول في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥] «وتقديم الأرض علىٰ السماء؛ لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها، وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة علىٰ الترقي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة إلىٰ علومنا»(١).

فهذه قراءة تأويلية تستند إلىٰ وقفة تفكرية متأنية لا تتأتىٰ لزيد أو عمرو من الناس أيًّا كانا، ولكنها تحتاج لآحاد من الناس له دربة ودراية باللغة والتنزيل علىٰ حد سواء.

وليس الاعتناء وحده هو سبب التقديم، بل هناك أسباب أخرىٰ من مثال ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، فسبب تقديم السجود علىٰ الركوع يرجعه المفسر إلىٰ أحد احتمالين: فإما أن السجود في شريعتهم قبل الركوع، وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة، وأقصىٰ مراتب الخضوع، ولا غرو في ذلك فالنبي ﷺ يخبرنا في الحديث قائلًا «**أقربُ ما يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهو ساجدٌ؛ فَأَكثِرُوا الدُّعاءَ**»(٢).

ومن خلال المثال السابق يتضح أن الرجل لا يكتفي بإيراد وجه واحد لتأويل التقديم والتأخير، وإنما يعطي أحيانًا أكثر من وجه، كما هو الشأن في تعامله مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٤٣٧).

(٢) صحيح مسلم، لمسلم، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٢).

هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠] إذ يرىٰ بأن السر في تقديم الأموال وتأخير الأولاد يرجع لأحد سببين:

- ✓ **الأول:** لعراقة الأولاد في كشف الكروب.
- ✓ **والثاني:** لأن الأموال أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب.

وقد يأتي أحيانًا التقديم والتأخير لغاية جمالية تتعلق بالإيقاع؛ ففي قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢] يرىٰ بأن تقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل، فالآية التي قبلها هي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٩١] لم يوضح أبو السعود هنا قضية مراعاة الفواصل، ولكن الظاهر -والله أعلم- أنه قصد بتوافق الفواصل ما بين «أَلِيمٌ» باعتبار الوقف و«عَلِيمٌ»، ويشهد لذلك أن هذه الفاصلة وردت في آية سابقة هي: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩]، ولذلك جاءت كلمة «عَلِيمٌ» في نهاية الفاصلة الثانية لأنها توافق «رحِيمٌ» و«أَلِيمٌ»، أما كلمة «به»، فلا تسمح بهذه الإمكانية.

وقد عبر عن ذلك أحيانًا بالحفاظ علىٰ رءوس الآي، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٧]. فالآية التي قبلها تنتهي بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ومن أسرار التقديم أيضًا يذكر الشيخ القصر، ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾، فالجار والمجرور قدم هنا ليفيد أن كل

ما في السماوات وما في الأرض مقتصر ملكه على الله تعالىٰ لا ينازعه في ملكه أحد أيًّا كان. والشيء نفسه في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وإذا كان سيبويه (ت ١٨٠هـ) قد سطر قاعدة لهذا الباب، فجعل التقديم للعناية والاهتمام فقط، فرأىٰ بأن العرب «إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنىٰ وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم»(١)، فإن أبا السعود يرىٰ بأن كلًّا من المقدم والمؤخر يحتلان نفس المرتبة من حيث الاعتناء، ويربط ذلك بالمتلقي، فالأول مقدم للعناية والثاني مؤخر للتشويق إليه.

يقول: «فإن ما حقه التقديم إذا تأخر تبقىٰ النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع»(٢). والأمثلة علىٰ ذلك موجودة: منها تأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. وفي موضع آخر نجد أبا السعود يربط قضية التقديم والتأخير بمطابقة كلام الله لواقع الكون وأسرار انتظامه، ففي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] يرىٰ بأن تقديم الليل علىٰ النهار إما لأنه الأصل فإن غرر الشهور تظهر في الليالي، وإما لتقدمه في الخلقية حسبما ينبئ عنه قوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

❁ ❁ ❁

(١) الكتاب، لسيبويه، (١/ ٣٤).

(٢) تفسير أبي السعود، لأبي السعود،(١/ ٤٤١).

المبحث الثاني

التعريف والتنكير

ليس من الممكن أن تكون استعمالات القرآن الكريم عمومًا -ومنها استعمال الكلمة تارة معرفة وأخرىٰ منكرة- من قبيل العبث والصدف، ولكن لكل استعمال أسراره وخباياه، ولطائفه ودقائقه المتعلقة بسياق القول الذي ورد فيه هذا اللفظ. وأبو السعود من المفسرين الذين عنوا بالتنكير كثيرًا ووقفوا عند دلالاته معتمدًا في ذلك علىٰ إعمال فكره ورويته؛ عملًا بمطلب التدبر الذي أمرنا به في تعاملنا مع كتاب الله تعالىٰ.

وتتعدد هذه الدلالات بتعدد سياقات القول كما أشرنا؛ ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] يرىٰ بأن تنكير لفظ «غضب» في هذا الموضع له دلالتان: الأولىٰ تفيد التفخيم، والثانية تفيد التهويل، وهذا يتناسب والحديث عن طائفة الفاسقين من أهل الكتاب، فقد ضربت عليهم الذلة، ورجعوا بما رجعوا به من غضب الله، وغضب الله من أشد أنواع العذاب؛ إذ قرنه الله تعالىٰ بلعنته في سورة النساء في سياق الحديث عن ارتكاب كبيرة من الكبائر الخطيرة، وهي قتل النفس المؤمنة إذ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وتكاد علة التفخيم تطرد في تفسير أبي السعود، فهو يقول في معرض تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤] بأن تنكير كلمة «فضل» للتفخيم.

وهناك سر آخر من أسرار التنكير يكشفه لنا أبو السعود في تنكير لفظة «غم» في قول الله ﷻ: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] فيقول بأن التنكير هنا له دلالة التكثير، وهذا أيضًا يتناسب مع سياق القول، فالحديث هنا عن المؤمنين الذين خالفوا أمر رسول الله في غزوة أُحد، وأي غم أعظم من غم القتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وفوات الغنيمة.

ولا يكاد سر التنكير ينكشف لأبي السعود في بعض المواضع إلا بعد ربطه بموقعه في النظم القرآني، وعلاقته بما قبله وما بعده من الألفاظ، فيقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] بأن «تنكير الظلم وتوجيه النفي إلىٰ إرادته بصيغة المضارع دون نفسه، وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعروف والالتفات إلىٰ الاسم الجليل إشعار بعلة الحكم وبيان لكمال نزاهته ﷻ عن الظلم بما لا مزيد عليه؛ أي ما يريد فردًا من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الأوقات، فضلًا عن أن يظلمهم»(١)، ولهذا المعنىٰ ذهب الزمخشري إذ يقول: «ونكر «ظلمًا» وقال «للعالمين» علىٰ معنىٰ ما يريد شيئًا من الظلم لأحد من خلقه»(٢).

إن هذه الاختيارات التي ذهب إليها الإمام أبو السعود لم تخرج عما سطره أصحاب علوم القرآن، فالزركشي حصر ستة أسباب لاستعمال الكلمة القرآنية نكرة، وهي(٣): إرادة الوحدة، وإرادة النوع، والتعظيم، والتكثير، والتحقير،

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود،(١/ ٣٥٥).

(٢) الكشاف، للزمخشري، (١/ ٣٩٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٤/ ٩٩٢، ٩٩٣).

والتقليل. وهي نفسها الأسباب التي ذكرها السيوطي(١).

ومن خبايا التنكير التي قد لا يَنتبه إليها العامَّةُ: مجيء الكلمات النكرات منوَّنة في القرآن الكريم، وقد جاء فيها أبو السعود بالعجب العجاب، الذي لا يظفر بدره إلا ذوو الألباب، ممن يَسَّر الله لهم الأسباب، وذَلَّل لهم الصعاب، ففتح لهم الباب، وجلىٰ لهم أسرار الكتاب، فحلا لهم السهر معه وطاب، فهو يرىٰ بأن ورود الكلمة في القرآن الكريم نكرة منونة غالبًا ما يرتبط بتفخيم المنون وإظهار قيمته.

ونذكر علىٰ سبيل المثال بعض المواضع التي توقف عندها الشيخ في هذا الباب؛ ومنها:

قوله تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] فتنوين «رضوان» هنا يفيد الفخامة معنىٰ «رضوان وأي رضوان، لا يقادر قدره، كائن من الله ﷻ»(٢).

ويذهب في موضع آخر إلىٰ أن تنوين المفرد هو أيضًا للتفخيم وليس للدلالة علىٰ المفرد في حد ذاته، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ٤٩]، يعلق الشيخ قائلًا بأن التنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها. ولقد صدق الشيخ، فالله تعالىٰ يقول في محكم كتابه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨]، فالله تعالىٰ يتحدث عن الإحصاء ويذكر المعدود بصيغة المفرد، فكيف يحصىٰ ما هو مفرد؟ وهنا يظهر أن طريق الدراسة الأسلوبية يختلف عن طريق الدراسة اللغوية والنحوية، فهذه

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٢/ ٢١٢).

(٢) نفسه، (١/ ٤٥٢).

الثانية تتوقف عند حدود نعت كلمة «آية» بأنها لفظ دال على المفرد الذي لا يتعدى الواحد، أما الأولى فتبين أن الأمر يتعلق بمسلك أسلوبي له دلالة خاصة.

وغالبًا ما ترتبط الفخامة الذاتية في الكلمة مع الفخامة الإضافية للذات الإلهية، كما هو الشأن في «مغفرة» قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، وفي قوله أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والشيء نفسه يقال في قوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤] أي: رجعوا ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها.

المبحث الثالث

الإظهار والإضمار

من النكات التي نبه عليها أبو السعود في تفسيره هذا الوجه من أوجه الإعجاز القرآني، وخصوصًا أسرار الإظهار في موضع الإضمار، وقدم لذلك دلالات وتأويلات تتراوح بين المعاني الآتية:

١- **تعميم الحكم،** كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، فإيثار الإظهار علىٰ الإضمار في هذه الآية «لتعميم الحكم بكل الكفرة والإشعار بعلته، فإن سخط الله تعالىٰ عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولي عن الطاعة كفر، وبأن محبته ﷻ خاصة بالمؤمنين»(١).

٢- **العناية،** ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١] يرىٰ أبو السعود أن إظهار اسم الجلالة في موضع الإضمار لإظهار مزيد الاعتناء بشأن التمحيص.

٣- **التربية والمهابة،** ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] أظهر اسم الجلالة في موضع يستلزم الإضمار لغاية خفية، وهي تربية العناية والمهابة؛ أي تربية سلوك المهابة من الله ﷻ من طرف العباد.

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٤٦٦).

٤- **المبالغة والتهويل:** وهي إحدىٰ مقاصد هذا الباب التي تنبه لها المفسر ﷺ، فقد أظهر العزيز ﷻ اسمه في موضع الإضمار في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨] «لإظهار التربية علىٰ المهابة وتهويل الخطب»(١).

فإذا كان الإظهار في موضع الإضمار يعد مخالفة للأصل في تركيب الكلام كما ذهب إلىٰ ذلك الزركشي إذ قال: «والأصل أنه إذا ذكر [الاسم] ثانيًا أن يذكر مضمرًا للاستغناء عنه بالظاهر السابق، كما أن الأصل في الأسماء الإعراب»(٢)، فإنه بخلاف ذلك في الكتاب المعجز، وله من الدلالات الطريفة، والنكات البيانية -من مثل ما تقدم ذكره- ما يكشف عن قيمة أسلوبية ظاهرة نابعة من اهتمام الشيخ بالبعد الدلالي.

وقد تنبَّه إلىٰ ذلك الزجاج (ت ٣١١هـ) قديمًا كما في قول الله تعالىٰ من نفس السورة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩] إذ يقول معلقًا عن الآية: «لو كانت (وإليه ترجع الأمور) لكان حسنًا، ولكن إعادة اسم الله أفخم وأوكد، والعرب إذا جرىٰ ذكر شيء مفخم أعادوا لفظه مظهرًا. أنشد النحويون قول الشاعر: لا أرىٰ الموت ... فأعادوا ذكر الموت لفخامته في نفوسهم»(٣)، ولكنه عمم ذلك، أما أبو السعود فإنه جعل لذلك تفسيرات أخرىٰ، كما مرَّ معنا.

---

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٥٢١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٥٧٢. وقد ذكر الزركشي سبعة عشر سببًا للخروج عن الأصل؛ ومنها: قصد التعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، والاستلذاذ بذكره، وزيادة التقدير، وإزالة اللبس ... (١/ ٥٧٣-٥٨٠).

(٣) معاني القرآن، للزجاج، (٣/ ٢٨٢).

المبحث الرابع

اختيار صيغة بدل أخرى

إن القارئ المتدبر لكتاب الله تعالىٰ تستوقفه مجموعة من الظواهر اللغوية والبلاغية التي استفرد بها هذا الكتاب وجاء فيها بالعجيب العجاب، فأعجز بها وأمتع، وأطرب وأقنع، وقد ساق أبو السعود مما فتح عليه به الكريم الودود، ما يدل علىٰ عظمة خالق هذا الوجود.

لقد أثار هذا الباب الشيخ أبا السعود وتوقف عند مجموعة من الصيغ، محاولًا إعطاء مجموعة من التأويلات التي تتناسب وسياق القول، ومن الأمثلة إيثار صيغة الجمع في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]، فتأويل ذلك عند أبي السعود «للدلالة علىٰ شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة. ومما يفيده أيضًا تفضيل صيغة الجمع، دلالة الجلالة والتعظيم كما في قوله تعالىٰ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٨٤]، يقول في ذلك: «والجمع لإظهار جلالة قدره ﷺ ورفعة محله بأمره أن يتكلم عن نفسه علىٰ ديدن الملوك»(١). وتظهر هذه الدلالة في موضع آخر، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، فاستعمل جمع الملائكة للدلالة علىٰ تعظيم جبريل لأنه رئيسهم.

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٥٠٨).

وفي موضع آخر يربط تفضيل صيغة المضارع على غيرها من صيغ الفعل لإفادة الاستمرار والدوام؛ ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، هذا بخصوص استعمال المضارع في الإثبات، وما قيل عنه في هذا الاستعمال يقال عنه في الاستعمال في النفي، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] فدخول حرف النفي «ما» على صيغة المضارعة يدل على دوام الانتفاء.

وفي موضع آخر جمع النظم القرآني بين صيغتي الماضي والاستقبال للدلالة على نفس الغرض وهو الاستمرار، كما هو الحال؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] يقول: «والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم أو على مضيه في الدنيا»(١).

هذه الدلالة على الاستمرار والتجدد هي أكثر ما أثاره المفسر، وربطه باستعمال صيغ مختلفة، ومنها التعبير باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] فإيثار اسم الفاعل على الاسم الموصول هنا لأجل إفادة الاستمرار على الصبر، بالإضافة إلى غاية جمالية أخرى سبق الحديث عنها؛ وهي التأخير لمراعاة الفواصل.

ويتوقف أبو السعود عند صيغة المبالغة، ويرى بأن استعمالها في مواضع سورة آل عمران جاء لغايتين:

الأولى: هي التشديد في الوعيد؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٥٣١).

والثانية: هي التأكيد؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

ويربط المفسر تفضيل صيغة علىٰ أخرىٰ بالدلالة؛ إذ يرىٰ أن تفضيل صيغة الاسم بدل الفعل يفيد الاستمرار كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فاختيار التعبير بالاسم بدل الفعل «غزوا» لهذه العلة المذكورة. وكذلك التعبير بالماضي عن الشيء لإفادة تحققه من غير شك، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

المبحث الخامس

مادة الكلمة

يمتاز الكتاب الكريم بدقة اختيار كلماته؛ فالمتفكر في القرآن يلحظ تلك الدقة في اختيار الكلمة المناسبة للمعنىٰ المناسب، وتلك المشاكلة بين الألفاظ والمعاني التي تدل عليها، فهي ألفاظ خفيفة علىٰ الألسن، يلتذ به السمع، وتطرب لها النفس. «فكل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة»(١)، كما قال الزركشي رحمه الله.

فمعلوم أن اللغة العربية غنية غنىٰ لا مثيل له من حيث المفردات التي تشترك في المعاني، ولكن علماء العربية نبهوا إلىٰ أن ثمة فروقًا دقيقة بين الكلمات التي يراها العامة مترادفات متطابقة من حيث المعاني التي تدل عليها، ولذلك تنبه المفسرون إلىٰ هذا المسلك في القرآن الكريم وكشفوا بعض نوادره، ومنهم أبو السعود.

يقف الشيخ مع أول نكتة في هذا الباب عند قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، لقد كانت أمام النص القرآني في هذا الموضع كلمات بدائل من قبيل «الله» و«خالقك» وغيرها؛ ولكنه آثر لفظ «ربك»، فاختار بذلك عنوان الربوبية «للإشعار بعلة وجوب الامتثال بالأمر»(٢). ونفس

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١/ ٧).

(٢) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٤٨٠).

العلة في اختيار كلمة «ربكم» في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وهي تأكيد إيجاب الامتثال لما سيأتي من الأوامر.

ثم يكشف سرًّا آخر من أسرار اختيار الكلمة في قوله تعالىٰ: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] فقد اختار الله ﷻ كلمة «السجود» دون غيرها من أركان الصلاة؛ «لكونه أدل علىٰ كمال الخضوع»(١). فهيئة السجود تدل علىٰ مطلق الاستسلام، وتمام الذلة لله تعالىٰ، وفي ذلك تشريف لهم بالقرب منه تعالىٰ، وكما مر معنا ففي الحديث الشريف: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»**(٢).

ويتوقف الشيخ في قصة زكريا ومريم عليهما السلام وسر استعمال الفعل «يفعل» في الأولىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، والفعل «يخلق» في الثانية في قوله ﷻ: ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، فيرىٰ بأن الأمر لم يكن عبثًا، وإنما العلة في ذلك كون ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخٍ فانٍ، فكان استعمال فعل «الخلق» الذي ينبئ عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق «الفعل». وهكذا ما كان أي فعل ليناسب هذا المقام إلا فعل «خلق». فسبحان صاحب الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تحصىٰ لطائفه.

ومن اللطائف في هذا الباب أيضًا: التعبير بالأيدي في موضع الأنفس في

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٥٣٧).

(٢) صحيح مسلم، لمسلم، رقم(٤٨٢).

قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وذلك «لما أن عامة أفاعيلها تزاوَل بهن»(١) أي: أن أغلب ما يرتكبه الإنسان من المعاصي يكون بالأيدي بطريقة من الطرق.

ويربط لطائف هذا الباب بالمتلقي وانفعاله بكلام الرسول ﷺ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وفي ذلك يقول: «والمراد بالمنادي: الرسول ﷺ ... وإيثاره علىٰ الداعي؛ للدلالة علىٰ كمال اعتنائه بشأن الدعوة، وتبليغها إلىٰ الداني والقاصي لما فيه من الإيذان برفع الصوت»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) تفسير أبي السعود، لأبي االسعود، (١/ ٦١٣).

(٢) نفسه، (١/ ٦٢٩).

المبحث السادس

التكرار

حقيقة التكرار «أن يأتي المتكلم بلفظ، ثم يعيده بعينه، سواء كان اللفظ متفق المعنىٰ أو مختلفًا، أو يأتي بمعنىٰ ثم يعيده، وهذا من شرطه اتفاق المعنىٰ الأول»(١). وقد ذهب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) إلىٰ أن التكرار يكون لإشباع المعنىٰ والاتساع في الألفاظ إذ يقول: «وأما تكرار المعنىٰ بلفظين مختلفين فلإشباع المعنىٰ، والاتساع في الألفاظ. وذلك كقول القائل: آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر، والأمر بالوفاء هو النهي عن الغدر، وآمركم بالتواصل وأنهاكم عن التقاطع، والأمر بالتواصل هو النهي عن التقاطع»(٢).

أما أبو السعود فله وقفات مع هذه الظاهرة في سورة آل عمران، يتفق في بعضها مع ما ذهب إليه ابن قتيبة، ويتفرد بدلالات أخرىٰ للتكرار في بعضها الآخر.

فمن المواضع التي يتوافق فيها مع ابن قتيبة في أن التكرار يفيد التوكيد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. ومن المواضع التي كان فيها لأبي السعود رأي آخر في تأويل دلالة التكرار قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨/ ٣٠]، فهو يرىٰ

(١) الفوائد المشوق إلىٰ علوم القرآن، لابن القيم (نسبة خطأ)، (ص١٦٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، (ص٢٣٦).

أن التكرير «لا للتأكيد فقط بل لإفادة ما يفيده قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] من أن تحذيره تعالىٰ من رأفته بهم ورحمته الواسعة، أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه، وأن تحذيره ليس مبنيًّا علىٰ تناسي صفة الرحمة، بل هو متحقق مع تحققها»(١).

وقد يأتي التكرار لا ليفيد المعنىٰ نفسه؛ ولكن للدلالة علىٰ تعدد الحدث، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢] فأبو السعود يذهب إلىٰ احتمال أن التكرير هنا يفيد الإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما في الوقت. وهذا ما ألمح إليه ابن القيم حين قال: «وإن كان اللفظان متفقين والمعنىٰ مختلف، فالفائدة في الإتيان به الدلالة علىٰ المعنيين المختلفين»(٢).

ومن دلالات التكرار عند أبي السعود المبالغة في التقريع والتوبيخ، كما هو الشأن في قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨/ ٩٩]، فتكرير قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ للمبالغة في حمله ﷺ علىٰ تقريعهم وتوبيخهم لشناعة أفعالهم.

ويزيح الشيخ اللثام عن سر آخر من أسرار التكرار في قول العزيز الغفار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود، (١/ ٤٦٤).

(٢) الفوائد المشوق إلىٰ علوم القرآن، لابن القيم (نسبة خطأ)، (ص١٦٣).

صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٣]، فيقول: «وتكرير الخطاب بعنوان الإيمان تشريف إثر تشريف»(١).

❁ ❁ ❁

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود،(١/ ٥٢٩).

المبحث السابع

الالتفـــات

الالتفات هو «انصراف المتكلم عن المخاطبة إلىٰ الإخبار، وعن الإخبار إلىٰ المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنىٰ يكون فيه إلىٰ معنىٰ آخر»(١)، فالالتفات بهذا المعنىٰ ظاهرة تحول أسلوبي، وقد حظيت بعناية الدارسين العرب منذ القديم: لغويين وبلاغيين. مما يبين أهمية هذا المسلك الأسلوبي وخصوصًا في النص القرآني، ويرتبط أساسًا بمتلقي الخطاب، من أجل ضمان إنصاته، وتيقظه، فهو كما قال الزكشي: «وجهه حث السامع وبعثه علىٰ الاستماع»(٢).

وقد عني بهذه الظاهرة أبو السعود في تفسيره، وجاء في تأويلها بعدة لطائف، نذكر منها:

قوله تعالىٰ: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، ففي هذا الموضع يؤول الشيخ الالتفاتين تأويلين مختلفين؛ فالالتفات الأول إلىٰ التكلم وقع جريًا علىٰ سنن الكبرياء لله تعالىٰ، والثاني إلىٰ الغيبة، ويدل علىٰ إظهار الجلالة لتربية المهابة

(١) كتاب البديع، لابن المعتز، (ص٥٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٤/ ٨١٦).

وإدخال الروعة. وبنفس هذا المعنىٰ الثاني يفسر الالتفات في قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

وفي قوله عز من قائل: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، وقع الالتفات إلىٰ التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة علىٰ لسان جبريل عليه السلام لإبراز كمال العناية بالتلاوة.

أما في قوله تعالىٰ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، فإن الشيخ يرىٰ بأن الالتفات وقع هنا لغاية حجاجية تأثيرية، وهي المبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناتج من ذكر قبائحهم.

الخاتمة

بعدما طفنا في رياض تفسير أبي السعود لسورة آل عمران، ورتعنا في أخصب الجنان، وقطفنا منها أشهىٰ ثمار البيان، وشممنا أزكىٰ روائح المسك والريحان، نستطيع أن نخلص إلىٰ ما يأتي:

١- يعد تفسير «إرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود من أعظم التفاسير وأجلها؛ إنه تفسير مشحون بألوان النكات البيانية، واللفتات البلاغية، واللطائف الأسلوبية، وهذه هي السمات التي ميزته عن غيره من التفاسير. وهو بذلك يشكل مرجعًا مهمًّا للباحثين في البلاغة والأسلوبية، يتفوق علىٰ كتب البلاغة الأخرىٰ التي وجهت عنايتها في الغالب إلىٰ التقسيمات والتشقيقات، وكررت الأمثلة نفسها تقريبًا بخصوص الظواهر البلاغية المدروسة.

٢- كان أبو السعود واعيًا تمام الوعي بتفرد الأسلوب القرآني في التعبير، وأن ما من خاصية أسلوبية في الكتاب الكريم إلا ولها دلالتها التي تتطلب وقوفًا وتفكرًا وتدبرًا، وهي دلالة متغيرة تختلف من سياق إلىٰ آخر، وبالتالي استطاع أن يقدم تفسيرات وتأويلات لهذه الأساليب التي خرج فيها التعبير القرآني عن القواعد المعيارية، وهو بذلك يرد علىٰ بعض من عدُّوا ذلك خطأ ومدخلًا للطعن في القرآن الكريم.

٣- لقد فتح الله علىٰ أبي السعود ومنَّ عليه بقلب متفكر، وعقل ثاقب متدبر، سخرهما للنظر في الكتاب العزيز نظرة تعمق، عملًا بمطلب التدبر الذي أمر به الجليل الكريم، وجعله من أسمىٰ مقامات تلقي كتابه الكريم، فحاول هذا المفسر سبر أغوار القرآن إيمانًا منه بأن عجائبه لا تنقضي ولا يحيط بها بشر مهما بلغ من العلم، حتىٰ وإن تعلق الأمر بمجرد لفظة من ألفاظه أو سورة من سوره، وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: «لو أردت أن أملي وقر بعير علىٰ الفاتحة لفعلت»(١).

٤- لقد أسهم أبو السعود بتفسيره هذا في وضع لبنة من لبنات التعامل مع النص القرآني، باعتباره نصًّا قابلًا للقراءة بمناهج متعددة، ولكن بضوابط علمية تراعي خصوصيته وتفرده عن غيره من الخطابات الأخرىٰ، وتتطلب علمًا راسخًا وإيمانًا صادقًا في الآن نفسه.

٥- إن المتوقف عند تفسير أبي السعود بتمعن، وروية وإعمال فكر، ومداومة نظر، يستطيع أن يمتلك من مهارات التدبر والتفكر في الكتاب الكريم ما يمكِّنه من أن يفهمه باعتبار نفسه هو المخاطب بهذا الكلام، وأن يُنتج قراءته الخاصة له في إطار الضوابط الشرعية. وقد أمرنا بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. وهذا مطلب لازم فيه حكمة من حكم الله الجليل، ذلك أنه لو شاء لأمر نبيه ﷺ ببيان معاني الكتاب كلها، ولكن حكمته اقتضت أنه تعالىٰ «أراد أن

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١/ ١٢).

يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد»[1]، كما قال القاضي شمس الدين الخويي رحمه الله.

٦- إن هذا المسلك في التفسير لأبي السعود والذي يحق لنا أن نسميه «أسلوبيًّا»- ما دام يبحث في طرق التعبير في القرآن الكريم- جاء ليغطي ذلك العجز الذي طبع الدراسة اللغوية والنحوية التي وقفت عند تبرير الحركة الإعرابية، وتقدير المحذوفات والمضمرات محاولة دفع شبهة خروج الأساليب القرآنية عن التراكيب النمطية، غافلة أو متغافلة أن في ذلك أسرارًا هي مداخل لنوع آخر من أنواع إعجاز هذا الكتاب الخالد.

٧- تأكد لنا من خلال هذا البحث أن للقرآن الكريم نظمه المتفرد الذي لا يرقى إليه أي نظم بشري، ومن خصائص هذا النظم تنويع الأساليب، ونهج المغايرة الأسلوبية بمخالفة بعض التراكيب النمطية؛ وذلك لغايات دلالية وتداولية وجمالية في آنٍ واحدٍ.

٨- إذا كانت هذه المخالفات لقواعد القول المعيارية تعتبر في كلام البشر العاديين، في بعض الأحيان، خطأ ولحنًا ومجانبة للصواب، فإن الأمر في الأسلوب القرآني بخلاف ذلك، ففي كل مخالفة أو عدول أو اختيار حكمة نكتة دلالية وجمالية تتعلق إما بالمتكلم -الله ﷻ- وإما بحال المخاطب، وإما بسياق المقول. مما يعني أن خلف كل استعمال

(١) نفسه، (١/ ٢٦).

قرآني حكمة ربانية تفوق حكم البشر، وهذا جانب من جوانب إعجاز الكتاب الكريم.

٩- تأكدت لنا جدوىٰ الأسلوبية، باعتبارها علمًا حديثًا، في كشف أسرار التنزيل، وتدليل معانيه اعتمادًا علىٰ آليتي التدبر والتأويل، لكشف إعجازه الأسلوبي الذي رفعه إلىٰ الصرح العالي، ونزهه عن الشبهات.

١٠- إن بعض مقولات الأسلوبية صالحة هنا لتسري علىٰ ما قدمه أبو السعود؛ ولعل أهمها: مقولة الاختيار، ومقولة الانزياح، القائمة علىٰ خرق المعيار القاعدي، ومقولة المقارنة الأسلوبية؛ ذلك أن اختيارات الأسلوب القرآني وانزياحاته مقصودة لغايات وحكم دلالية وجمالية، تدل مقارنته مع الأساليب البشرية علىٰ تميزه عن كل كلام بشري، مما يزكي جانبًا من جوانب إعجازه المتعددة.

توصية:

نعتقد أنه آن الأوان اليوم لتجريب ما توصل إليه علم اللسانيات، وتحليل الخطاب من آليات في تحليل الخطاب القرآني، دون قطيعة مع تراثنا الذي قدّم إسهامات غنية يمكن استثمارها وتطعيمها بما استجد عند الغرب، مع تأكيدنا علىٰ ضرورة مراعاة خصوصيات القرآن الكريم؛ إيمانًا منا أن إعجازه مستمر ومتجدد؛ مهما تطورت آليات التحليل.

فحري بالباحثين المسلمين أن يتوجهوا في دراساتهم القرآنية إلىٰ استثمار نتائج العلم الحديث، ليبرزوا إعجاز هذا القرآن الكريم بصور مختلفة، ويستدلوا

على أنه ليس من كلام البشر؛ ولكنه كتاب معجز من عند الله رب البشر، وأنه هو الرسالة الصالحة لإدراة أمور البشرية المادية والمعنوية التي تتخبط اليوم تحت وطأة العولمة المتوحشة التي تؤله المادة، وفي ظل الصراعات المادية التي أفرغت الإنسان من معناه الروحي. وسيكون لهذه الدراسات أثرها الكبير إذا ما كانت بلغات أجنبية؛ على رأسها الإنجليزية.

فسبحان من أنزل الذِّكر، وحفظه بمكنون السر، وتحدّى بإعجازه جميع البشر، وصلى الله على النبي المطهر الأطهر، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والبر، والحمد لله العظيم الأكبر.

فهرس المصادر والمراجع

- «القرآن الكريم». رواية حفص عن عاصم.
- «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، جلال الدين. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. د.ط، القاهرة: المكتبة الوقفية، ٢٠٠٨.
- «الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم». الكواز، محمد كريم. ط١، بنغازي: دار الكتب الوطنية، ١٤٢٦هـ.
- «الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية». الشايب، أحمد. ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١.
- «الأسلوبية والبيان العربي». خفاجي، محمد عبد المنعم وآخران. ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- «الأسلوبية». جيرو، بيير. ترجمة: منذر عياشي. ط٢، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤.
- «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم». أبو السعود، العمادي محمد بن محمد. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. د.ط، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، (د.ت).
- «البحث الأسلوبي معاصرة وتراث». عيد، رجاء. د.ط، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٣.
- «البرهان في علوم القرآن». الزركشي، بدر الدين. تحقيق: وائل أحمد عبد الرحمن. د.ط، القاهرة: دار التوفيقية للتراث، (د. ت).
- «البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص». هنريش، بليت. ترجمة: محمد العمري. د.ط، بيروت: إفريقيا الشرق، ١٩٩٩.
- «البلاغة والأسلوبية». عبد المطلب، محمد. ط١، القاهارة: مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٤.

- «بنية اللغة الشعرية». كوهن، جان. ترجمة: محمد العمري ومحمد الولي. ط١، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٨٦.
- «تأويل مشكل القرآن». ابن قتيبة الينوري، أبو محمد. تحقيق: السيد أحمد صقر. ط٢، القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- «تاريخ الأدب العربي». بروكلمان، كارل. ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجار، ط٥، القاهرة: دار المعارف، (د. ت).
- «دلائل الإعجاز»، الجرجاني، عبد القاهر. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، (د. ت).
- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب». ابن العماد، عبد الحي بن أحمد. ط٢، بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- «صحيح مسلم»، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين اعتنىٰ به: أبو قتيبة؛ نظر محمد الفاريابي. ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٧هـ.
- «علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته». فضل، صلاح. ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- «الفوائد المشوق إلىٰ علوم القرآن وعلم البيان». ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين. تحقيق: جماعة من العلماء. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).
- «في الأسلوبية والأسلوب». اللويمي، محمد. ط١، الرياض: مطابع الحميضي، (د. ت).
- «الكتاب». سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام هارون. د.ط، القاهرة: الخانجي، ١٩٨٨.
- «كتاب البديع». ابن المعتز، عبد الله. تعليق: إغناطيوس تشقوفسكي، ط٣، بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٢هـ.
- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل»، الزمخشري، جار الله. تحقيق: عبد السلام شاهين. ط٥، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩.

- «كشف الظنون». حاجي، خليفة. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- «لسان العرب». ابن منظور. د.ط، القاهرة: طبعة دار المعارف، (د. ت).
- «اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي». عياد، شكري محمد. ط١، بيروت: إنترناشيونال، ١٩٨٨م.
- «معاني القرآن». الزجاج، أبو إسحاق. شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- «معجم المصطلحات الأدبية». علوش، سعيد. د. ط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء: سوثبرس، د. ت.
- «مقدمة ابن خلدون». ابن خلدون، عبد الرحمن. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. ط١، دمشق: دار البلخي، ١٤٢٥هـ.
- «نظرية البنائية في النقد الأدبي». فضل، صلاح. ط٣، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

المجلات:

- «الأسلوبية اللسانية». أولريش، بيوشل. ترجمة: خالد محمود جمعة، نوافذ، الرباط، (١٣)، جمادى الآخرة ١٤٢١هـ/ سبتمبر ٢٠٠٠، ١١١-١٧٢.
- «المغايرة الأسلوبية في القرآن». خضير نيشان، عبد الهادي. مجلة اللغة العربية دمشق. المجلد ٨٦، الجزء ١، ١٤٣٢، ٩٥-١١٢.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ١١١
المقدمة ١١٥
١- موضوع البحث وأهدافه ١١٥
٢- دواعي البحث وإشكاليته ١١٥
٣- الدراسات السابقة ١١٧
٤- منهج البحث ١١٨
٥- خطة البحث ١١٨
مدخل ١٢٠
١- ترجمة أبي السعود ١٢٢
٢- بين يدي التفسير ١٢٤
٣- الأسلوب والأسلوبية ١٢٥
٤- بين البلاغة والأسلوبية ١٢٩
المبحث الأول: التقديم والتأخير ١٣٥
المبحث الثاني: التعريف والتنكير ١٣٩
المبحث الثالث: الإظهار والإضمار ١٤٣
المبحث الرابع: اختيار صيغة بدل أخرى ١٤٥
المبحث الخامس: مادة الكلمة ١٤٨
المبحث السادس: التكرار ١٥١

المبحث السابع: الالتفات ١٥٤
الخاتمة ١٥٦
فهرس المصادر والمراجع ١٦١
فهرس الموضوعات ١٦٤

باحثة متخصصة في التفسير وعلوم القرآن

- حاصلة على درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني (المغرب)، موضوع الرسالة: «تفسير القرآن بالقرآن بين الدراسة المصطلحية والتفسير الموضوعي»
- باحثة بسلك الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني (المغرب)، موضوع الأطروحة: «دلالة اللفظ القرآني عند مفسري الغرب الإسلامي»

النتاج العلمي:

- الدرس المصطلحي للقرآن بين التأصيل والتطوير للدكتورة فريدة زمرد عرض وتقويم

- البريد الإلكتروني: bouchra.bahi@gmail.com

مستلخص البحث

يهدف هذا البحث إلىٰ إبراز تلك النقلة النوعية التي أحدثها القرآن في لغة العرب، وذلك من خلال دراسة خصوصية لغة القرآن علىٰ المستوىٰ الإفرادي والتركيبي وبيان أهم مميزاتها، كيف وظف القرآن نفس الألفاظ التي تداولها العرب للتعبير عن دلالات جديدة عن المجتمع العربي؟ وكيف ارتبطت تلك الألفاظ فأحدثت تراكيب بلغت الغاية في الدقة والبيان؟

فعلىٰ المستوىٰ الإفرادي أبرز البحث خصوصية اللفظ القرآني، ومعهود القرآن في مراعاة الفروق اللغوية بين ألفاظ القرآن، واختيار وتوظيف صيغ الجمع، وعلىٰ المستوىٰ التركيبي درس معهود القرآن في الاقتران، وعاداته في استعمال أساليب النداء والعطف. وذلك طبعا بعد بيان مفهومي معهود العرب ومعهود القرآن والوقوف علىٰ اطلاقات المفسرين الدالة عليهما.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث أن لغة القرآن نقلت العربية إلىٰ العالمية والخلود، ومنحتها مزيدًا من السعة والثراء، فألفاظ القرآن اتسمت بالجدة علىٰ مستوىٰ البنية والدلالة والاستعمال وهو ما دللنا عليه في مباحث الفروق، والجمع، والاقتران، وتراكيبه تميزت بالدقة في الوفاء بالمعنىٰ، وتقريب الأفهام من المقصود، وإرشادها إلىٰ المنهج القويم هذا فضلا عن كون أغلبها مبتكرًا لم يتكلم به عربي قبل.

الكلمات المفتاحية: معهود العرب، معهود القرآن، لغة القرآن، عرف القرآن، الاقتران، الفروق.

The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran

Bouchra Bahi
Researcher in the Tafsir and Quranic Sciences

- Holder of a Master's degree from the Faculty of Arts and Humanities (Mohammedia), Hassan II University (Morocco) Subject of the Thesis: "Interpretation of the Quran by Quran between the Terminological Study and Thematic interpretation"
- PhD student at the Faculty of Arts and Humanities (Mohammedia), Hassan II University (Morocco)
- Subject of the Thesis: "Connotation of the Quranic word from the Standpoint of Western Interpreters"

Scientific productivity:

- The Terminology of the Holy Quran between Rooting and Development by Dr. Farida Zumorud, Presentation and Evaluation

email: **bouchra.bahi@gmail.com**

Abstract

This research highlights the qualitative leap the Quran has made in the Arabic language, through studying the specificity of the language of the Quran at the individual and structural levels as well as showing its main characteristics, and how the Quran used the same words which Arabs used to express unknown notions about the Arab society and how these words are correlated to create clear and accurate structures.

At the individual level, the research showed the specificity of the Quranic word and the Quranic covenant in considering the linguistic discrepancies between the Quranic words as well as using the plural forms. At the structural level, the research sheds light on the covenant of the Quran in collocation and the usage of call and conjunction formulas. This is, of course, after explaining the covenant of Arab and the covenant of Quran as well as studying how interpreters name them.

One of the primary findings of the research is that the Quran transferred the Arabic language to universality and eternity, and gave it more respectability. Indeed, the words of the Quran are characterized with modernity in terms of morphology, significance and usage, which is evident in the discrepancies, plural forms, and collocation. In addition, the structures of

the Quran are characterized with accuracy in conveying the meaning, easiness of clarifying the words, and guiding people to the straightforward way. In addition, most of such structures are innovative as Arabs have never used them.

Key words: covenant of Arabs, covenant of the Quran, language of the Quran, covenant of Quran, collocation, discrepancies

المقدمة

إن أول ما يشترط للناظر في القرآن مفسرًا كان أو أصوليًا، مستدلًا كان أو مستنبطًا، أن يكون متقنًا للغة العرب متمكنا من أساليبهم في الخطاب، عارفا بمدلولات ألفاظهم، لأن القرآن الكريم نزل بلسانهم، فمن حروفهم تألفت كلماته، وعلىٰ قواعدهم جاء نظمه، جاء في محكم التنزيل: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١ - ٣]، يقول ابن عطية في مقدمة تفسيره: «إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين». لكن لغة القرآن وبشهادة أهل الفصاحة والبيان بلغت الغاية القصوىٰ من الكمال، وجاءت علىٰ نحو عال من الإتقان، وتجاوزت أساليب العرب.

موضوع البحث

إن كلمات القرآن الكريم وإن كانت تنتمي إلىٰ المعجم العربي القائم زمن الوحي، إلا أنها تختلف عنها بما تنطوي عليه من دلالات ربانية، فالكلمات ذاتها التي كان يستعملها العربي للتواصل ونقل الأخبار ونظم أبيات الشعر، استعملها القرآن لتحمل للمجتمع الجاهلي وللناس قاطبة مفاهيم الإسلام وتشريعاته.

وتراكيب القرآن وإن جاءت موافقة لقواعد العربية، إلا أنها في دلالاتها ودقة نظمها تسامت عن تراكيب العرب، إنها رُصفت وفق أسلوب قرآني خاص لتنقل لنا مرادات الله وهداياته، ولنستشف من خلالها عمق الخطاب ومقاصده، ولتصور لنا عوالم غيبية فتقربها إلىٰ الأذهان بها عهدته في عالمها المشهود.

والمتتبع لكتب التفسير يجد العديد من الإشارات التي تبين خصوصية لغة القرآن، وتستوقفه بعض عبارات المفسرين الدالة علىٰ تلكم الخصوصية، من قبيل: «أسلوب القرآن»، و«لغة القرآن»، و«عادات القرآن»، و«عرف القرآن»، و«اصطلاح القرآن»، و«استعمال القرآن»، و«معهود القرآن»... وغيرها من العبارات التي ينبغي تتبعها ودراستها دراسة عميقة ومتأنية، فهي إلىٰ جانب أنها تخدم أصلا عظيما من أصول التفسير ألا وهو تفسير القرآن بالقرآن، فإنها تبين لنا كيف ارتقىٰ القرآن باللغة العربية، وأغناها، وجعل منها لغة عالمية، لغة تحمل الرسالة السماوية ومعاني الوحي ومقاصده.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلىٰ إبراز تلك النقلة النوعية التي أحدثها القرآن في لغة العرب، وذلك من خلال دراسة خصوصية لغة القرآن علىٰ المستوىٰ الإفرادي والتركيبي وبيان مميزاتها، كيف وظف القرآن نفس الألفاظ التي تداولها العرب للتعبير عن دلالات جديدة عن المجتمع العربي؟ وكيف ارتبطت تلك الألفاظ فأحدثت تراكيب بلغت الغاية في الدقة والبيان؟

منهج البحث

تتطلب طبيعة البحث اتباع المنهج التحليلي.

خطة البحث

ومن أجل تحقيق هذا الغرض سينتظم هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- **المبحث الأول** يعرف بمصطلحي معهود العرب ومعهود القرآن، ويتطرق لخصوصية لغة القرآن.

- **المبحث الثاني** يتناول معهود القرآن في استعمال ألفاظ العرب وما تفرد به في هذا الجانب من حيث الاختيار والتوظيف وذلك من خلال ثلاثة مطالب: خصوصية اللفظ القرآني، وعرف القرآن في مراعاة الفروق، وعرف القرآن في الجمع.
- **المبحث الثالث** يعرض معهود القرآن في تراكيبه من خلال ثلاثة مطالب تتناول: الاقتران، والعطف، والنداء.
- **الخاتمة** تضم أهم النتائج والخلاصات التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحي معهود العرب ومعهود القرآن

المطلب الأول: مفهوم معهود العرب

كثيرا ما نسمع أن القرآن نزل وفق معهود العرب في كلامهم، وحين نقرأ كتب تفسير القرآن، نصادف عبارات من قبيل: «معهود كلام العرب»، و«عرف كلام العرب»، و«في لسان العرب»، و«في كلام العرب»، و«في لغة العرب»، وهي عبارات تدل على أن المفسر قد اتخذ كلام العرب مصدرا للبحث عن معنى المفردة أو التركيب القرآني. فهل هناك فرق بين اللغة والكلام واللسان في اصطلاح المفسرين؟ وما المقصود بمصطلح معهود العرب عندهم؟

١- الفرق بين الكلام، واللسان، واللغة عند المفسرين:

عندما نتتبع كلام المفسرين نجد أنهم لا يفرقون بين «كلام العرب»، و«لسان العرب»، و«لغة العرب»، وسأذكر أمثلة للاستدلال على ذلك.

أمثلة من المحرر الوجيز لابن عطية[١]:

١. «كون إن بمعنى إذ غير موجود في **لسان العرب**».

٢. «ويكون الغسلين والضريع متباينين على ما يفهم منهما في **لسان العرب**».

(١) انظر: (٥/ ١٣٩)، (٢/ ٣٦٢)، (٣/ ٢٣٥)، (١/ ١٢٤)، (٢/ ٩٤)، (١/ ١٠٢)

٣. «"البرهان" في **كلام العرب** الشيء الذي يعطي القطع واليقين».

٤. «والسجود في **كلام العرب** الخضوع والتذلل».

٥. «"المتعمِّد" في **لغة العرب** القاصد إلىٰ الشيء».

٦. «وقيل الرعد اسم الصوت المسموع، قاله علي بن أبي طالب ﷺ، وهذا هو المعلوم في **لغة العرب**».

أمثلة من التحرير والتنوير لابن عاشور[(١)]:

١. «والنفس في **لسان العرب** الذات والقوة الباطنة».

٢. «القلب في **لسان العرب** هو ما به يحصل التفكر والاعتقاد».

٣. «والصلاة اسم جامد بوزن فعلة محرك العين (صلوة) ورد هذا اللفظ في **كلام العرب** بمعنىٰ الدعاء».

٤. «والبناء في **كلام العرب** ما يرفع سمكه علىٰ الأرض للوقاية».

٥. «وأما الوطء الحرام من زنىٰ فكونه من معاني النكاح في **لغة العرب** دعوىٰ واهية».

٦. «هدىٰ للمتقين الهدىٰ اسم مصدر الهدي ليس له نظير في **لغة العرب** إلا سرىٰ وتقىٰ وبكىٰ ولغىٰ مصدر لغىٰ في لغة قليلة».

واضح من خلال هذه الأمثلة أنهم يستعملون الاطلاقات الثلاثة[(٢)] للتعبير

(١) انظر: (١/ ٢٧٨)، (٤/ ١٣٩)، (١/ ٢٣٢)، (١/ ٣٣٢)، (٤/ ٢٩١)، (١/ ٢٢٥)

(٢) لسان العرب، وكلام العرب، ولغة العرب

على نفس المفهوم، فهي بالنسبة لهم بمثابة المعجم الذي يستقون منه مادتهم اللغوية. أما قولهم «لغة» هكذا نكرة أو مضافة إلى اسم قبيلة من قبائل العرب فيقصدون بها اللهجة، **وأمثلة ذلك:**

١. «ولا تعثوا مضارع عثي كرضي، وهذه **لغة أهل الحجاز**»(١).

٢. «وهؤلاء لفظ مبني على الكسر والقصر فيه **لغة تميم** وبعض قيس وأسد»(٢)،

٣. «وقرأ النخعي وابن وثاب «سألتم» بكسر السين وهي **لغة**»(٣).

٢- مصطلح «معهود العرب»

«معهود العرب» في اللغة:

«معهود» اسم مفعول من عهد، والعهد يدور على عدة معاني: الوصية، والموثِق، والذمة والأمان، والالتقاء والمعرفة، والمطر الذي يأتي بعد الوسمي، وأصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، والمعهود الذي عرف وعهد(٤). ومنه يكون معهود العرب هو ما احتفظت به العرب وعرف عندهم.

«معهود العرب» في اصطلاح المفسرين:

أما عند المفسرين، فلم أقف على من عرف هذا المفهوم لذا سأحاول استخلاصه مما وقفت عليه من كلامهم ومن نصوص بعض الباحثين.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ٥١٩)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (١/ ١٢١)

(٣) المصدر السابق، (١/ ١٥٤)

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ولسان العرب، ابن منظور، وتاج العروس، مرتضى الزبيدي، مادة: «عهد»

يقول ابن عطية في معرض حديثه عن الحروف المتقطعة: «أنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التي الحروف منها... فينبغي إذا كان من **معهود كلام العرب** أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه»(١). وجاء في البحر المحيط: «حذف كان بعد لو **معهود في لسان العرب**»(٢). ويقول القرطبي في سياق ذكره لأوجه إعجاز القرآن: «النظم البديع المخالف لكل نظم **معهود في لسان العرب**»(٣). وهذه النصوص تنسجم تماما مع المعنىٰ اللغوي إذا ما خصصناه بالجانب المتعلق بكلام العرب دون ما سواه، لأنه وكما هو واضح من خلال نصوص المفسرين فهم يضيفون «كلام» أو «لسان» إلىٰ «معهود العرب» ليشيروا به إلىٰ ما ألفوه وعرفوه وحفظوه من كلامهم. وإذا ما وسعنا دائرة البحث فسنجد هذا المفهوم حاضرا بقوة عند الشاطبي، لكن ما الذي يقصده به الشاطبي؟

معهود العرب عند الشاطبي:

يقول الشاطبي: «القرآن نزل بلسان العرب ... فبمعنىٰ أنه أنزل علىٰ لسان **معهود العرب** في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها»(٤)، ويقول في موضع آخر: «القرآن نزل بلسان العرب علىٰ الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة»(٥)، ففهم القرآن عنده يجب أن يتم وفق سنن لسان العرب.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (١/ ٨٣)

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٧/ ١١٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٧٣)

(٤) الموافقات، الشاطبي، (٢/ ١٠٣)

(٥) المصدر السابق، (٢/ ١٠٢)

ثم إذا ما تتبعنا هذا المفهوم عند الشاطبي نجده يتحدث عن «معهود الأميين»، فيقول: «إنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم»(١)، ويقر أن الشريعة أمية، لذلك يجب أن تفهم بفهم الأميين، فلماذا هذا التحول من معهود العرب إلىٰ معهود الأميين؟

الهدف من هذا التحول هو أن ينبه إلىٰ أن «المعهود الذي ينبغي أن يُشغَّل لتفسير القرآن الكريم وتأويله ليس المشترك بين الجماعة اللسنية المتصفة بكونها عربية في كل زمان ومكان، وإنما معهود الأميين فحسب، أي ذلك «المشترك» الذي تقتسمه الجماعة التي حضرت نزول الوحي»(٢). لكننا إذا ما اقتصرنا في فهم القرآن علىٰ معهود الأميين، فإننا بذلك نلغي ذلك البعد المتجدد والعالمي في الخطاب القرآني، ونحصره في تلك الفترة، وذلك الجيل الذي شهد تنزل الوحي، ونلغي كل ما أنتج خارج هذه الحدود. وإنما ينبغي التعامل مع هذه المسألة بشيء من الحذر والوعي فنحفظ لكل جهة قدرها، وهذا البحث خيط من الخيوط الموصلة لهذه الغاية.

تعريف معاصر لمعهود العرب

يشكل معهود العرب تجسيدا «لثقافة المجتمع في جدلها مع اللسان المحض، فعلاقة اللسان بالمعهود إذن علاقة شمول وخصوص، فاللسان بمفهومه الشامل

(١) المصدر السابق، (٢/ ١٣١)

(٢) «القراءة السياقية عند الأصوليين: قراءة في مفهوم معهود العرب عند الشاطبي»، يحيىٰ رمضان، (٢٧٥)، من أعمال الندوة العلمية الدولية «أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام» التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء أيام ٢٦-٢٧-٢٨ يونيو ٢٠٠٧

الواسع يتضمن المعهود ويعطيه طابعه اللغوي بينما يعطي المعهود اللسان طابعه الاجتماعي باعتباره أداة للتواصل في إطار جماعة اجتماعية معينة(١). إن معهود العرب يمثل، إذن، ذلك الارتباط بين الألفاظ العربية وكيفية استعمال العربي لها في بيئته المجتمعية.

النتيجة:

أرشدنا التعريف اللغوي لمعهود العرب إلىٰ ما هو معروف ومحفوظ عندهم، وخصه المفسرون بكلام العرب في المواضع التي كانوا يبحثون فيها عن المعنىٰ، وأضاف الشاطبي قيدا آخر، وهو اختصاصه بذلك المشترك الذي تقاسمته الجماعة التي شهدت نزول الوحي، والتعريف المعاصر الذي سبق ذكره يحيلنا إلىٰ اعتبار البعد التداولي للغة العرب.

ومن هنا يمكن تعريفه بأنه: «ما حفظ من لسان العرب، وكان معروفا بينهم ووظفوه في خطاباتهم». فقولنا «ما حفظ من لسان العرب» يدخل فيه ما توارثته العرب من كلامها ويخرج ما أهمل منه، أما بقية التعريف فهي إشارة إلىٰ ذلك المشترك اللغوي الذي ورثه العرب وكان مشاعا ومعروفا ومستعملا بينهم، بحيث لا ينصرف الذهن إذا أطلق إلىٰ أي معنىٰ آخر غيره.

وينبغي الإشارة هنا، علىٰ أننا قيدنا معهود العرب بما يختص بلغتهم، وإلا فإن هذا المفهوم يشمل عاداتهم، وأعرافهم بشكل يعم جميع جوانب الحياة.

(١) القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية والإجراء، يحيىٰ رمضان، (١١٠-١١١)

المطلب الثاني: مفهوم معهود القرآن

تحدثنا في المطلب السابق عن مفهوم معهود العرب وكان الانطلاق من إطلاقات المفسرين، وسنقتفي نفس الأثر في تطلبنا لمفهوم معهود القرآن. فحين نقلب كتب التفسير تستوقفنا عبارات من قبيل: «عرف القرآن»، و«عادة أو عادات القرآن»، و«اصطلاح القرآن»، و«مبتكرات القرآن»، و«أسلوب القرآن»، وكأنها ترشدك إلىٰ أن للقرآن لغة خاصة به، فهل هي نفسها اللغة المعهودة عند العرب؟ أم لها خصوصيتها؟ وقبل الخوض في هذا لا بد من مهاد تعريفي لتلك المصطلحات التي استعملها المفسرون، للوقوف علىٰ مفاهيمها وخصوصياتها.

١- عرف القرآن

العرف في اللغة: «ضد النكر، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير... وتطمئن إليه»(١)، وفي الاصطلاح: «هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول»(٢). أما عرف القرآن فهو «طريقة القرآن الكريم التي انفرد بها في استعمال الألفاظ والأساليب والتي جاءت علىٰ نحو مطرد أو غالب»(٣)، ويظهر ذلك جليا من استعمال هذا المصطلح عند محمد الطاهر بن عاشور، حيث يقول في تفسيره للآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: «عرف»

(٢) الكليات، الكفوي (٦١٧)

(٣) عرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيح الدلالي، أحمد فالح محمود الخالدي، (٣٣)

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]، «فالمراد من الذين آمنوا في هذه الآية هم المسلمون الذين صدقوا بالنبيء محمد ﷺ، وهذا لقب للأمة الإسلامية في عرف القرآن»(١)، فأطلق العرف هنا علىٰ ما يصدق عليه لفظ «الذين آمنوا». وفي مثال آخر يقول: «من جاء بالحسنة إلىٰ آخره استئناف ابتدائي جرىٰ علىٰ عرف القرآن في الانتقال بين الأغراض»(٢)، وهنا إطلاق العرف علىٰ أسلوب من أساليب القرآن.

٢- عادة القرآن

العادة في اللغة: «تثنية في الأمر»، والديدن يعاد إليه»(٣)، وفي الاصطلاح: «ما استمر الناس عليه علىٰ حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرىٰ.»(٤). فشوهد في العرف معنىٰ الاستقرار علىٰ الشيء وفي العادة معنىٰ الاستمرار عليه. ومنه يمكن أن نعرف العادة في القرآن علىٰ أنها ما تكرر في القرآن الكريم للدلالة علىٰ أمر خاص، وبالرجوع إلىٰ التحرير والتنوير نجد عبارة واضحة لمحمد الطاهر بن عاشور يقول فيها: «يحق علىٰ المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه»(٥)، أي أنه يطلق العادة علىٰ اللفظ والتركيب من جهة وعلىٰ

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ٥٣٢)

(٢) المصدر السابق، (٨أ/ ١٩٥)

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ولسان العرب، ابن منظور، مادة: «عود»

(٤) التعريفات، الجرجاني، (١٢٣)

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ١٢٤)

الأسلوب من جهة أخرىٰ كما في المثال الآتي: «وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، تذييل لتعقيب النذارة بالبشارة علىٰ عادة القرآن»(١).

٣- اصطلاح القرآن

الاصطلاح في اللغة: «من أصلحت بين القوم: وفقت»(٢)، وفي الاصطلاح: «إخراج اللفظ من معنىٰ لغوي إلىٰ آخر، لمناسبة بينهما»(٣). وأما اصطلاح القرآن فهو اللفظ الذي غلب استعماله في القرآن بمعنىٰ معين. وعرفه الدكتور الشاهد البوشيخي: «هو اللفظ الذي أكسبه استعماله في القرآن دلالة خاصة زائدة علىٰ مفهومه في اللسان العربي»(٤)، وهو تعريف يصدق أكثر علىٰ المصطلح القرآني.

يقول محمد الطاهر بن عاشور: «وقد استقريت بجهدي عادات كثيرة في اصطلاح القرآن سأذكرها في مواضعها، ومنها أن كلمة هؤلاء إذا لم يرد بعدها عطف بيان يبين المشار إليهم فإنها يراد بها المشركون من أهل مكة»(٥)،

(١) المصدر السابق، (١/ ٥٨١)

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد حسن حسن جبل، مادة: «صلح»

(٣) التعريفات، الجرجاني، (٢٧)

(٤) «أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية»، محاضرة ألقاها الدكتور الشاهد البوشيخي ضمن أعمال الندوة الوطنية الأولىٰ التي نظمها ماستر الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي قضايا ومناهج بعنوان: «جهود المغاربة في العناية بالدراسات القرآنية»، ٢٦-٢٧ نوبر٢٠١٨، الكلية المتعدد التخصصات بالناظور

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ١٢٥)

وغالب ما ذكر في هذا الباب مرتبط بمعاني الألفاظ[١]، **من أمثلة ذلك**[٢]:

١. «والآخرة في اصطلاح القرآن هي الحياة الآخرة».

٢. «والعباد الذين أضيفوا إلىٰ ضمير الجلالة هم المؤمنون... وكذلك اصطلاح القرآن غالبا في ذكر العباد مضافا لضمير الجلالة».

٤- مبتكرات القرآن

المبتكر في اللغة: «أول الشيء وبدؤه»[٣]، وهو مصطلح خاص بمحمد الطاهر بن عاشور، أورده في المقدمة العاشرة من تفسيره، حيث قال: «وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب»[٤] ويقصد بها ما تفرد به القرآن من ألفاظ، وتراكيب، وأساليب لم تكن معروفة عند العرب، **وأمثلة ذلك**[٥]:

١. «وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم».

٢. «واعلم أني لم أقف علىٰ استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن».

---

(١) إلا في موضع واحد قصد به عادة القرآن في الخطاب: «تقرّر من اصطلاح القرآن أنّ خطاب النّبيء بتشريع تدخل فيه أمّته إلّا إذا دلّ دليل علىٰ اختصاصه بذلك الحكم»، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١٥/ ١٨١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١/ ٢٤٠)، (٢/ ١٧٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: «بكر».

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ١٢٠)

(٥) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٤/ ١٣٦)، (٩/ ٢٥٤)، (٢٦/ ٨٢)

٣. «ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن».

٥- أسلوب القرآن

الأسلوب في اللغة: «الطريق، والوجه، والمذهب»(١)، وفي الاصطلاح: «طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير»(٢)، ويقول الزرقاني: «الأسلوب غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام، وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه»(٣) أما أسلوب القرآن فهو: «طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه»(٤).

يقول محمد الطاهر بن عاشور: «وقد رأيت من أسلوب القرآن في هذا الغرض(٥) أنه لا يتعرض إلا إلىٰ حال أصحاب القصة في رسوخ الإيمان وضعفه وفيما لذلك من أثر عناية إلهية أو خذلان»(٦).

نتيجة:

لقد استعمل المفسرون هذه المصطلحات(٧)، للدلالة علىٰ **الطريقة التي تفرد**

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: «سلب».

(٢) لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، (٢٨٨).

(٣) مناهل العرفان، الزرقاني، (٤٤٣).

(٤) المرجع السابق، (٤٤٣).

(٥) أي ذكر قصص الأنبياء وأقوامهم.

(٦) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ٦٥).

(٧) عرف القرآن، عادة القرآن، اصطلاح القرآن، مبتكرات القرآن، أسلوب القرآن.

بها القرآن أو ابتكرها في استعمال الألفاظ، أو أداء المعنىٰ وتصريفه، وتبين لنا أن طريق الوصول إلىٰ معهود القرآن لا يكون إلا من خلال **الاستقراء**، حتىٰ يتميز لدينا ما إذا كان ذلك الاستعمال القرآني **مطردا أو غالبا**.

وقد أشار ابن القيم إلىٰ أهمية اعتبار معهود القرآن في قوله: «للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه»(١)، وهو ما عبر عنه ابن تيمية في مقدمته وجعله من أسباب الخطأ في التفسير: «قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلىٰ المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به»(٢)، من هنا تأتي أهمية اعتبار معهود القرآن، وخصوصية لغته في العملية التفسيرية، فهو إلىٰ جانب كونه نوعا من تفسير القرآن بالقرآن القائم علىٰ الاستقراء، فهو أداة من أدوات الترجيح ووجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثالث: خصوصية لغة القرآن

١- القرآن ينقل من آمن به إلىٰ لغته

لقد اختار الله ﷻ لسان العرب ليكون **وعاء للوحي**، ويكون العرب هم المتلقين الأوائل لشريعته، والمبتدئين لمهمة البلاغ، فاستطاع بذلك أن «ينقل كل من آمن به من أصحاب اللغات الأخرىٰ إلىٰ لغته ويأبىٰ هو أن ينتقل إلىٰ لغة الآخرين بخلاف غيره من الكتب السماوية التي لم تكن لها هذه الخصيصة»(٣).

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، (٣/ ٨٧٧).

(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، العثيمين (٥٦).

(٣) لغة القرآن، عبد الجليل عبد الرحيم، (٥٩٤).

٢- لغة القرآن معجزة في حد ذاتها

لقد أدرك العرب الذين شهدوا تنزل القرآن، أنه وإن حوىٰ حروفهم التي ألفوها، وكلماتهم التي عهدوها، وأساليبهم التي عرفوها، إلا أنه فاق كلامهم، وعلا عليه، لقد «سمعوه وهم يمتلكون ما فقدناه اليوم: عذرية الأذن التي حظيت بسماع لغة السماء قبل أن يذهب بعذريتها بعد ذلك عامل الألفة»(١)، لقد أدهشتهم تلك اللغة «ذات الأبعاد المتعددة والطبيعة المرنة التي تترك اللفظة أو التركيب أو العبارة القرآنية مفتوحة لعديد من الاحتمالات»(٢)، وتربط بين الألفاظ بروابط لم يعتادوا عليها، لتأتي بمعان تتسامىٰ عن بيئتهم. لقد منح القرآن للعربية «طاقات الحياة والخلود، واستيعاب معطيات العمران والشهود الحضاري والاستخلاف»(٣).

٣- لغة القرآن موافقة للغة العرب ومخالفتها في آن واحد

بقدر ما كان المفسرون يؤكدون علىٰ «صفة التميز في أسلوب القرآن عن كلام العرب كانوا حريصين علىٰ تأكيد صفة الانضباط في القرآن لقواعد العربية وجريانه علىٰ أساليبهم»(٤)، فأكدوا من جهة علىٰ ضرورة فهم القرآن علىٰ وفق معهود العرب في كلامها، ومن جهة أخرىٰ أدركوا أن

(١) المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. الجزء الأول، ظواهر اللغة الجديدة التي نزل بها القرآن، أحمد بسام ساعي، (١٩٤).

(٢) المرجع السابق، (٢٩٥)

(٣) المرجع السابق، (١٦)

(٤) قضايا اللغة في كتب التفسير المنهج التأويل الإعجاز، عبد الهادي الجطلاوي، (٤٣٠)

للقرآن عرفا خاصا به لا يجوز تفسيره بغيره، عرفا يجب تطلبه، واستقراؤه من نصوصه، ومعرفته للوصول إلىٰ مراد الله من كلامه. ومن ثم كانت لغة القرآن في الآن ذاته موافقة للغة العرب إذ منها مادته، ومخالفة لها في الآن ذاته من حيث الاختيار والتوظيف والغايات.

المبحث الثاني
معهود القرآن في استعمال الألفاظ

المطلب الأول: خصوصية اللفظ القرآني

إن اللفظ العربي حين حظي بموضعه داخل المصحف، خرج عن كونه مجرد لفظ، ليصبح وعاء معرفيًا ومنهجيًا يحمل من الدلالات ما لم يعهده المجتمع الجاهلي، فهو كما وصفه الدكتور محمد عبد الله دراز زاوج بين القصد والوفاء بالمعنىٰ(١)، فهو حاضر بمعناه، وحاضر من خلال اقتراناته، وحاضر بمشتقاته، وحاضر بحجم وروده.

يقول الإمام ابن عطية في مقدمة تفسيره: «كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»(٢)، فكل لفظة من القرآن تؤدي دورها في بيان مراد الله ﷻ. لقد استعمل القرآن الألفاظ ذاتها التي استعملها المجتمع الجاهلي لكنه «حملها من المعاني ما لم تكن تحتمله من قبل»(٣)، وأقام بينها «علاقات لم تجر بها العادة»(٤). لقد اصطفاها «من داخل اللغة وليس من خارجها»(٥)، فجاء معجزًا بلفظه من جهة الاختيار ومن جهة التوظيف. فكيف أحدث القرآن هذه النقلة؟

(١) النبأ العظيم، عبد الله دراز، (٩٣)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (١/ ٥٢)

(٣) لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، (٣٦٥)

(٤) قضايا اللغة في كتب التفسير المنهج التأويل الإعجاز، عبد الهادي الجطلاوي، (٤٤٨)

(٥) المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. الجزء الأول، ظواهر اللغة الجديدة التي نزل بها القرآن، أحمد بسام ساعي، (١٩٣)

إن النقلة التي أحدثها القرآن في اللفظ العربي شملته من ثلاث جهات؛ من جهة جذره اللغوي، ومن جهة بنيته وصيغته، **ومن جهة معناه:**(١)

- **فمن جهة الجذر اللغوي:** تأتي خصوصية اللفظ القرآني من جِدته اللفظية والمعنوية معا إذا لم يكن أحد من العرب قد سبق إلىٰ استعماله قبل نزول الوحي. ويكون هذا النوع من الألفاظ جديدًا بجذره وباشتقاقه، وغالبًا ما يكون معربًا عن لغات أخرىٰ، وأمثلة ذلك: «قسورة»، و«سجيل»، و«قراطيس»...

- **ومن جهة بنيته:** يأتي اللفظ جديدا باشتقاقه لكنه مأخوذ من جذر لغوي عرفه العرب من قبل، وأمثلة ذلك كثيرة: فقد عرف العرب اللفظ (بارك)، ولكنهم لم يعرفوا اللفظ المشتق منه (تبارك) كما جاء في القرآن، ومع هذا تقبلوه وفهموه، وعرفوا لفظ (الجهل)، ولكنهم لم يعرفوا اللفظ المشتق منه (الجاهلية)، وعرفوا (الرحمة) و(الرحيم) لكنهم لم يعرفوا (الرحمن).

- **ومن جهة المعنىٰ:** تأتي خصوصية اللفظ القرآني من جدته المعنوية دون اللفظية، وهذا هو الغالب من ألفاظ القرآن ويدخل فيها:

- الألفاظ التي خصصها القرآن بمعنىٰ معين: مثل حمل لفظ (الظلم) علىٰ الشرك، ولفظ (البعث) علىٰ جمع الناس للحساب.
- الألفاظ التي توسع في معناها مثل إطلاق لفظ (المرض) علىٰ الأدواء الجسمية وعلىٰ الرذائل(٢)، وإطلاق لفظ (المنتهىٰ) الذي أصله انتهاء السير علىٰ المصير وعلىٰ العلم بوقت حصول الساعة(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق، (١٩٠-١٩٥) بتصرف.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (٥٩٠)

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٣٠/ ٩)

- الألفاظ الإسلامية التي تدل على معان أحدثها الإسلام، واستعملها القرآن واستعملها الناس معه استعمالًا خاصًا، وشرط لها شرائط خاصة، لا يسوغ استعمالها إلا بعد توفرها(١)، وهو ما يعرف بالمصطلح القرآني، من ذلك: (الكفر) و(الإيمان) و(الآخرة) و(الجهاد)...
- الألفاظ التي استعملت في معنى مجازي جديد(٢) كدلالة لفظ (المس) الذي أصله الإدراك بحاسة اللمس على الوطء، و(الأوزار) التي أصلها الأثقال على الذنوب.
- الألفاظ التي نقلت من معناها الحسي إلى معنى معنوي، مثال ذلك (البصيرة) التي تطلق على الجارحة والقوة التي فيها، وتدل أيضا على قوة القلب المدركة(٣).

ولا سبيل للوقوف على هذه الخصوصيات إلا باستقراء نصوص القرآن استقراء تامًا يبرز لنا عرف القرآن في استعمال ألفاظ العرب. يقول ابن تيمية: «ولهذا ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ؛ ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه»(٤).

(١) أثر القرآن في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، (٦١)

(٢) المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. الجزء الأول، ظواهر اللغة الجديدة التي نزل بها القرآن، أحمد بسام ساعي، (١٩١)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٨١)

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ١١٥)

إننا في تعاملنا مع اللفظ القرآني نجد أنفسنا أمام قاعدتين مهمتين:

القاعدة الأولىٰ: لا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو إلىٰ ذلك(١)

القاعدة الثانية: من الخطأ التفسيري أن يحمل اللفظ القرآني علىٰ معنىٰ لغوي أو معنىٰ عرفي وله في القرآن الكريم عرف قرآني(٢)

وهذا يقتضي طلب المعنىٰ من كلام العرب باعتباره أصلا من أصول التفسير، لكن قبل ذلك ينبغي البحث عن معهود القرآن في إطلاق اللفظ فيقدم هذا إن وجد علىٰ الأصل السابق. فالقرآن إذن يمثل «قمة التوافق الدلالي بين الموروث من لغة العرب»(٣) وما أحدث من دلالات وتصريفات تستمد أصلها من لغة العرب وتتسامىٰ لتعبر عن معان ربانية لم تعهدها العرب ولا سمعت بها، ولكنها بما أوتيت من حس لغوي أدركتها وفهمت مقصدها.

المطلب الثاني: معهود القرآن في مراعاة الفروق

نقصد بالفروق «تلك الألفاظ المتفقة المعنىٰ في إطارها العام، والمتغايرة في خصوصيات الدلالة والاستعمال»(٤)، وعرفها أبو هلال العسكري بقوله: هي «معان تقاربت حتىٰ أشكل الفرق بينها»(٥)، وهو يرىٰ أنه لا يجوز أن يدل لفظان علىٰ معنىٰ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (٣/ ٣٠٨)

(٢) عرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيح الدلالي، أحمد فالح محمود الخالدي، (٩٣)

(٣) توظيف علم الدلالة المعجمي في حقل التفسير القرآني، عبد الرحمن طعمة، (١٠٤)

(٤) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري، (١٥)

(٥) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (٢١)

واحد إلا أن يكونا من لغتين مختلفتين، مثل: القدر بالبصرية، والبرمة بالمكية[١].

وكذلك أبان الدرس اللغوي الحديث عن عدم وجود الترادف في اللغة، وأن ما يبدو علىٰ أنه ترادف إنما هو من باب تقارب المعنىٰ فلا وجود للتطابق التام بين لفظتين في اللغة[٢].

وقد كان أبو هلال العسكري دقيقا حين وضع محددات وضوابط تساعد على معرفة الفروق فذكر:

١. اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما

٢. اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما

٣. اعتبار ما يؤول إليه المعنيان

٤. اعتبار الحروف التي تتعدىٰ بها الأفعال

٥. اعتبار النقيض

٦. اعتبار الاشتقاق

٧. ما توجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه

٨. اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما في أصل اللغة[٣]

ويمكن إرجاع هذه الضوابط إلى:

- وما له علاقة **بأصل اللفظ**، إذ منه يتفرع المعنىٰ، فيتضح الفرق بين اللفظين بمعرفة مأخذ كل لفظ ومداره أو نقيضه.

(١) المصدر السابق، (٢٨)

(٢) معجم الفروق الدلالية بين معاني الكلمات القرآنية، محمد محمد داود، (١٠)

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (٢٥-٢٦)

- ما له علاقة **بالجانب الصرفي**، فتختلف الكلمات باختلاف صيغتها، فكل زيادة أو تغير حركة في المبنىٰ ينتج عنه تغير في المعنىٰ.
- ما له علاقة **بالاستعمال** كأن يضيق المعنىٰ في لفظ ويتوسع في الآخر، أو يستعمل الأول في مجال دلالي والآخر في مجال مختلف.
- ما له علاقة **بالجانب التركيبي**، وذلك بمعرفة ما تتعدىٰ به الأفعال، وما يلائمها أو يقترن بها من ألفاظ.

وسندرس فيما يلي كيف تعامل القرآن مع الفروق اللغوية من خلال مسألتين:

المسألة الأولى: الفروق في موضعين مختلفين

يدخل هذا في تفسير القرآن بالقرآن، فنجد آيتين تتحدث عن نفس الموضوع، إلا أنه يعبر عنه في موضع بألفاظ وفي موضع آخر بألفاظ أخرىٰ مقاربة لها، لكن المتأمل يتضح له من خلال السياق الفرق بين الموضعين. مثاله قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] مع قوله ﷻ: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] يقول الراغب: «بجس الماء وانبجس: انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع»(١)، فوافق الانبجاس أول الأمر أي؛ أول ما ضرب موسىٰ عليه السلام الحجر، ثم انفجر بعد ذلك،

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني (٦٦)

فعلم كل أناس مشربهم(١).

وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]، مع قوله تعالىٰ: ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]، استعملت صيغة اسم الفاعل في آية الأعراف، لعدم الحاجة إلىٰ المبالغة في الوصف، ولما ذكر وصفه بالسحر في سورة الشعراء، كان جوابهم بأن يأتوه بمن هو أعلىٰ منه كعبا في السحر، فاستخدمت صيغة المبالغة(٢).

المسألة الثانية: الفروق في موضع واحد ومعطوف بعضها على بعض

ولقد بينا فيما مضىٰ من المباحث دقة ألفاظ القرآن وذكرنا أنه لا وجود للترادف بينها، ومن تم فإن عطف لفظ علىٰ آخر قريب منه يدل علىٰ تغاير معنوي بين المتعاطفين، يقول أبو هلال العسكري: «وعطف الشيء علىٰ الشيء وإن كانا يرجعان إلىٰ شيء واحد كان في أحدهما خلاف للآخر فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما علىٰ الآخر خطأ»(٣). ذلك أن الواو العاطفة تحمل «معنىٰ الجمع والتشريك مقرونا بمعنىٰ المغايرة، وهو يؤدي تلك الدلالة حيثما حل»(٤)، وقد تحدث هذه المغايرة في الذوات أو في المعاني المستفادة من الأفعال والمصادر والأسماء المشتقة الدالة علىٰ نفس الذات، فيستطيع المتكلم أن يوضح مقصوده بأن يعطف علىٰ المعنىٰ معنىٰ آخر قريب منه بشرط أن يحقق ذلك العطف فائدة

(١) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية ونظرية، محمد قجوي، (٦٣٥)

(٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد ياس خضر الدوري، (٤٤٧)

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (٢٢)

(٤) أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفىٰ حميدة، (١١١)

وإلا لكان ذلك العطف ضربا من اللغو(١).

مثاله في قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، «الفرق بين الحزن والبث أن قولنا الحزن يفيد غلظ الهم، وقولنا البث يفيد أنه ينبث، ولا ينكتم من قولك: أبثثته ما عندي، وبثثته إذا أعلمته إياه، وأصل الكلمة: كثرة التفريق، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فعطف البث علىٰ الحزن لما بينهما من الفرق في المعنىٰ»(٢).

يقول الزركشي: «ومما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصّل معنىٰ لا يوجد عند انفراد أحدهما؛ فإن التركيب يحدث معنىٰ زائدًا، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنىٰ، فكذلك كثرة الألفاظ»(٣)، فيفهم من اجتماع اللفظين ما لا يفهم من انفرادهما.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨] ، يوضح العسكري الفرق بين الشرعة والمنهاج: «فعطف شرعة علىٰ منهاج لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه واستشهدت علىٰ ذلك بقولهم شرع فلان في كذا إذا ابتدأه وأنهج البلىٰ في الثوب إذا اتسع فيه»(٤).

يتضح لنا إذن من خلال هذه الأمثلة دقة القرآن في اختيار الألفاظ وتوظيف

---

(١) المرجع السابق، (١١٧)

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (٢٦٧)

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٦٠٠)

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (٢٢)

الفروق لإيصال المعنىٰ وتحقيق أعلىٰ درجات البيان.

المطلب الثالث: عرف القرآن في الجمع

الجمع في اصطلاح النحاة «ما دل علىٰ أكثر من اثنين»(١)، والغرض منه الإيجاز والاختصار، ويحمل الجمع أبعادًا دلالية كالقلة والكثرة وتعيين العاقل وغيره وتحديد الجنس. وتتسم ظاهرة الجمع في القرآن بالتنوع والكثرة؛ تنوع من جهة الأوزان وكثرة من جهة الورود، فبالإضافة إلىٰ احتوائه علىٰ أوزان قياسية، فقد تضمن النص القرآني أوزانًا أخرىٰ سماعية. **وستتم دراسة جانب من هذه الظاهرة من خلال مسألتين:**

المسألة الأولى: كثرة صيغ الجمع من جذر واحد

إن إحصاء الجموع الواردة في القرآن، يبرز لنا الحضور القوي لظاهرة الاشتقاق التي «أثرت رصيد الجموع في النص القرآني ولعبت دور المولد الفعال لتنويع صيغ الجمع وأوزانه»(٢)، فنجده مثلا قد صاغ من جذر (ش ه د) شهود-أشهاد-شهداء-شهادات-شاهدون، ومن جذر (ب ص ر) أبصار، بصائر، مبصرون، مستبصرون، والأمثلة كثيرة. وهذا إنما يدل علىٰ الإثراء والتنوع الذي أحدثه القرآن في اللغة والطاقة التوليدية التي تخدم بالأساس المعاني.

المسألة الثانية: تخصيص كل صيغة بمعنى محدد

إن هذا التنوع الذي ذكرنا علىٰ مستوىٰ البنية يحمل بعدًا دلاليًا، «ذلك أن لكل

(١) الجمع في القرآن وأبعاده الدلالية، يوسف العثماني، (١٤)

(٢) المرجع السابق، (٢٩)

صيغة مفهومًا إضافيًا مقارنة بغيره»[١]، وهذا المفهوم الإضافي لا سبيل إلىٰ الوصول إليه إلا من خلال استقراء تام لموارد تلك الصيغة في القرآن للوقوف علىٰ الجزئيات الدلالية من خلال سياقاتها، لتعيين ما يرتبط بتلك الصيغة من دلالات، والوقوف علىٰ عرف القرآن في استعمالها ومعرفة ما إذا كان ذلك العرف مطردًا أو غالبًا.

وقد درس الدكتور أحمد مختار عمر أسباب اختلاف صيغ الجموع في القرآن في بحث له بعنوان: «تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم»[٢] وفصل فيها وقدم أمثلة موضحة لكل سبب من هذه الأسباب، وسأذكرها اجمالا:

- التعبير عن القلة أو الكثرة
- تخصيص معنىٰ المفرد
- إرادة العموم أو الخصوص
- إرادة الإسمية أو الوصفية
- إرادة التذكير والتأنيث
- المواءمة اللفظية أو المعنوية
- إرادة العاقل أو غير العاقل
- إثبات مجرد الصفة أو المبالغة فيها.

وسأورد هنا مثالا عن النوع الثاني، فكلمة (عبد) تعني في اللغة: الإنسان حرًا كان أو رقيقًا، وكأنه يذهب بذلك إلىٰ أنه مربوب لبارئه، كما يطلق علىٰ المملوك

(١) الجمع في القرآن وأبعاده الدلالية، يوسف العثماني (٣٤)

(٢) نشر بمجلة journal of qur'anic studies Vol3, N°2, 2001

خلاف الحر[١]. فهي إذن تدل علىٰ معنيين، الإنسان عمومًا باعتباره عبدًا لله، والرقيق المملوك. وتجمع في اللغة علىٰ (أعبُد) جمع قلة، وعلىٰ (عِباد) جمع كثرة، وعلىٰ (عُبدان) قياسًا، ويجمع سماعًا علىٰ (عُبُد) و(عِبدان) و(معابِد) و(عبيد)، وترد منه أسماء الجموع الآتية: (معبوداء) و(عِبِدّان) و(عِبِدّاء) و(عِبِدّيّ)، وجمعوه جمع تصحيح علىٰ (عَبدون) وجمع جمع علىٰ (أعابِد)[٢].

أما في القرآن فورد منها صيغتان: (عباد) و(عبيد) فما الفرق بين هاتين الصيغتين، علمًا أن كلتا الصيغتين تفيد الكثرة؟

وردت لفظة (عباد) ثمان وتسعين مرة في القرآن، في حين وردت لفظة (عبيد) خمس مرات، وعند استقراء الآيات يتضح أن القرآن «خصص لفظ (العباد) لجمع العبد بمعنىٰ إنسان، ولفظ (العبيد) لجمع العبد بمعنىٰ المملوك الرقيق، ولم يخرج القرآن عن ذلك بالنسبة للفظ (العباد) إلا في آية واحدة لفائدة بلاغية»[٣]، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] ، «وذلك لحكمة هي الإشارة إلىٰ أنه يجب معاملة هؤلاء العبيد كبشر لهم كامل الحق في الحياة، وبخاصة لما يتميزوا به من صلاح وطاعة لله»[٤]، وجاءت قرينة الإضافة لتوضيح المعنىٰ المراد.

---

(١) تاج العروس، مرتضىٰ الزبيدي، مادة: «عبد».

(٢) الفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود، (٢٣٥-٢٣٦)

(٣) «تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم»، أحمد مختار عمر، (١٥١-١٥٢)، journal of qur'anic studies Vol3, N°2, 2001

(٤) المرجع السابق

يقول محمد الطاهر بن عاشور: «وعبد بمعنىٰ عبد الله، أي مخلوق، ولا يطلق إلا علىٰ الإنسان. وجمعه: عباد دون عبيد»(١)، وقال في موضع آخر: «والعباد: المملوكون، وهؤلاء عباد مخلوقية، وأكثر ما يقال: عباد الله. ويقال: عبيد، بدون إضافة، نحو ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فإذا قصد المملوكون بالرق قيل: عبيد، لا غير»(٢) ولم تأت لفظة (العبيد) إلا في سياق نفي الظلم عن الله، «والفائدة البلاغية هنا أن نفي ظلم السيد لعبده نفي لصدور أقل ذرة من ظلم عنه، ونفي لصدور الظلم عنه لسائر الأجناس من باب أولىٰ»(٣). لأن «المبالغة التي في وصف ﴿ظلام﴾ راجعة إلىٰ تأكيد النفي. والمراد : لا أظلم شيئا من الظلم ... والأكثر في نفي أمثلة المبالغة أن يقصد بالمبالغة مبالغة النفي»(٤).

يتبين لنا من الأمثلة السابقة مدىٰ تنوع صيغ الجموع، واختصاص كل صيغة منها بأداء معنىٰ معين، وهو أمر لا يتحقق إلا في كتاب من أحاط بكل شيء علمًا.

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٢٦/ ٢٩٠)

(٢) المصدر نفسه، (١٥/ ٣٠-٣١)

(٣) «تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم»، أحمد مختار عمر، (١٥٢)

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ين عاشور، (٢٦/ ٣١٦)

المبحث الثالث

معهود القرآن في تراكيبه

وقفنا في المبحث السابق على خصوصية اللفظ القرآني، وتبين لنا عرف القرآن في اختيار الألفاظ العربية، وتوظيفها، وسنتطرق في هذا المبحث لخصوصية التركيب القرآني.

ذكر محمد الطاهر بن عاشور أن من أوجه إعجاز القرآن: «ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة»(١)، فتراكيب القرآن فاقت في دلالاتها وإحكامها ودقتها تراكيب العرب، ولا نغالي إن قلنا «إن كل تعبير أو تركيب في القرآن يكاد يكون جديدًا على لغة العرب»(٢). ونقصد بالتركيب في هذا المبحث ما تكون من لفظين فأكثر، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الجاثية: ٥]، ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ولقد قدم الدكتور أحمد بسام ساعي في الجزء الأول من كتابه «المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم»، دراسة لسورة المدثر خلص فيها إلى أن اثنين وخمسين من تراكيب السورة من أصل خمسة وستين تقتصر على

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ١٠٤)

(٢) المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. الجزء الأول، ظواهر اللغة الجديدة التي نزل بها القرآن، أحمد بسام ساعي، (١٧١)

المدثر وحدها ولا تتكرر في أية سورة أخرىٰ[١]، وأن ما يقرب من ثلث ألفاظها جاء جديدًا إما من جهة جذره أو بنائه أو معناه[٢]، علمًا أنها من بواكير السور، وأنها مكونة من ست وخمسين آية، ومعظم آياتها مكون من كلمتين أو ثلاثة. وهذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ الفرادة والجدة والدقة في التراكيب القرآنية، وستتبين لنا هذه الخصائص أكثر من خلال دراسة عرف القرآن في الاقتران، والنداء، والعطف في القرآن الكريم.

المطلب الأول: عرف القرآن في الاقتران

لقد خصص العرب «ألفاظا لألفاظ وقرنوا كلمات بأخرىٰ لم يقرنوها بغيرها»[٣]، ولقد تفطن علماء اللغة لهذه الظاهرة وعبروا عنها بمصطلحات عدة: الرصف، والمصاحبة اللفظية، والتضام، والتوارد، والتتابع، والالتزام[٤]، وعرفها ستيفن أولمان[٥] بكونها: «الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرىٰ معينة»[٦]، ويفرض هذا الارتباط وجود ائتلاف بين الكلمتين المقترنتين

(١) المصدر السابق، (١٨١)

(٢) المصدر السابق، (٢١٢)

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك (٣١٤)

(٤) «الاقتران اللفظي منهجا تفسيريا»، عقيل عبد الزهرة مبدر وإيناس نعمان مهدي، (١٤)، مجلة ادب الكوفة، المجلد الأول، العدد ٢١، السنة ٢٠١٥م

(٥) Stephen Ullmann ، عالم لغة مجري الأصل ،كان أستاذًا لعلم اللغة بجامعة ليدز وقبلها بجامعة جلاسجو بانجلترا، له عدة مؤلفات ترجمت إلىٰ الفرنسية، والإسبانية، والروسية، واليابانية، والعربية منها: «دور الكلمة في اللغة» ، و«الأسلوبية وعلم الدلالة»، و«أسس علم المعنىٰ»، توفي سنة ١٩٧٦م. دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشير، مكتبة الشباب.

(٦) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (٧٤)

على المستوى النحوي وعلى المستوى الدلالي، إضافة إلى كون تلك المصاحبة اللفظية أمرًا مألوفًا ومعتادًا في تلك اللغة.

إن الاقتران بين الألفاظ يكسب التركيب بعدًا دلاليًا خاصًا، كما يعتبر عنصرًا مهما يحدد بجلاء «مجالات الترابط والانتظام بالنسبة لكل كلمة، مما يعني تحديد استعمالات هذه الكلمة في اللغة»(١). كما «يحدد معنى الكلمة المحورية وفق ما تقترن به من ألفاظ»(٢)، إذا ما تم استقراء جميع ما تقترن به اللفظة ثم تتبع دلالاتها الجزئية، فإن الوصول إلى معنى المحوري للكلمة يصبح أمرًا يسيرًا.

وإذا ما انتقلنا إلى القرآن الكريم نجد له معهودًا خاصًا به في اقتراناته، يقول الجاحظ: «وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس»(٣)، وهي تختلف عن تلك الاقترانات المعتادة في كلام العرب. وقد تنبه المفسرون إليها واحتكموا إليها في ترجيحاتهم. **وسنورد فيما يلي أمثلة عن اقترانات القرآن.**

المسألة الأولى: اقتران أسماء الله تعالى

يستوقفنا ونحن نقرأ القرآن ذلك الحضور الكثيف لأسماء الله الحسنى مقترنة عند فواصل الآي، وقد اعتاد المفسرون ذكر وجوه المناسبات بين الاسمين المقرنين في آخر الآية وما احتوت عليه الآيات من أحكام ومعاني، لكنهم نادرًا ما يتطرقون للفائدة من اقتران تلك الأسماء في ذاتها، لماذا اقترن اسم الله العزيز مع

(١) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري، (٧٥)

(٢) «الاقتران اللفظي منهجا تفسيريا»، عقيل عبد الزهرة مبدر وإيناس نعمان مهدي، (١٧)

(٣) البيان والتبين، الجاحظ، (١/ ٤٢)

الحكيم؟ والسميع مع البصير؟ والغني مع الحميد؟

إن اقترانات اللفظ القرآني «تدل علىٰ اقتران معانيه وإعطاء كل معنىٰ حقه»(١)، وهو الأمر الملاحظ في اقتران أسماء الله الحسنىٰ، فاقتران اسمين من أسمائه الحسنىٰ يدل في آن واحد علىٰ المراد من كل اسم علىٰ حدة بالإضافة إلىٰ معنىٰ زائد علىٰ ما يدل عليه كل اسم منفرد، «فإذا اقترنت صفة كمال بصفة كمال أخرىٰ نشأ عن ذلك كمال آخر غير الكمال الذي يدل عليه الاسم الواحد والصفة الواحدة مثال ذلك (الغفور الرحيم) فالمغفرة صفة كمال والرحمة صفة كمال آخر واقتران مغفرته برحمته كمال ثالث فيستحق سبحانه الثناء علىٰ مغفرته والثناء علىٰ رحمته والثناء علىٰ اجتماعهما»(٢).

المسألة الثانية: الاقتران بين موضوعات القرآن

وكما يشمل الاقتران ألفاظ القرآن الكريم، فكذلك يشمل موضوعاته كاقتران الوعد بالوعيد مثلا، يقول الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢١ - ١٢٢]، يقول ابن عاشور معلقًا علىٰ الآية: «عطف علىٰ جملة أولئك مأواهم جهنم جريًا علىٰ عادة القرآن في تعقيب الإنذار بالبشارة، والوعيد بالوعد»(٣). ومن ذلك اقتران توحيد الله

(١) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، (٢٠/ ٤٦٥)

(٢) المجلىٰ في شرح القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ للعلامة محمد صالح العثيمين، كاملة الكواري، (٥٢)

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٥/ ٢٠٧)

بالإحسان للوالدين[١]، واقتران الصلاة بالزكاة في مواضع كثيرة من القرآن.

المطلب الثاني: عرف القرآن في النداء

النداء في اصطلاح النحاة: «طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) ونحوه، ملفوظ به...أو مقدر»[٢] وفي اصطلاح البلاغيين: «طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادي المنقول من الخبر إلىٰ الإنشاء»[٣]، وأدواته ثمانية هي: أ، وآ، وأي، وآي، ويا، وأيا، وهيا، ووا.

لكن القرآن لم يستعمل منها إلا أداة النداء «يا» وهي «أعم أحرف النداء؛ لاستعمالها في القريب والبعيد والمتوسط، وفي الندبة دون ما عداها»[٤]، يقول الدكتور عظيمة: «لم يقع النداء في القرآن بغير (يا)، ولذا لا يقدر غيرها من الحروف»[٥]. وكثر في القرآن الخطاب بـ«يأيها» دون غيره لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة؛ منها ما في «يا» من التأكيد والتنبيه وما في «ها» من التنبيه وما في التدرج من الإبهام في «أي» إلىٰ التوضيح[٦]. وغالب الخطاب في هذا الباب هو من قبيل التوجه إلىٰ الخلق إما بالأوامر والنواهي، أو بالوعد

(١) سورة البقرة، الآية ٨٣ - سورة النساء، الآية ٣٦ - سورة الأنعام، الآية ١٥١ - سورة الإسراء، الآية ٢٣

(٢) أسرار النداء في لغة القرآن الكريم، إبراهيم حسن إبراهيم، (٧)

(٣) «النداء بين النحويين والبلاغيين»، مبارك تريكي، مجلة حوليات التراث، العدد ٧، سنة ٢٠٠٧م

(٤) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين الألبيري، (٣٦٤)

(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة، (٣/ ٥٩٩) -الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٢/ ٢١٣)

(٦) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣/ ٢٠٢)

والوعيد، أو بسرد الأخبار. **وسأورد مثالين لاستعمال القرآن للنداء:**

المسألة الأولى: معهود القرآن في نداء النبي ﷺ

«ولم يقع في القرآن الخطاب بـ«يا محمد» بل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ تعظيمًا له وتشريفًا وتخصيصًا بذلك عما سواه وتعليمًا للمؤمنين ألا ينادوه باسمه»[(١)]، في حين أن الله ﷻ خاطب سائر الأنبياء بأسمائهم مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ ...

المسألة الثانية: معهود القرآن في نداء المؤمنين والكفار

حيثما ورد نداء المؤمنين في القرآن ضُمِّن لفظ الألوهية، وذلك لأن المؤمن مقر بتوحيد الألوهية[(٢)]. «وأكثر الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ علىٰ المواجهة، وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضًا عنهم كقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾»[(٣)]. وحيثما ورد نداء الناس في القرآن فالغالب تضمينه لفظ الربوبية، وذلك لأن الناس عام يدخل فيه المؤمن والكافر، والكفار أغلبهم مقر بتوحيد الربوبية دون الألوهية[(٤)].

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة، (٣/ ٥٩٩)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣/ ٨٢)

(٢) عرف القرآن الكريم والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيح الدلالي، أحمد فالح محمود الخالدي، (٤٩٠)

(٣) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣/ ٨٣)

(٤) عرف القرآن الكريم والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيح الدلالي، أحمد فالح محمود الخالدي، (٤٩١)

المطلب الثالث: عرف القرآن في العطف

ينقسم العطف إلىٰ عطف بيان وعطف نسق، والذي سينصرف إليه الاهتمام في هذا البحث هو عطف النسق، وهو في اصطلاح النحاة: «التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف»(١)، وهي الواو، والفاء، وثم، وأم، وحتىٰ، وأو، وبل، ولا، ولكن، إما. وقد أدرج النحاة بهذا التعريف العطف في باب التوابع، وقصدوا بالتبعية هنا التبعية في علامة الإعراب(٢)، لكن يرىٰ الدكتور مصطفىٰ حميدة أن «الربط» هو أفضل ما ينسجم مع طبيعة عطف النسق(٣)، وأنه لا ينبغي الاكتفاء بالجانب الإعرابي وتغييب عنصر المعنىٰ في التعريف، فوضع له تعريفًا يأخذ هذه الضوابط بعين الاعتبار، فعطف النسق هو: «الربط بين معنيين متغايرين، لتلخيص علاقة سياقية مصطنعة بينهما، هي: التشريك في الحكم، أو نسبة الحكم إلىٰ أحدهما، أو الدلالة علىٰ حصول مضمون المعنيين»(٤)، فتدل حروف العطف بذلك علىٰ وجود مناسبة بين معنيين مع استحضار عنصر التغاير بينهما حتىٰ لا يكون الكلام عاريًا عن الفائدة، كما تمكن من اختصار العبارة وإيجازها. وقد جاءت كل هذه الحروف في القرآن، ما عدا «لا» فإنها «لم تقع عاطفة في أي موضع»(٥) في القرآن الكريم. وقد قام الدكتور مصطفىٰ حميدة بدراسة هذه الحروف في القرآن وذيل كتابه بملحق إحصائي يبرز عدد هذه الحروف في سور القرآن ومواضعها(٦).

(١) شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ، ابن هشام، (٣٠١)

(٢) أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفىٰ حميدة، (٣٢)

(٣) المرجع السابق، (٣٠)

(٤) المرجع السابق، (٣١)

(٥) المرجع السابق، (٤٢٢)

(٦) شملت الدراسة الأدوات الآتية: «ثم»، و «أو»، و «أم»، و«إما»، و «بل»، و «لكن».

وسأكتفي في هذا البحث باستعمال القرآن للواو العاطفة أو المسماة واو النسق، باعتبارها الأكثر حضورا. **وسأذكر مسألتين في هذا الباب.**

المسألة الأولى: عرف القرآن في ترتيب المتعاطفين بواو النسق

لقد أجمع النحاة علىٰ أن واو النسق «لا تخرج في دلالتها عن إفادة مطلق الجمع»[(١)]، ولا يستفاد منها ترتيب ولا وزمن بل لا بد من الرجوع إلىٰ السياق لاستخراج مثل هذه الدلالات، لكننا نجد أن من العادات المطردة في القرآن عطف البصر علىٰ السمع[(٢)]، حيث يسبق السمع دائما البصر في الترتيب، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

كما يقدم السماء علىٰ الأرض[(٣)]، مثاله قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ

---

(١) المرجع السابق، (٦٤).

(٢) سورة يونس، الآية ٣١ – سورة النحل، الآية ٧٨ – سورة الإسراء، الآية ٣٢ – سورة المؤمنون، الآية ٧٨ – سورة السجدة، الآية ٩ – سورة الملك، الآية ٢٣

(٣) سورة البقرة، الآيات ٣٣ و١٠٧ و١١٦ و١١٧ و١٦٤ و٢٥٥ – سورة آل عمران، الآيات ٨٢ و١٣٣ و١٨٠ و١٨٩ و١٩٠ – سورة الأعراف، الأية ٩٦ – سورة يونس، الآية ٣١ – سورة الأنبياء، اللآيتان ٤ و١٦ – سورة الحج، الآية ٧٠ – سورة النمل، الآيتان ٦٤ و٧٥ – سورة الروم، الآية ٢٥ – سورة فاطر، الآية ٣ – سورة ص، الآية ٢٧ – سورة الدخان، الآية ٢٩– سورة الذاريات، الآية ٢٣ – سورة الحديد، الآية ٢١. وخرجت عن ذلك الآيتان ٤٨ من سورة إبراهيم، و٤ من سورة طه فهو معهود غالب غير مطرد.

غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

ويقدم كذلك الظلمات على النور(١)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

المسألة الثانية: العطف في المحاورات

يقول محمد الطاهر بن عاشور: «وقد استقريت أنا من أساليب القرآن أنه إذا حكى المحاورات والمجاوبات حكاها بلفظ قال دون حروف عطف، إلا إذا انتقل من محاورة إلى أخرى، انظر قوله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها إلى قوله: أنبئهم بأسمائهم [البقرة: ٣٠- ٣٣]»(٢).

وهو أمر مطرد في محاورات القرآن، ففي سورة البقرة من ٢٥٨ إلى الآية ٢٦٠ المحاورة بين إبراهيم والنمرود لم يعطف خلالها بالواو، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ثم نقلت المحاورة بين الله ﷻ وعزير بنفس الطريقة بعد العطف بـ«أو»، قال عز جلاله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]

(١) سورة الأنعام، الآية ١ – سورة الرعد، الآية ١٧ – سورة فاطر، الآية ٢٠

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١/ ١٢٥)

وكذلك المحاورة بين الله ﷻ وإبراهيم عليه السلام، في سورة آل عمران الآية ٤٠، لا وجود للواو العاطفة في المحاورة بين الله ﷻ وزكرياء عليه السلام، ونجدها بعد أن انتقلت المحاورة إلىٰ مريم، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٠ - ٤٢].

الخاتمة

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، علىٰ قوم كانت العربية لسانهم، وشاء العلي القدير أن ينزل كتابه بذلك اللسان، لكن لغة القرآن لم تقتصر علىٰ لسان العرب المحدود الأفق ذي الدلالات المحصورة، والأساليب المعتادة، إنها لغة خاصة تنبثق من لغة العرب وتصدر عنها، وتتسامىٰ عليها وتهيمن عليها في الآن ذاته. إنها لغة تنقل إليها من آمن بها وتأبىٰ هي أن تنتقل إلىٰ لغته.

لقد قصد هذا البحث التركيز علىٰ الفوارق اللغوية بين معهود القرآن ومعهود العرب، من خلال عرض نماذج تركز علىٰ المستويين الإفرادي والتركيبي؛ تمثل الجانب الإفرادي في إبراز خصوصية اللفظ القرآن، والفروق اللغوية بين ألفاظ القرآن، والجموع في القرآن، وتمثل الجانب التركيبي في دراسة الاقتران، والنداء والعطف في القرآن الكريم.

وسأسرد فيما يلي النتائج والخلاصات التي توصل إليها البحث:

- ✓ يقصد بمعهود العرب ما حفظ من لسان العرب، وكان معروفا بينهم ووظفوه في خطاباتهم، بحيث لا ينصرف ذهن المخاطب به إلىٰ غيره. أما عرف القرآن فهو الطريقة التي تفرد بها القرآن أو ابتكرها في استعمال لغة العرب وهو يشمل الألفاظ، والتراكيب، والأسلوب، ويتوصل إليه بطريق الاستقراء، الذي يكشف إما عن اطراده داخل القرآن الكريم أو عن أغلبيته.

- ✓ يستخدم المفسرون للتعبير عن المفهوم الواحد عدة اطلاقات أو تسميات، تتطلب من الناظر في كتبهم، البحث عنها والإلمام بها من أجل الوصول إلىٰ نتائج صحيحة.
- ✓ لقد أحدث القرآن ألفاظا وتراكيب تستمد أصلها من لغة العرب وتتسامىٰ لتعبر عن معان ربانية لم تعهدها العرب ولا سمعت بها لكنها بما أوتيت من حس لغوي أدركتها وفهمت مقصدها. فعلىٰ مستوىٰ الألفاظ شملت النقلة التي أحدثها القرآن في اللفظ العربي تغييرات علىٰ مستوىٰ البنية والمعنىٰ والاستعمال. وعلىٰ مستوي التركيب ظهرت تراكيب جديدة تميزت بالدقة في التعبير عن المراد، كما استعملت التراكيب المعهودة عند العرب بضوابط وطرق مبتكرة.
- ✓ يُكسب الاقتران بين الألفاظ التركيبَ بعدًا دلاليًا خاصًا زائدًا عما يحيل عليه كل لفظ علىٰ حدة، كما أنه يمكن التوصل إلىٰ المعنىٰ المحوري للفظ القرآني إذا ما تم استقراء جميع اقتراناته، كما أنه ومن جهة أخرىٰ يساعد علىٰ معرفة المعنىٰ المراد من السياق بما يضفيه علىٰ اللفظ من تخصيص ما قد يعتريه من عموم.
- ✓ من دقة القرآن في اختيار ألفاظه، توظيفه لصيغ جمع متعددة تتناسب مع ما يقتضيه المقام، ويبلغ المقصد.
- ✓ للقرآن عادات خاصة ومطردة في توظيف أساليب النداء والعطف، تطرد في أغلب سوره.
- ✓ الوصول إلىٰ مراد الله من كلامه لا يتأتىٰ إلا بالنظر فيه عبر ثلاث مستويات:

مستوى الوضع اللغوي، ومستوى معهود العرب، ومستوى معهود القرآن، لكن يبقى لمعهود القرآن الصدارة على جميع هذه المستويات في تقرير المعنى.

- ✓ الدراسة المعمقة لاقترانات ألفاظ القرآن والفروق بينها من شأنه أن يحدث نقلة نوعية في علم التفسير، وفي مجال تفسير القرآن بالقرآن بالخصوص.

فهرس المصادر والمراجع

- «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، ط١، مصر، دار الغد الجديد، ٢٠١٦م.
- «أثر القرآن الكريم في اللغة العربية». الباقوري، أحمد حسن، ط٣، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- «أساليب العطف في القرآن الكريم». حميدة، مصطفىٰ، ط١، مصر، الشركة المصرية العالمية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩م.
- «أسرار النداء في لغة القرآن الكريم». إبراهيم، لإبراهيم حسن، (د.ط)، مطبعة الفجالة الجديدة، (د.ت).
- «البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم». أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- «بدائع الفوائد». ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، تحقيق علي بن محمد العمران، (د.ط)، دار عالم الفوائد، (د.ت).
- «البرهان في علوم القرآن». الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٦م.
- «البيان والتبين». الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي (ت ٢٥٥هـ)، (د.ط)، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.
- «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، للسيد محمد مرتضىٰ الحسيني، تحقيق مصطفىٰ حجازي، (د.ط)، الكويت، التراث العربي، وزارة الإعلام،١٩٨٩م.
- «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المشهور بالتحرير والتنوير». ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)، (د.ط)، تونس، دار سحنون، ١٩٩٧م.

- «التعريفات».الجرجاني، علي بن محمد لسيد الشريف (ت ٨١٦هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، (د.ط)، مصر، دار الفضيلة، (د.ت).
- «تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية ونظرية». قجوي، محمد، ط ١، الرباط، مركز الدراسات القرآنية، ٢٠١٥م.
- «توظيف علم الدلالة المعجمي في حقل التفسير القرآني».طعمة، عبد الرحمن، ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٨م.
- «الجامع لأحكام القرآن» .ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، تعليق محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- «الجمع في القرآن وأبعاده الدلالية». يوسف العثماني، (د.ط)، تونس، دار المعلمين العليا ودار سحر، ٢٠٠٩م.
- «جواهر الأدب في معرفة كلام العرب». علاء الدين الألبيري، تحقيق حامد نصر نيل، (د.ط)، مصر، جامعة الأزهر، كلية اللغة، ١٩٨٤م.
- «دراسات لأسلوب القرآن الكريم».عضيمة، محمد عبد الخالق، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، (د.ت).
- «دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني». الدوري، محمد ياس خضر، (د.ط)، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- «شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ». ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف جمال الدين (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد، ط ١١، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- «شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية». العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، ط١، مصر، دار العقيدة، ٢٠٠٨م.
- «عرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيح الدلالي». الخالدي، أحمد

فالح محمود، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة اليرموك، الأردن، السنة ٢٠٠٨م تحت إشراف الدكتور عبد الرؤوف الخرابشة.

- «الفروق اللغوية». العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، (د.ط)، القاهرة، دار العلم والثقافة، (د.ت).
- «فقه اللغة وخصائص العربية».، لمحمد مبارك، (د.ط)، (د.م)، دار الفكر، (د.ت).
- «الفيصل في ألوان الجموع». عباس أبو السعود، (د.ط)، مصر، دار المعارف، ١٩٧١م.
- «القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية والإجراء». يحيىٰ رمضان، ط١، إربد، عالم الكتب الحديث، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٧م.
- «قضايا اللغة في كتب التفسير المنهج التأويل الإعجاز». عبد الهادي جطلاوي، الكتاب هو أطروحة دكتوراه بعنوان «تفسير القرآن لغويا مناهجه وقضاياه» نوقشت بكلية الآداب سوسة بتونس سنة ١٩٩٧م، بإشراف د. محمد الهادي الطرابلسي، ط١، صفاقس، دار محمد علي الحامي، ١٩٩٨م.
- «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية». الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسىٰ الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.
- «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- «لغة القرآن الكريم». عبد الجليل عبد الرحيم، ط١، الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨١م.
- «المجلىٰ في شرح القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ للعلامة محمد صالح العثيمين». كاملة الكواري، (د.ط)، (د.م)، دار ابن حزم، (د.ت).
- «مجموع الفتاوىٰ». ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م.

- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٦م.
- «المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. الجزء الأول، ظواهر اللغة الجديدة التي نزل بها القرآن». أحمد بسام ساعي، ط١، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢م.
- «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم». لمحمد حسن حسن جبل، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م.
- «معجم الفروق الدلالية بين معاني الكلمات القرآنية». لمحمد محمد داود، (د.ط)، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٨م.
- «معجم مصطلحات العلوم الشرعية». مجموعة من المؤلفين، ط٢، الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ووزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ٢٠١٧م.
- «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، (د.م)، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- «مفردات ألفاظ القرآن». للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق مصطفىٰ بن العدوي، ط١، المنصورة، مكتبة فياض، ٢٠٠٩م.
- «مناهل العرفان في علوم القرآن». الزرقاني، محمد عبد العظيم ، ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م.
- «الموافقات». الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي (ت ٧٩٠هـ)، ضبط أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (د.ط)، (د.م)، دار ابن عفان، (د.ت).
- «النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم». دراز، محمد عبد الله ، (د.ط)، مصر، المكتبة الوقفية، ٢٠٠٩م.

المجلات والدوريات:

- «الاقتران اللفظي منهجا تفسيريا». عقيل عبد الزهرة مبدر وإيناس نعمان مهدي، مجلة ادب الكوفة، المجلد الأول، العدد ٢١، السنة ٢٠١٥م.
- «عادات القرآن اللغوية والموضوعية عرض ودراسة». شافي سلطان العجمي، مجلة العلوم الشرعية جامعة القصيم، المجلد ٣، العدد ٢، يوليوز ٢٠١٠م.
- «النداء بين النحويين والبلاغيين»، مبارك تريكي، مجلة حوليات التراث، العدد ٧، سنة ٢٠٠٧م.

الندوات:

- «القراءة السياقية عند الأصوليين: قراءة في مفهوم معهود العرب عند الشاطبي»، يحيىٰ رمضان، من أعمال الندوة العلمية الدولية «أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام» التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء أيام ٢٦-٢٧-٢٨ يونيو ٢٠٠٧ م.

المحاضرات:

- «أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية»، محاضرة ألقاها الدكتور الشاهد البوشيخي ضمن أعمال الندوة الوطنية الأولىٰ التي نظمها ماستر الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي قضايا ومناهج بعنوان: «جهود المغاربة في العناية بالدراسات القرآنية»، ٢٦-٢٧ نوبر٢٠١٨م، الكلية المتعدد التخصصات بالناظور.

فهرس الموضوعات

مستلخص البحث ١٦٩
المقدمة ١٧٣
موضوع البحث ١٧٣
أهداف البحث ١٧٤
منهج البحث ١٧٤
خطة البحث ١٧٤
المبحث الأول: التعريف بمصطلحي معهود العرب ومعهود القرآن ١٧٦
المطلب الأول: مفهوم معهود العرب ١٧٦
المطلب الثاني: مفهوم معهود القرآن ١٨٢
المطلب الثالث: خصوصية لغة القرآن ١٨٧
المبحث الثاني: معهود القرآن في استعمال الألفاظ ١٩٠
المطلب الأول: خصوصية اللفظ القرآني ١٩٠
المطلب الثاني: معهود القرآن في مراعاة الفروق ١٩٣
المسألة الأولى: الفروق في موضعين مختلفين ١٩٥
المسألة الثانية: الفروق في موضع واحد ومعطوف بعضها على بعض ١٩٨
المطلب الثالث: عرف القرآن في الجمع ١٩٨
المسألة الأولى: كثرة صيغ الجمع من جذر واحد ١٩٨
المسألة الثانية: تخصيص كل صيغة بمعنى محدد ١٩٨

المبحث الثالث: معهود القرآن في تراكيبه ٢٠٢

المطلب الأول: عرف القرآن في الاقتران ٢٠٣

المسألة الأولىٰ: اقتران أسماء الله تعالىٰ ٢٠٤

المسألة الثانية: الاقتران بين موضوعات القرآن..... ٢٠٥

المطلب الثاني: عرف القرآن في النداء ٢٠٦

المسألة الأولىٰ: معهود القرآن في نداء النبي ﷺ ٢٠٧

المسألة الثانية: معهود القرآن في نداء المؤمنين والكفار ٢٠٧

المطلب الثالث: عرف القرآن في العطف ٢٠٨

المسألة الأولىٰ: عرف القرآن في ترتيب المتعاطفين بواو النسق ٢٠٩

المسألة الثانية: العطف في المحاورات ٢١٠

الخاتمة..... ٢١٢

فهرس المصادر والمراجع..... ٢١٥

فهرس الموضوعات..... ٢٢٠

مجلة تدبر

أسباب حفظ النعم ودفع النقم في ضوء القرآن الكريم

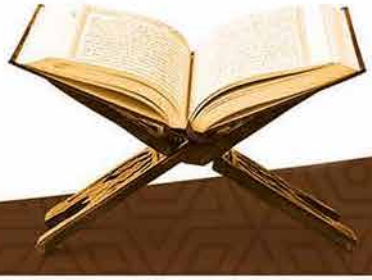

د. مُنيرة بنت عبدالعزيز بن علي السّعوي

الأستاذة المساعدة بقسم القرآن وعلومه
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالقصيم

- حصلت علىٰ درجة الماجستير من كلية التربية الأقسام الأدبية بالقصيم بأطروحته: «صبر أولي العزم من الرسل في ضوء القرآن الكريم».
- حصلت علىٰ درجة الدكتوراه من كلية الأداب بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بأطروحتها: «ينبوع الحياة (من بداية سورة الأحقاف إلىٰ نهاية سورة الواقعة)، لابن ظفر الصقلي (دراسة وتحقيق)».

بعض النتاج العلمي:

١- بحث: «واستعينوا بالصبر والصلاة» منشور في مجلة حولية، بكلية البنات بالأسكندرية.

٢- بحث منشور: «الفاصلة القرآنية أنواعها ومدلولاتها».

البريد الإلكتروني: d.m-995@hotmail.com

مستخلص البحث

ذكرْت في هذا البحث خمسة أسباب من أسباب حفظ النعم ودفع النقم، وقبلها مهدت بتمهيدٍ بينْت فيه معنىٰ النعمة ومعنىٰ النقمة، **والأسباب على قسمين:**

القسم الأول: أسباب قولية وهي:

١ – الدعاء؛ معناه، وأنواعه، وفضله، وأثره في حفظ النعم ودفع النقم.

٢ – الاستغفار؛ معناه، والفرق بينه وبين التوبة، وأفضل أوقاته، وفوائده، وأثره في حفظ النعم ودفع النقم.

٣ – الحوقلة؛ معناها، وفضلها، وأثرها في حفظ النعم ودفع النقم.

والقسم الثاني: أسباب فعلية وهي:

١ – عمل القلب كالتقوىٰ والإيمان، وفيه، معنىٰ الإيمان والتقوىٰ والعلاقة بينهما، وأثرهما في حفظ النعم ودفع النقم.

٢ – الصدقة؛ معناها، وفضلها، وما يدخل فيها، وأثرها في حفظ النعم ودفع النقم.

مع جمعٍ للأدلة التي تدل علىٰ ذلك...

النتائج:

١. أن الله ﷻ قدر الأقدار، وأمر بأخذ الأسباب، كما قال ﷺ: «اعقلها وتوكل»(١).

٢. ينبغي للمسلم أن يعلم أن الله قد يبتلي عباده ليرفع منازلهم، ولا يلزم أن يكون كل ما يصيب المسلم نقمة، بل قد يكون ابتلاءً.

التوصيات:

علىٰ المسلم أخذ الحذر والحيطة من زوال نعم الله تعالىٰ عليه، وحلول نقمه؛ وذلك بفعل الأسباب التي أرشد الله ﷻ ورسوله ﷺ إليها، ثم ما علىٰ المسلم إلا التوكل وتفويض الأمر إلىٰ الله ﷻ.

هذا ونسأل الله أن يحفظ علينا نعمه، ويدفع عنا نقمه، إنه جواد كريم.

الكلمات المفتاحية: الدعاء، الاستغفار، الحوقلة، التقوىٰ، الإيمان، الصدقة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٢٤٩) برقم ٢٥١٧، عن أنس بن مالك ﷺ والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٧) برقم ١١٥٩، عن عمرو بن أمية الضمري ﷺ. قال الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٤٢).

Reasons for Preserving Allah's Grace and Avoiding His Wrath

Prepared By

Dr. Munira Abdul Aziz bin Ali Saui

Assistant Professor at the Department of the Holy Quran and Its Sciences

College of Sharia and Islamic Studies, Al-Qassim

Abstract

In this research, I have provided four reasons for preserving Allah's Grace and avoiding His Wrath. I have started with an introduction, in which I defined both Grace and Wrath. Then, I have detailed the reasons as follows:

The first reason: Supplication and its effect on keeping Allah's Grace and avoiding His Wrath. I also shed light on the meaning of supplication, its types and benefits.

The second reason: Istighfar (seeking Allah's Forgiveness) and its effect on preserving Allah's Grace and pushing away His Wrath. I also talked about the difference between Istighfar and repentance, the best time for it, and its benefits.

The third reason: Hawqala (saying "lā ḥawla wa-lā quwwata ʾillā bi-llāh") which can be translated as "There is no power

nor strength except by Allah" and its impact on keeping Allah's Grace and avoiding His Wrath. I also defined it and shed light on its advantages.

The fourth reason: Charity and its effect on preserving Allah's Grace and pushing away His Wrath. I talked in detail about its meaning, types and benefits.

Finally, I provided evidence from the Quran and Sunnah to support such reasons, and then I mentioned the results and recommendations.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فنعِم الله ﷻ علىٰ عباده لا تُعد ولا تُحصىٰ، كما أخبر سبحانه بذلك بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]، وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨].

وهذه النعم منها نعمٌ عامة علىٰ جميع الخلق، ونعم خاصة علىٰ المؤمنين، ونِعَم يختص بها الله علىٰ من يشاء من عباده.

فالعاقل يبحث عما يحفظ تلك النعم، ويمنع عنه نِقمَه، وإن كانت سنة الحياة أنها كَبَد، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

لكن لا يمنع أن يعافي الله العبد، كما أخبر تعالىٰ في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١].

ففضل الله واسع عظيم.

وقد أمر سبحانه أن يُسأل في قوله: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

ورُوي عن رجاءِ بنِ حَيْوَةَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ، فَعَلَيْهِ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَمَنْ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْفَقْرُ، فَلْيُكْثِرْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»(١).

وعنه أيضًا أنه قَالَ: «إِنِّي لَفِي مَسْجِدِ مِنىٰ إِذَا قَاصٌّ يَقُصُّ، فَقَالَ لِي: يَا رَجَاءُ، اِحْفَظْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَإِذَا الْقَاصُّ يَقُولُ: ثَلَاثُ خِلَالٍ هِيَ عَلَىٰ مَنْ عَمِلَ بِهِنَّ: الْبَغْيُ، والْمَكْرُ، وَالنَّكْثُ، قَالَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [يونس:٢٣]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ [الفتح:١٠]؛ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ثَلَاثُ خِلَالٍ لَا يُعَذِّبُكُمُ اللهُ مَا عَمِلْتُمْ بِهِنَّ: الشُّكْرُ لِلَّهِ، وَالدُّعَاءُ، وَالِاسْتِغْفَارُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء:١٤٧]، ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان:٧٧]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]»(٢).

ومما يدفع وقوع عذاب اللهِ: الصدقة التِي تُكفِّر الذنوب، وتدفع العقوبات، وبالتقوىٰ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها مما جاءت به النصوص(٣).

أسباب اختيار البحث:

الذي دعاني إلىٰ اختيار هذا الموضوع هو سؤال يدور في خلجات نفسي منذ عشرين سنة، ألا وهو: (كيف أحافظ علىٰ هذه النعم التي أتقلب وأتنعم بها؟) فيسر الله لي هذا البحث ليكون جوابًا لذلك.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، للسمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد، (ص: ٤٤٦).

(٢) التفسير من سنن سعيد بن منصور بن شعبة الجوزجاني (٥/ ٣٠٩)، وهذا من الاستنباط للنصوص الشرعية.

(٣) انظر: شرح مشكل الآثار، للطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (١١/ ٥٣٩).

أهمية الموضوع:

يمكن إجمال أهمية الموضوع فيما يلي:

١- بيان معنىٰ النعمة والنقمة، ومسئولية الإنسان تجاه دوامها.

٢- الحاجة الماسّة إلىٰ معرفة الأسباب التي بها تحفظ نعمُ الله وتُدفع نقمه.

٣- تذكير المسلمين بالأسباب التي تُحفَظُ بها النعم وتُدفَع النقم.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في الموضوع في أُسطوانات الرسائل العلمية، وجامع البحوث والرسائل العلمية، ومراكز البحوث والدراسات، وقواعد البيانات، ومن خلال شبكة المعلومات، **وجدتُ الأبحاث التالية:**

١. «**النعمة بين الدوام والزوال**» دراسة قرآنية، لرائد محمد سالم زيادة، رسالة ماجستير، من الجامعة الإسلامية بغزة، بتاريخ ٨ / ١٠/ ٢٠٠٨ م، وهي تتحدث عن نعم الله التي أنعم بها علىٰ أهل الأرض كلهم من الليل والنهار، والشمس والقمر ونحوها.

٢. «**أسباب لرفع البلاء قبل وقوعه وأسباب لرفعه بعد وقوعه**»، للدكتورة منيرة بنت محمد المطلق، بحث محكّم في مجلة البحوث الإسلامية، المجلة الدورية التي تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، في عددها (٨٧)، رقم البحث (١٦٣)، وهي تتحدث عن الأوراد والأدعية من ورد الليل والنهار، وكذلك عن الرقية الشرعية لمن أُبتلي.

أما بحثي فيتحدث عن أسباب حِفظ النِّعَم ودفع النِّقَم، من خلال الأدلة الشرعية.

حدود البحث:

يتحدث البحث عن خمسة أسباب لحفظ النعم ودفع النقم، وهي: الدعاء، الاستغفار، الحوقلة، الإيمان والتقوى، الصدقة؛ وعن أثرها في حفظ النعمة ودفع النقمة.

منهج الباحث:

ستكون الدراسة وَفْق المنهج النظري المتبع في دراسة العلوم الشرعية، وهو المنهج الاستقرائي الاستنباطي للتفسير الموضوعي.

إجراءات البحث:

سأتّبع في البحث الخطواتِ التالية:

١. عزو الآيات الواردة في البحث بأرقامها إلى سورها.

٢. تخريج الأحاديث النبوية، ونقل أحكام المحدِّثين على غير ما في الصحيحين، أما ما كان في الصحيحين، فأكتفي بالعزو إليهما فقط.

٣. توثيق النقولات الواردة في البحث بذكر مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

القسم الأول: أسباب قولية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدعاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معناه وفضله.

المطلب الثاني: أثره في حفظ النعم ودفع النقم.

المبحث الثاني: الاستغفار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معناه وفضله.

المطلب الثاني: أثره في حفظ النعم ودفع النقم.

المبحث الثالث: الحوقلة، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: معناها وفضلها.

المطلب الثاني: أثرها في حفظ النعم ودفع النقم.

القسم الثاني: أسباب عملية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عمل القلب كالتقوى والإيمان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الإيمان والتقوى والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: أثرهما في حفظ النعم ودفع النقم.

المبحث الثاني: عمل الجوارح كالصدقة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصدقة؛ معناها، وفضلها، وما يدخل فيها.

المطلب الثاني: أثر الصدقة في حفظ النعم ودفع النقم.

الخاتمة، ثم الفهارس.

تمهيد

مفهوم النعمة والنقمة

أولًا: تعريف النعمة:

لغةً: (النِّعمة) واحدة النعم، وهي بالفتح التنعُّم، يُقال: كم ذي نِعمة لا نَعمة له؛ أي: كم ذي مال لا تنعُّمَ له، ويُقال: نعِم عيشه إذا طاب، وفلان ينعَم نَعمة؛ أي: يتنعم، من باب لبِس(١).

والنِّعْمَةُ: اليد والصنيعة والمِنة وما أُنعم به عليك، وكذا النُّعْمَىٰ، فإن فتحتَ النون مدَدْتَ فقلت: النَّعْمَاءُ، والنَّعِيمُ مثله، وفلان واسع النِّعْمَةِ؛ أي: واسع المال(٢).

و(التَّنَعُّمُ: التَّرفُّهُ)، وهو تناول ما فيه نِعمة وطيب عيشٍ(٣).

اصطلاحًا: هي ما يُقصد به الإحسان والنفي لا لغرض ولا لعوض(٤).

ثانيًا: تعريف النقمة:

لغةً: يُقال: نقَمَ يَنْقِمُ، نِقْمَةً، والنِّقْمَةُ منَ العقابِ، والمنتقِم: المبالِغ في

(١) انظر: المغرب، للمُطَرِّزِيِّ، ناصر بن عبد السيد أبىٰ المكارم ابن علىٰ (٢/ ٢٨٦).

(٢) انظر: مختار الصحاح، للرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ص: ٦٨٨).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، حمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (٣٣/ ٤٩٩)، ومختار الصحاح (ص: ٦٨٨).

(٤) التعريفات، للجرجاني، علي بن محمد (ص:٢٤٢).

العقوبة لمن يشاء، ومنه حديث: «وَاللهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّىٰ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»(١)؛ أي: ما عاقب أحدًا علىٰ مكروه أتاه من قِبَلِهِ(٢).

اصطلاحًا: النِّقمة: عقوبة المجرم بمبالغةٍ، وقيل: هي كراهية الشّيء كراهيةً شديدةً تصل إلىٰ حدّ السُّخط(٣).

ثالثًا: الفَرق بين البلَاءِ والنقمة:

أنّ البلاء يكون ضررًا، ويكون نفعًا، وإذا أردْت النفع قلت: أبليته، وفي القرآن: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧].

ومن الضر بلوته، وأصله أَن تختبره بالمكروه، وتستخرج ما عنده من الصبر، ويكون ذلك ابتداء. والنقمة لا تكون إلا جزاء وعقوبة، وأصلها شدة الإنكار،

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، لفظ الحديث: عن عائشة ﵂ (٨/ ١٦٠)، برقم (٦٧٨٦).

(٢) انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للفَتَّنِي، محمد طاهر بن علي (٤/ ٧٧٦)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، أحمد (٥/ ٤٦٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مبارك بن محمد بن محمد (٥/ ١١٠)، مادة: نقم، لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (١٢/ ٥٩١)، وانظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، المناوي، حمد عبد الرؤوف (ص: ٣٢٩)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، إمام الحرم المكي وخطيبه، الطبعة: الرابعة، جدة، دار الوسيلة (١١/ ٥٦٤٦).

تقول: نقَمْتُ عليه الأمر، إذا أنكرْتَه عليه، وقد تسمَّىٰ النقمة بلاء، والبلاء لا يسمىٰ نقمة إذا كان ابتداءً، والبلاء أيضًا اسم للنعمة، وقد قيل: البلاء ثم الثناء؛ أي: النعمة ثم الشكر. والنقمة: هي الانتقام؛ أي: سلب النعمة بالعذاب والعقاب؛ جزاء علىٰ الجرم بالعذاب؛ لأن العقاب نقيض الثواب، والانتقام نقيض الإنعام(١).

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري، حسن بن عبد الله بن سهل (ص: ٢٤٠) بتصرف.

القسم الأول

أسبـــابٌ قوليـــةٌ

وفيه ثلاثة مباحث:

۞ المبحث الأول: الدعاء. ۞ المبحث الثاني: الاستغفار.

۞ المبحث الثالث: الحوقلة.

المبحث الأول: الدعـــــاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معناه وفضله.

المطلب الثاني: أثره في حفظ النعم ودفع النقم.

۞ المطلب الأول: الدعاء؛ معناه، وأنواعه، وفضله

من الأسباب التي أرشد الله تعالىٰ عباده إليها في حفظ النعم ودفع النقم، الدعاء؛ إذ هو من أعظم أسباب حفظ النعم ودفع النقم. **وثمة مسائل تتعلق بهذا المطلب وهي:**

المسألة الأولى: معنى الدعاء:

لغة: الدعاء، ممدودًا، معروف، دعوت أدعو دعاء، فأنا داعٍ، وهو واحد الأدعية، والمفعول مدعوّ، وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف، ومنه[1] قوله تعالىٰ: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس:١٠].

(١) انظر: تاج العروس (٣٨/ ٤٦)، جمهرة اللغة، لابن دريد، محمد بن الحسن (٢/ ١٠٥٩)، تهذيب اللغة، للهروي، محمد بن أحمد (٣/ ٧٦).

ومعناه في اللغة: الإيمان(١).

اصطلاحًا: استدعاء العبد ربه ﷻ العناية، واستمداده منه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنىٰ الثناء علىٰ الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه(٢)، قال ﷻ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧].

المسألة الثانية: أنواعه:

تبين أن الدعاء هو الإيمان والعبادة، وهو نوعان:

النوع الأول: دعاء المسألة.

النوع الثاني: دعاء العبادة.

النوع الأول: دعاء المسألة: وهو السؤال والطلب من الله تعالىٰ، كقول: رب اغفر لي واهدني.

النوع الثاني: دعاء العبادة: فالصلاة دعاء، والصوم دعاء، والحج دعاء(٣).

«وهما متلازمان؛ فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه، من المعبود، فهو يُدْعىٰ للنفع والضر(٤) دعاء المسألة، ويُدْعىٰ خوفًا ورجاءً، دعاء العبادة، فعُلِم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزِم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (١/ ١١).

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، حمد بن محمد (١/ ٤)، وتسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز (ص: ١٦٣).

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، العويضة (٧/ ٢٣٤).

(٤) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٥/ ١١)

لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمِّن لدعاء العبادة»[(١)].

فالاشتغال بطاعة الله وذكره، وما يجب أن يفعله من عبادته، هو حقيقة الإيمان.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء علىٰ الداعين، يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة. وهذه قاعدة نافعة؛ فإن أكثر الناس إنما يتبادر إليهم من لفظ الدعاء والدعوة، دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء»[(٢)].

المسألة الثالثة: فضل الدعاء:

للدعاء فضل عظيمٌ وأجرٌ كريم، كما أن فيه نفعًا عميمًا للعبد في دنياه وأخراه، وقد جاءت الدلائل المتعددة بذلك: فمما ورد في فضل الدعاء قوله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[(٣)]. وقوله: «الدُّعاءُ هو العِبادةُ، قال ربُّكم: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» [غافر:٦٠][(٤)]. وقوله: «قَالَ اللهُ: يا ابْنَ آدمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَني

(١) بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، حمد بن أبي بكر بن أيوب (٣/ ٢).

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي، عبد الرحمن (ص: ١٢٧).

(٣) المسند، بن حنبل، أحمد بن محمد (١٤/ ٣٦٠) برقم ٨٧٤٨، السنن، ابن ماجه، محمد بن يزيد، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٧) برقم ٣٨٢٩، عن أبي هريرة ﷺ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (٣/ ١٥١) برقم ٨٧٠. قال الحاكم في المستدرك: (المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله، الضبي، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الطبعة: الأولىٰ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ - ١٩٩٠م): هذا حديث صحيح الإسناد (١/ ٦٦٦) برقم ١٨٠١. قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، د.ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، أخرجه أصحاب السنن بسند جيد (١/ ٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، محمد ناصر، د.ط، المكتب الإسلامي، د.ت، (٢/ ٩٥١).

(٤) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، المحقق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة: =

ورَجَوْتَني؛ غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالي»(١).

المطلب الثاني: أثر الدعاء في حفظ النعم ودفع النقم

جاءت الآثار تبين أن الدعاء سبب في حفظ النعم ودفع النقم، ومنها:

أولًا: أنه سبب لدفع العذاب ورفعه، كما في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧].

والخطاب هنا لجميع الناس، وقيل: لأهل مكة حين كذبوا الرسول ﷺ. والمعنىٰ: لا يبالي ولا يكترث بكم، ولا وزن لكم عنده ولا قدر إذا لم تعبدوه(٢).

= الأولىٰ، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م، كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ٦٠٣) برقم ١٤٧٩، والسنن الكبرىٰ، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، الطبعة: الأولىٰ، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، كتاب التفسير، أو باب سورة غافر (١٠/ ٢٤٤) برقم ١١٤٠٠، عن النعمان بن بشير ﷺ. قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد (١/ ٦٦٧) برقم ١٨٠٢، وجوّد إسناده ابن حجر في فتح الباري، كما صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، الألباني، محمد ناصر، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني -، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالأسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله، د.ط، د.ت (ص: ٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٧٥) برقم ٢١٤٧٢، الجامع الكبير، الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة، المحقق: بشار عواد معروف، د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م. باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده (٥/ ٤٤٠) برقم ٣٥٤٠، عن أنس بن مالك ﷺ. قال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، محمد ناصر، الطبعة: الأولىٰ، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (٢/ ٢٧٦).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولىٰ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ، (٣/ ٣٣٣)، فتح البيان في مقاصد القرآن، =

ومعنىٰ ﴿دُعَآؤُكُمۡۖ﴾؛ أي: لولا دعاؤكم إياه لتعبدوه، وعن ابن عباس ﷺ قال: يقول: لولا إيمانكم، وقيل: لولا استغاثتكم إليه في الشدائد، وقيل: لولا عبادتكم إياه، وقيل: لولا توحيدكم إياه، فأخبر الله سبحانه أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، فهو سبحانه الغني الحميد عن طاعة الخلق، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه، ويوحدوه، ويسبحوه بكرة وأصيلًا. وإنما كلفهم لينتفعوا بالتكليف(١).

ثانيًا: أنه سبب لشكر الله لعباده، كما في قول الله ﷻ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

«ما» حرف استفهام، ومعناه: التقرير؛ أي: إن الله لا يعذِّب الشاكر المؤمن(٢).

ومن عذاب الله نزع النعم وحرمان العبد منها، وإن كانت الآية في المنافقين إلا أن معناها عام لكل مُؤتَمِر بأمر الله منتهٍ عما نهىٰ الله عنه.

ومعنىٰ الآية: لا حاجة به تعالىٰ إلىٰ تعذيبكم إن شكرتم نعمه، وآمنتم به وبرسوله. بل يشكر لكم ما يكون منكم من طاعةٍ له وشكر، بمجازاتكم علىٰ ذلك بما تقصر عنه أمانيكم، ولم تبلغه آمالكم(٣).

= الصديق خان،محمد. عُني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، د.ط، بيروت، المَكتبة العصريَّة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (٩/ ٣٥٧).

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٣٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٦/ ١٣٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة: الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (ص:٥٨٨).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ٤٩٠).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير (٩/ ٣٤٣)، وزاد المسير في علم =

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾؛ أي: للقليل من أعمالكم، وقوله: ﴿عَلِيمًا﴾؛ أي: بنيّاتكم، وقيل: ﴿شَاكِرًا﴾؛ أي: قابلًا(١).

ثالثًا: أنه سبب لزيادة الخير والنعم، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

والمعنىٰ: واذكروا إذا تأذّن ربكم؛ أي: أعلمكم ربكم وقال لكم ربكم، ومنه الأذان، وهو الإعلام. «وتفعّل» يقع علىٰ موضع «أفعل»، والعرب تقول: أوعدته، وتوعدته، بمعنىٰ واحد(٢).

وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾: معناه: القسم، والمعنىٰ: ولئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، ليزيدنكم من النعم(٣).

وسُئِل بعض الصالحين عن شكر الله تعالىٰ، فقال: أن لا تتقوىٰ بنِعَمِهِ علىٰ معاصيه. وحُكي أنَّ داود عليه السلام قال: أي ربِّ، كيف أشكرك وشكري لك نعمة مجددة منك عليَّ؟ قال: «يا داود، الآن شكرتني»(٤).

وقوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: وعد من الله تعالىٰ بالعذاب علىٰ الكفر(٥).

= التفسير (١/ ٤٩٠).

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٤٩٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٣/ ٦٠١)، الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، القيسي، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار (٥/ ٣٧٧٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، حسين بن مسعود (٣/ ٣١).

(٣) المصادر السابقة.

(٤) النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد (٣/ ١٢٣).

(٥) المصدر السابق.

ومن الدعاء: الحمد لله تعالىٰ، وهو أعظم الشكر والثناء عليه، كما قيل: «الشكر قيد الموجود وصيد المفقود»(١). فالآية نصٌّ صريحٌ في أنَّ الشكر سبب المزيد(٢).

وروي عن ابن عباس ﷺ، أن المراد بالشكر: التوحيد، وهو خضوع القلب واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان علىٰ المشكور، وعمل الجوارح بطاعته، وأن لا يستعين بنعمه علىٰ معاصيه.

رابعًا: أنه يرضي الله ﷻ، كما في قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(٣).

ومن الدعاء: الدعاء بما ورد عن رسول الله ﷺ من الأدعية الجامعة التي يبتهل المسلم فيها لربه، بأن يحفظ عليه نعمه ويعيذه من نقمه.

خامسًا: قد ورد عن رسول الله ﷺ أدعية جامعة مانعة في حفظ النعم ودفع النقم، منها:

الأول: عن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»(٤).

الثاني: عنه أيضًا، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدَع هؤلاء الكلمات إذا أصبح

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ٣١).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، النعماني، عمر بن علي بن عادل (١١/ ٣٤٣).

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، القشيري، مسلم بن الحجاج، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل (٤/ ٢٠٩٥) برقم ٨٩، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء (٤/ ٢٠٩٧) برقم ٩٦.

وإذا أمسىٰ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي. اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي. اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(١).

سادسًا: لا يُعدم الداعي الدعاء، أيًّا كانت صيغته، وجاء في الحديث: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ»(٢).

فهذه الأحاديث صريحة في دفع البلاء ورفعه.. فعلىٰ المسلم أن يكثر من الدعاء.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨/ ٤٠٣) برقم ٤٧٨٥، وأبو داود في سننه، باب ما يقول إذا أصبح (٤/ ٣١٩). قال أبو داود: «قَالَ وَكِيعٌ يَعْنِي الْخَسْفَ» برقم ٥٠٧٤. قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد (١/ ٦٩٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٧٠) برقم ٢٢٠٤٤، عن معاذ بن جبل ﷺ، والترمذي في سننه (٥/ ٥٥٢) برقم ٣٥٤٨، عن ابن عمر ﷺ. قال ابن حجر في فتح الباري: في سنده لين (١١/ ٩٥). قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٤١).

المبحث الثاني: الاستغفـــــار

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاستغفار؛ معناه، والفرق بينه وبين التوبة، وأفضل أوقاته، وفوائده.

المطلب الثاني: أثر الاستغفار في حفظ النعم ودفع النقم.

۞ المطلب الأول: الاستغفار؛ معناه، والفرق بينه وبين التوبة، وأفضل أوقاته

الاستغفار من أسباب دفع البلاء وجلب النعماء، وثمة مسائل تتعلق به وهي:

المسألة الأولى: معنى الاستغفار:

لغة: غ ف ر: (الْغَفْرُ) التغطية[(١)]، وأصله الستر، اغفر لنا: استر ذنوبنا برحمتك وعفوك، ونستغفرك: نطلب منك ذلك[(٢)].

اصطلاحًا: الاستغفار: طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها[(٣)].

المسألة الثانية: الفرق بين الاستغفار والتوبة:

الاستغفار نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة، وإليك الفرق بينهما:

النوع الأول: الاستغفار المفرد، وهو كقوله ﷻ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل:٤٦]، فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه

---

(١) انظر: مختار الصحاح، مادة: غفر (ص: ٢٢٨).

(٢) مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار، اليحصبي،عياض بن موسىٰ، مادة: غفر (٢/ ١٣٨).

(٣) كتاب التعريفات، للجرجاني (ص: ١٨).

طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره؛ لا كما ظنه بعض الناس أنه الستر، فإن الله يستر من يغفر له ومن لا يغفر له، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمىٰ الآخر عند الإطلاق.

النوع الثاني: الاستغفار المقرون بالتوبة، كقوله ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣].

الفرق بينهما:

١. عند اقتران إحدىٰ اللفظتين -كما في الآية- بالأخرىٰ، فالاستغفار يكون بمعنىٰ: طلب وقاية شر ما مضىٰ، والتوبة تكون بمعنىٰ: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

٢. الاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة؛ فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد الوقاية ما يحبه(١)، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]. وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم.

٣. أن التوبة لا تكون إلا للتائب نفسه؛ أي: لما اجترحته نفسه خاصة من الآثام، بخلاف الاستغفار؛ فإنه يكون لنفسه ولغيره أو لغيره فقط(٢)، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١/ ٣١٤-٣١٥)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان (٨/ ٢).

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣).

المسألة الثالثة: أفضل الاستغفار:

كما أن للأذكار صيغًا يفضُل بعضُها بعضًا، كذلك الاستغفار، له صيغ يفضل بعضُها بعضًا، ومن هذه الصيغ ما يلي:

الأولىٰ: ما جاء عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

وعُلِم حينئذٍ أن هذا الاستغفار حقيق بأن يكون سيد الاستغفار، فلو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم؛ وعُلِم أن العبد دائمًا سائر إلىٰ الله بين مطالعة المنة، ومشاهدة التقصير(٢).

الثانية: الاستغفار بقول: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، كما في قوله ﷻ: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

ويتبين من ذلك أن من أفضل صيغ الاستغفار بعد سيد الاستغفار ما كان مقرونًا بالتوحيد والتسبيح كما في الآية.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار (٨/ ٦٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٦١).

الثالثة: ما كان مقرونًا بالتوحيد، كما في قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**»(١)، فهذه الصيغة من أفضل صيغ الاستغفار أيضًا.

ومما سبق يتبين أن أفضل صيغ الاستغفار بعد سيد الاستغفار، ما قُرن بالتوحيد والتسبيح، ثم ما قرن بالتوحيد دون التسبيح.

المسألة الرابعة: أفضل أوقاته:

الاستغفار كغيره من العبادات، له أوقات يفضُل بعضُها بعضًا، ومن هذه الأوقات ما يلي:

الأول: ما كان في السحر، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، وقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨].

الثاني: ما كان بعد الفراغ من العبادات؛ لذا شرع الله التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال، فشرع الاستغفار في خاتمة الحج، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩]، كما شرعه بعد الانتهاء من الصلاة، وبعد الزكاة، وبعد الصدقة، فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب فِي دعاء الضيف (٥/ ٥٦٩) برقم ٣٥٧٧، وأبو داود في سننه، باب في الاستغفار (٢/ ٨٥) برقم ١٥١٧، عن زيد بن ثابت ﷺ. قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح (٢/ ١٢٨). قال الألباني: حديث صحيح. انظر: صحيح أبي داود- الأم (٥/ ٢٤٨).

وورد عن النبي ﷺ أنه كان: «إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا»(١).

كما شُرع للمتوضئ بعد الانتهاء من وضوئه، كما في قوله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثُمَّ قَالَ:... اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (٢).

ومن ذلك تبين أن التوبة والاستغفار مشروعان عقب الأعمال الصالحة.

۞ المطلب الثاني: أثر الاستغفار في حفظ النعم ودفع النقم:

جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تبين أثر الاستغفار في حفظ النعم ودفع النقم، ومن هذه الآيات التي تدل على هذا الأثر، ما يلي.

١- قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

عن ابن عباس ﷺ قال: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَدْ»(٣)، فَيَقُولُونَ: إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صِفته (١/ ٤١٤) برقم ١٣٥، عن ثوبان ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما يُقال بعد الوضوء (١/ ١٠٩) برقم ٥٥، السنن الكبرىٰ، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، كتاب الدعوات، باب ما يقول بعد الفراغ من الوضوء (١/ ١٢٧) برقم ٣٦٩، عن عمر ابن الخطاب ﷺ. قال الألباني: صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، الخطيب، محمد بن عبد الله (١/ ٩٥).

(٣) أي كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيىٰ بن شرف (٨/ ٩٠)، الديباج علىٰ صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، =

لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ(١)، وَيَقُولُونَ: غُفْرَانَكَ غُفْرَانَكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآية. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانِ: نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَالِاسْتِغْفَارُ، قَالَ: فَذَهَبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَبَقِيَ الِاسْتِغْفَارُ(٢)».

وإذا كان الاستغفار ينفع الكفار، فكيف لا يفيد المؤمنين الأبرار(٣).

٢- قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

٣- وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

هذه الآيات صريحة في تأكيد مغفرة الله ذنوب عباده، وإن كانت من الفواحش، وإذا غُفرت الذنوب زال المرهوب، وهو زوال النقم وحصول النعم، كما أنها صريحة في تأكيد حصول المطلوب وهو بقاء النعم وحصول الرحمة.

٤- وقوله تعالىٰ علىٰ لسان نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠

= عبد الرحمن بن أبي بكر (٣/ ٢٧٩).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها (٢/ ٨٤٣) برقم (١١٨٥).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ، جُمَّاع أبواب الإحرام والتلبية، باب ما كان المشركون يقولون في التلبية (٥/ ٧٢) برقم ٩٠٣٧، والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين، وصححه (١/ ٧٢٦) برقم ١٩٨٨، والإمام أحمد في المسند، عن أبي هريرة، وعن أبي موسىٰ (٣٢/ ٢٦٤: ٢٦٥) برقم ١٩٥٠٦. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦١٠).

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ [نوح:١٠-١٢]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وهي دالة علىٰ عظيم شأن الاستغفار وتنوع فوائده وثمراته. وهذه الثمرات المذكورة هنا، هي مما يناله العبد في دنياه من الخيرات العميمة، والعطايا الكريمة، والثمرات المتنوعة. وأما ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثواب الجزيل والأجر العظيم والرحمة والمغفرة والعتق من النار والسلامة من العذاب، فأمر لا يحصيه إلا الله تعالىٰ(١).

❁ ❁ ❁

(١) فقه الأدعية والأذكار، البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن (٢/ ٢٧٥: ٢٧٦)

المبحث الثالث: الحوقلة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحوقلة؛ معناها، وفضلها.

المطلب الثاني: أثر الحوقلة في حفظ النعم ودفع النقم.

المطلب الأول: الحوقلة؛ معناها، وفضلها

الحوقلة من أعظم الذكر ولها فضل عظيم، ومن فضلها أنها سبب من أسباب حفظ النعم ودفع النقم، **وثمة مسائل في معناها وفضلها:**

المسألة الأولى: معنى الحوقلة:

لغةً: الحوقلة اختصار: لا حول ولا قوة إلا بالله(١).

اصطلاحًا: إظهار الفقر إلىٰ الله بطلب المعونة منه علىٰ ما يحاول من الأمور، وهي حقيقة العبودية(٢).

والحول: التحول، وهو الانتقال من حال إلىٰ حال، والقوة علىٰ ذلك بالله وحده لا شريك له؛ والقوة: هي القدرة علىٰ ذلك التحول؛ فدلت هذه العبارة العظيمة علىٰ أنه ليس للعالمَيْن: العلوي والسفلي حركة ولا تحول من حال إلىٰ حال، ولا قدرة علىٰ ذلك، إلا بالله. ومن الناس من يفسر ذلك بمعنىٰ خاص فيقول:

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ص: ١٤٩)، كتاب الأفعال، القَطَّاع، علي بن جعفر (١/ ٢٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٦٥)، ولسان العرب (١٠/ ٦٧).

لا حول من معصيته إلا بعصمته، ولا قوة علىٰ طاعته إلا بمعونته.

والصواب الذي عليه الجمهور هو المعنىٰ الأول، وهو الذي يدل عليه اللفظ؛ فإن الحول لا يختص بالحول عن المعصية، وكذلك القوة لا تختص بالقوة علىٰ الطاعة، بل لفظ الحول يعم كل تحول(١).

المسألة الثانية: فضلها:

لقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ في فضلها، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١. قول رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(٢).

ومن هذا الحديث يُعلم أن من أعظم فضائلها أنها تعين بعد الله ﷻ علىٰ القيام بالعبادات.

٢. قول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟...»، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(٣).

---

(١) شأن الدعاء، لشرح حديث النزول، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٨٦)، شرح فتح المجيد، لعبد الله بن محمد الغنيمان، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net، (٨٠ / ٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي (١/ ١٢٦) برقم ٦١٣، عن معاوية ﷺ. والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة (١/ ٢٨٩) برقم ١٢، عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٥/ ٣٣١) برقم ٤٢٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر =

ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمَع الذي يخفىٰ علىٰ أكثر الناس، كان هذا شأن هذه الكلمة؛ إذ كانت كنزًا من كنوز الجنة، حيث أوتيها النبي ﷺ من كنز تحت العرش، كما في الحديث التالي:

٣. قوله ﷺ «أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فيَقُولُ اللهُ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»(١)، وكأن قائلها أسلم واستسلم لمن أزِمّة الأمور بيديه، وفوض أمره إليه ﷻ(٢).

وشُبهت الحوقلة بالكنز، وهو مال مجتمع لا يحتاج إلىٰ تدخل الخلق والناس في جمعه؛ لأنها تتضمن التوكل والافتقار إلىٰ الله تعالىٰ دون الناس، ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم، فإذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم، وطلبها من الله، فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو(٣).

قال الله ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

= (٤/ ٢٠٧٦) (٢٧٠٤) برقم ٤٤، عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ.

(١) شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، أبواب الدعوات (١/ ٣٧٢) برقم ١٩٠، وأحمد في مسنده (١٣/ ٣٤٥) برقم ٧٩٦٦. قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح ولا يحفظ له علة (١/ ٧١). قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥١٠)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ص: ١١٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٢١).

٤. قول رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟...»، قال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(١).

وهكذا نرىٰ النبي ﷺ يعدد في وصفها، فتارة يصفها بأنها كنز من كنوز الجنة، وتارة كنز من تحت العرش، وتارة باب من أبواب الجنة؛ وما هذا إلا لعظم فضلها وجليل أجرها، وتأثيرها العجيب في تغيير أحوال العبد في الدنيا.

وكان ابن تيمية يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، تحمل بها الأثقال، وتكابد بها الأهوال، وينال بها رفيع الأحوال»(٢).

وللحوقلة تأثير في دفع الداء؛ لما فيها من كمال التفويض والتبري من الحول والقوة إلا به، وتسليم الأمر كله له، وعدم منازعته في شيء منه، وعموم ذلك لكل تحول من حال إلىٰ حال في العالمَيْن: العلوي والسفلي، والقوة علىٰ ذلك التحول، وأن ذلك كله بالله وحده، فلا يقوم لهذه الكلمة شيء. كما لها تأثير عجيب في طرد الشيطان(٣).

وقد قال المؤمن لصاحبه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]؛ ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين علىٰ شيء، فقوله: ما شاء الله، تقديره: ما شاء الله كان، فلا يأمن؛ بل يؤمن بالقدر، ويقول: لا قوة إلا بالله(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله (٥/ ٤٦٣) برقم ٣٥٨١، عن سعد بن عبادة ﷺ. قال الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٣): هذا حديث صحيح. وقال الألباني: صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٤٦).

(٢) أمراض القلب وشفاؤها، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ص: ٢٧).

(٣) الطب النبوي، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ص: ١٥٦).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٢١).

المطلب الثاني: أثر الحوقلة في حفظ النعم ودفع النقم

للحوقلة أثر كبير وعظيم في حفظ النعم ودفع النقم، ويظهر هذا جليًّا واضحًا من قول الحق ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]، فقوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾؛ أي: وهلّا إذا دخلت بستانك، فأعجبك ما رأيت منه، قلت: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ما شاء الله كان. فلا يحدث في هذا الكون من خير وشر إلا بمشيئة الله تعالىٰ وقدرته وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، بل أطلق اللفظ؛ ليعم الماضي والمستقبل والراهن(١).

خلافًا لقول المعتزلة(٢): إن ثمة أشياء كثيرة حدثت بغير مشيئة الله، تعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل كلٌّ بمشيئته وإرادته يفعل ما يشاء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، ولو حدث شيء بغير مشيئته وإرادته لكان مقهورًا مغلوبًا، جَلّ وتعالىٰ عن ذلك(٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: ما اجتمع لك من المال والولد فهو بقدرة الله تعالىٰ وقوته لا بقدرتك وقوتك، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع، ولا تقدرُ

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (١٨/ ٢٤)، وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٨٥)، والهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٦/ ٤٣٨٤).

(٢) هي فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت علىٰ العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة؛ مما أدىٰ إلىٰ انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، أُسست علىٰ يد واصل بن عطاء، ومن كبار رموزها: القاضي عبد الجبار والجاحظ وغيرهما. انظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني (١/ ٦٤).

(٣) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (٦/ ٤٣٨٤)، روائع التفسير، لابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد (١/ ٦٥٨).

علىٰ حفظ مالك وولدك، ولا دفع شيءٍ عنهما إلَّا بالله[١].

وفي معناها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته، ويسلِّم الأمر إلىٰ مالكه.

والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا يخاف منهم؛ إذ قواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث: أنه رد علىٰ الفلاسفة والطبائعيين[٢] الذين يدّعون القوىٰ في الأشياء[٣].

وجاء في الأثر[٤]: أنه ما أنعم الله علىٰ عبد بنعمة فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا أتمها الله عليه، فلا يرىٰ فيها بأسًا غير الموت، وهو معنىٰ مستنبَط من الآية السابقة.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد (١٠/ ٤٠٦)، اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٢/ ٤٩٢).

(٢) الطبائعيون: هم سقراط وأفلاطون وأئمة الكفر، وهم يقولون إن أصل العالم أربعة أشياء هن طبائع العالم؛ الحرارة والبرودة وهما فاعلتان، والرطوبة واليبوسة وهما منفعلتان. فمِن قائل: تركيب هذه الأشياء الأربعة من غير صانع، ومِن قائل: هذه الطبائع فاعلات تدبّر العالم بطبعها. وقالوا إن الطباع تتغالب في الأجسام، فربما تغلب الحرارة علىٰ البرودة ولا يعلم الطبيب قدر الغلبة فيموت الجسم لجهل الطبيب، ولولا تغالب الطباع لم يمت أحد. مفيد العلوم ومبيد الهموم، الخوارزمي، محمد بن العباس (ص: ١١١).

(٣) انظر: روائع التفسير، لابن رجب (١/ ٦٥٨).

(٤) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَرَىٰ فِيهِ آفَةً، دُونَ الْمَوْتِ». المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، د.ط، القاهرة، دار الحرمين (٤/ ٣٠١)، الأسماء والصفات، البيهقي، أحمد بن الحسين، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، وقدم له فضيلة الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي، (١/ ٤١٧)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، محمد ناصر (٥/ ٢٥).

القسم الثاني

أسباب عملية

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الإيمان والتقوى.
- المبحث الثاني: الصدقة.

المبحث الأول: الإيمان والتقوى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الإيمان والتقوى والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: أثرهما في حفظ النعم ودفع النقم.

المطلب الأول: معنى الإيمان والتقوى والعلاقة بينهما

المسألة الأولى: معنى الإيمان:

لغة: آمن إيمانًا فهو مؤمن، ومَن آمن إيمانًا بالله تعالىٰ، أسلم له، فهو مؤمن به. وهو التصديق بالقلب(١).

اصطلاحًا: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان. وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر(٢).

(١) انظر: متن اللغة (١/ ٢٠٨).

(٢) انظر: التعريفات (ص: ٤٠)، التعريفات الفقهية (ص: ٤٠).

المسألة الثانية: معنى التقوى:

لغة: هي بمعنىٰ الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، والصيانة والحفظ من ضررٍ. والتقوىٰ والتقي والتقاة والتقية عند أهل اللغة باستعمالٍ واحد(١).

اصطلاحًا: هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهي صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. والتقوىٰ: في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر(٢).

المسألة الثالثة: العلاقة بين الإيمان والتقوى:

اعلم أن الإيمان درجات، فهو يزيد وينقص، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ١]، والتقوىٰ أيضًا درجات كما أن الإيمان درجات، ويتضح ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فأعلىٰ درجات التقوىٰ هي أن تسلم وجهك لله.

وقد جاء الأمر بالتقوىٰ في كتاب الله موجهًا إلىٰ الناس كافة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]؛ لذا فلا علاقة بين الإيمان والتقوىٰ؛ فقد يكون الإنسان علىٰ درجة كبيرة من الإيمان وهو ليس علىٰ درجة من التقوىٰ، وقد يكون علىٰ درجة كبيرة من التقوىٰ وهو ليس علىٰ درجة من الإيمان.

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ص: ٣٤٤)، ولسان العرب (١٥/ ٤٠٤)، ومجمع بحار الأنوار (١/ ٢٦٦)، ومعجم متن اللغة (٥/ ٨٠٤) بتصرف.

(٢) انظر: التعريفات (ص: ٦٥)، والتعريفات الفقهية (ص: ٦٠).

ويتضح ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وهنا استخدم الأسلوب القرآني العطف بين الإيمان والتقوىٰ في الجملة الشرطية، وهو ما يفيد المغايرة بين الإيمان والتقوىٰ. فلو أن أهل القرىٰ آمنوا ولم يتقوا لا يتحقق جواب الشرط. ولو أنهم اتقوا ولم يؤمنوا لا يتحقق جواب الشرط. ولكي تُفتَح البركات من السماء والأرض يجب علىٰ أهل القرىٰ أن يؤمنوا ويتقوا، ولو أن التقوىٰ درجة من درجات الإيمان لكان النص القرآني كالآتي: «ولو أن أهل القرىٰ آمنوا ثم اتقوا».

وقد عُطفت التقوىٰ علىٰ الإيمان في الجملة الشرطية في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ويتضح في هذه الآية الأخيرة أن من صفات أولياء الله الجمع بين الإيمان والتقوىٰ. كما يُفهم منها أن التقوىٰ هنا سابقة للإيمان؛ لأن الله تعالىٰ استخدم صيغة الماضي في عبارة: ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ بعد ذكر الإيمان.

وقد يكون الإيمان سابق للتقوىٰ، ويتضح ذلك في الأمر بالتقوىٰ الموجه إلىٰ المؤمنين في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فالإيمان لا ينفع إلا إذا كان معه تقوىٰ وهي العمل صالح «الَّذِين آمَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّالِحَاتِ»، علمًا بأن العمل الصالح من الإيمان، بمعنىٰ أن الإيمان هو ما يتعلق بالباطن، والتقوىٰ هي ما يتعلق بالظاهر، فيكون الإنسان من حيث الباطن والظاهر علىٰ حالة ترضي الله ﷻ، فإذا كان كذلك، فليستبشر بوعد الله.

وعمومًا قد يجمع الإنسان بين درجات التقوىٰ ودرجات الإيمان، وقد تكون التقوىٰ سابقة للإيمان، وقد يكون الإيمان سابق للتقوىٰ(١).

المسألة الرابعة: فضل الإيمان والتقوى:

بالإيمان والتقوىٰ تسعد المجتمعات ويعم الأمن وينتشر الرخاء، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فعندما يلتقي الإيمان والتقوىٰ بتوازن يكون الإنسان.

ولما ذكر القرآن الكريم قصص الأولين من المرسلين وأقوامهم، ذكر أن نزول البركات عليهم كان مرتبطًا بتحقيقهم التقوىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وإذا نظرنا إلىٰ الآيات التي تسبق هذه الآية والتي تليها، **وجدنا أن هذه الأمم السابقة كانت تمر بهم ثلاث مراحل، هي:**

١- مرحلة الشدة والضنك.

٢- مرحلة الرفاهية والرخاء.

٣- مرحلة الفساد والهلاك.

وقد كانت الرسالات السماوية تتزامن مع هذه المراحل الثلاث التي كانت تمر بالأمم السابقة؛ إذ كان الأنبياء يُبعثون إلىٰ أقوامهم وهم في ضيق من العيش وشدة وضنك؛ بسبب ابتعادهم عن أحكام السماء، ومن ثَم يسألون رسلهم أن يدعوا لهم ربهم ليسهل عليهم هذه الحياة برحمته تعالىٰ، فتنزل خيرات السماء

(١) رابط الموضوع: https://cutt.us/YlvJK

والأرض، ويعيشون في الرخاء والنعيم، لكنهم بعد ذلك يستخدمون هذه النعم فيما يستحقون به العذاب والعقاب، فيخسرون بسبب غفلتهم في الليل والنهار داري الدنيا والآخرة. فعلىٰ الأجيال اللاحقة أن تتعظ بما حصل للأجيال السابقة بسبب ذنوبهم التي أحاطت بهم، مما أعمىٰ قلوبهم عن الحق فأخذهم الله علىٰ حين غفلة. ولو أنهم سلكوا سبيل الإيمان والتقوىٰ بدل الطغيان والكفر والتمرد علىٰ الله، لأمِنوا غضب الله، بل ولفُتحت عليهم أبواب السماء والأرض بالبركات.

۞ المطلب الثاني: أثرهما في حفظ النعم ودفع النقم

إن الله ﷻ حين يخبِر عن نفسِه بأنه الرزاق، وأنه المعطي والمانع، يكُون واجبَ المؤمنِ الإيمانُ بذلك عقيدةً مترجمةً في سلوك عمليٍّ، ويكون شُغله الشاغل هو البحث عن أسباب نَيْلِ ما عند الله مِن رزق، شأنه في ذلك شأن مَن يُريد التوصُّل إلىٰ مطلوبه المملوك لغيره، وقد بَيَّنَ ﷻ في هذه الآية أسبابَ نيلِ الرزقِ والرخاءِ الاقتصاديِّ فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]؛ فبيَّنَ ﷻ أن الإيمان والتقوىٰ سببٌ لِفتحِ بركات السماء والأرض، وأنه بالإيمان والتقوىٰ يُستجلَب الرزقُ المبارك فيه.

إننا في هذه الآية الكريمة أمام سُنَّة إلهيَّة يغفل عنها كثيرٌ ممن آمن بالقرآن، غيرَ مُكترَث بأسلوب الآية في تقرير هذه السُّنَّة الإلهيَّة، وهو أسلوب يؤكِّد حقيقةَ علاقةِ الإيمانِ والتقوىٰ بالرخاء الاقتصادي، **حيث يبيِّن:**

١- أن هذا الفتح عُلِّق بالإيمان والتقوىٰ، فهما شرط في حصوله.

٢- أن التعبير بالفتح يُفيد أن هذا الأمر كان مُغلقًا لولا فتح الله.

٣- أن المفتوح عبِّر عنه بأنه «بركات»، وذلك لِتحقُّقِ نفعِه؛ إذ لا فائدة في رزقٍ لم يُبارِكِ اللهُ فيه.

٤- تعدُّد مصادر هذا الرزق الذي يَفتَحه اللهُ علىٰ المؤمنين المتَّقين، فهو بركاتٌ مِن السماء والأرض؛ فكلُّ مُستَخرَجٍ من الأرض علىٰ وجه الانتفاع به داخلٌ في معنىٰ بركاتِ الأرضِ؛ نفطًا كان، أو ذهبًا، أو نحاسًا، أو حديدًا... أو زروعًا، أو ثمارًا؛ كل ذلك داخلٌ في معنىٰ بركاتِ الأرض، وكلُّ نازلٍ من السماء من مطرٍ يروي الأراضي الزراعية، وينفع الثمار، ويملأ السدود، ويغذي المياه، وينفع الأسماك... داخلٌ في معنىٰ البركات المفتوحة من السماء.

وهكذا يجد المؤمنون المتَّقون أثَرَ الإيمانِ والتقوىٰ في تعدُّد مصادرِ اقتصاديَّاتهم، ومن المقرَّر في عِلم الاقتصاد: أنَّ أقوىٰ الأمم اقتصادًا الأمم ذاتُ المصادر المتعدِّدةِ لاقتصادِها؛ لأنَّ المصدر الاقتصاديَّ الواحدَ عُرْضةٌ للهزَّاتِ الاقتصادية، وهبوط الأسواق؛ فصاحبُه في قلقٍ دائم مِن خوفِ نفادِه، أو الاستغناءِ عنه في الأسواق، أو قِلَّةِ رواجه لضعف الطلب، أو كثرتِه في الأسواق كثرةً تَضُرُّ برواجه.

وليس أثر الإيمان والتقوىٰ مقتصرًا علىٰ هذا الفتح المتعدِّد، بل هو أساسٌ للحفاظ عليه، والارتقاء به، والسعادة به سعادة يَطِيب في ظلِّها التمتُّع به، فهو أمان له مِن الاختلاس، والتبذير، والإنفاق علىٰ آثار المحرمات، والأمراض النفسية، لما يُقرِّره الإيمانُ في نفوس أصحابه من الاطمئنان، الذي به تقلُّ الأمراضُ النفسية وآثارها السلبية، والابتعاد عن المحرَّمات ذاتِ الآثار المدمِّرة، والمخدِّرات والمسكرات، التي تُعَدُّ بحقٍّ مِعول هدمٍ لاقتصادياتِ دولٍ كبرىٰ، والواقع خير شاهد.

إنَّ فهْم الناس لعَدَم دخولِ الأخذِ بأسباب التقدُّم والرخاء الاقتصادي في مُسَمَّىٰ الإيمان والتقوىٰ قصورٌ مَرَدُّهُ إليهم، والإسلامُ منه براء، بل الأخذ بأسباب التقدُّم والقوَّة والرخاء الاقتصادي وعمارة الأرض بكل ما هو نافعٌ مطلبٌ شرعيٌّ، يَسعَىٰ إلىٰ تحقيقه كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ يَفهَم عن الله مُرادَهُ.

وقد سبق أن معنىٰ التقوىٰ في اللغة: الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، والصيانة والحفظ من ضررٍ.

وفي الاصطلاح: أنها الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهي صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. وأن التقوىٰ في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر؛ ولذلك قد يُطلق لفظ التقوىٰ بمعنىٰ التنسّك والعبادة مخافة الله تعالىٰ، كما أنها لفظ يدل علىٰ حبّ الله تعالىٰ.

والتقوىٰ ومشتقاتها كثُر تكرارُها في القرآن الكريم في عدّة مواضع، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال كذلك: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٤٨]. وقد ورد عن الشافعي رحمه الله في التقوىٰ: «مَنْ لمْ تُعِزَّهُ التَّقْوىٰ فَلا عِزَّ لَهُ»(١)، وقال ابن القيم رحمه الله في مراتب التقوىٰ: «التقوىٰ ثلاثُ مَراتبَ: حِمْيَةُ القلب والجوارح عَنِ الآثام والمحرمات، ثمّ الحمية عن المكروهات، ثمّ الحمية عن الفُضُول وما لا يعني»(٢)، وسُئل أبي بن كعب رضي الله عنه عن التقوىٰ فقال: «أما سلكت طريقًا ذا شوكٍ؟ قيل: بلىٰ، قال:

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، يحيىٰ بن شرف النووي (١/ ١٢)، ومناقب الشافعي، البيهقي، أحمد بن الحسين (المقدمة/ ٢٢).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ٣١).

فما عملت، قيل: شمرّت واجتهدت، قال: فذلك التقوىٰ»[(١)]، وعرّفها طلق بن حبيب فقال: «أن تعمل بطاعة الله علىٰ نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نورٍ من الله تخاف عقاب الله»[(٢)].

وقد أمر الله سبحانه عباده المسلمين بتقواه حقّ تقاته، وأورد في ذلك العديد من الآيات التي تبين فضل التقوىٰ والمتّقين، وترغّب المسلم في الوصول إلىٰ مرتبة التقوىٰ التي ترضي الله عنه، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وبما أنّ تعريف التقوىٰ يدور حول تحقيق ما يرضي الله سبحانه، وتجنّب محارمه وما نهىٰ عنه، فإنّ تحقيقها يكون ولا شكّ بزيادة اجتهاد المسلم في إتيان الطاعات؛ من صدقاتٍ، وصيامٍ، وصلواتٍ فروضًا ونوافل، راغبًا في أن يكرمه الله تعالىٰ بزيادة التقوىٰ في قلبه، وتلك سنة الله تعالىٰ أن يعين من أتاه مُقبلًا، فييسره إلىٰ الخير أكثر فأكثر، وبقدر ما يُقبل المسلم علىٰ ربّه، تكون الهداية والتوفيق للطاعات من الله سبحانه له، وقد قرن الله تعالىٰ في كتابه العزيز بين إتيان بعض الطاعات وتحقيق التقوىٰ في قلب المسلم، وهذه بعض الطاعات التي يرتبط تحقيق التقوىٰ بها:

- الصيام، فقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٦٤)، التفسير المأمون علىٰ منهج التنزيل والصحيح المسنون، الأستاذ الدكتور مأمون حموش (١/ ٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٧٥)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٣٦٢).

- التخلّق بصفات المتقين وأخلاقهم، وهذه الصفات والأخلاق ذكرها الله تعالىٰ في الآية الكريمة: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذه الصفات المجموعة في الآية هي صفاتٌ للمتّقين، من أخذها كلّها أو بعضًا منها حقّق في قلبه تقوىٰ الله بقدر ما أخذ.

- التفكّر في آيات الله تعالىٰ، وقدرته في تصريف الكون وتدبير شأنه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

- التمسّك بسنة رسول الله ﷺ، وعدم الانحراف إلىٰ البدع من الأمور، قال الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- اجتهاد المسلم واهتمامه بإتيان الطاعات وترك المعاصي، فالله سبحانه يحبّ أن يرىٰ من عبده الاجتهاد في طاعته، فييسره إلىٰ مزيدٍ منها، ويصرف عنه السيئاتِ وشرَّها.

- كثرة ذكر الله تعالىٰ، ومن ذلك كثرة قراءة القرآن الكريم.

- مصاحبة أهل الدين والإيمان الذين يذكّرون المرء بتقوىٰ الله تعالىٰ وفضل ذلك عليه، وينصحونه ويذكّرونه إذا أتىٰ محارمه؛ فذلك معينٌ علىٰ تقوىٰ الله سبحانه.

- النظر في سِيَر المؤمنين المتّقين، ففي ذلك غرس حبّهم في القلب، والرغبة في صنع ما صنعوا والفلاح كما فلحوا.

- دوام سؤال الله تعالىٰ الثبات والتوفيق إلىٰ طاعته، وتحقيق تقواه، والانصراف عن محارمه وما لا يُرضيه(١).

ولا بد للمتقي من ثمرات يجنيها إذا اجتهد في التقرّب إلىٰ الله سبحانه، وحاول الوصول إلىٰ حقيقة التقوىٰ التي ترضيه، وهذه الثمرات لا شكّ في أنه سينالها بكرم الله ومنّته، ومن هذه الثمرات العائدة عليه من تقوىٰ الله(٢) ما يلي:

- حبّ الله تعالىٰ للعبد؛ إذ قال الله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

- رحمة الله سبحانه بالعبد؛ ودليل ذلك: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

- نيل معونة الله وتوفيقه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

- تحصين المسلم وتأمينه من كلّ ما يُخيفه ويحذَره، كما أنّها درءٌ للمهالك في الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

- سعة في الرزق والعطاء في الدنيا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

(١) رابط الموضوع: https://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%8h. مقال محمد مروان

(٢) المصدر السابق.

- نصر الله الحليف للمؤمنين الأتقياء؛ قال الله سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- العاقبة العظيمة والفضل الكبير في الآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- كونها أفضل طريقٍ للتقرّب إلىٰ الله، والتزوّد من الخير؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- كونها من مفاتيح قبول العمل؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

المبحث الثاني: الصدقــة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصدقة؛ معناها، وفضلها، وما يدخل فيها.

المطلب الثاني: أثر الصدقة في حفظ النعم ودفع النقم.

المطلب الأول: الصدقة؛ معناها، وفضلها، وما يدخل فيها

الصدقة من الأسباب التي - بإذن الله تعالىٰ - تحفظ النعم وتدفع النقم، فما الصدقة؟ وما يدخل فيها؟ وما فضلها؟ **هو ما سنذكره في المسائل الآتية:**

المسألة الأولى: معنى الصدقة:

لغة: هي اسم لما يُتصدّق به، وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل علىٰ القوة في الشيء قولًا أو غيره، ومن ذلك أُخذ الصدق لقوّته في نفسه، ومن الصدق أُخذت الصدقة؛ لأنها تدل علىٰ صدق العبودية لله تعالىٰ(١).

اصطلاحًا: الصدقة هي العطية التي بها يُبتغىٰ المثوبة من الله تعالىٰ(٢).

المسألة الثانية: فضل الصدقة:

جاءت الآثار في فضل الصدقة علىٰ العبد في دنياه وأخراه كثيرة، وبينت أن كل

(١) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام الحرم المكي وخطيبه (٦/ ٢٥١٧)، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي (ص: ٢١٤).

(٢) انظر: المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب (ص: ٢٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي (٦/ ١٩١).

نفقة يحتسبها العبد هي له صدقة، **ومن هذه الآثار ما يلي:**

١. قول رسول الله ﷺ: «**وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْفَعُكَ، يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ**»(١).

فيتبين من هذا الحديث أن كل نفقة أنفقها المسلم هي له صدقة، يدفع بها بلاء عن نفسه وعن غيره، ويظهر هذا في قوله ﷺ: «**لعل الله يرفعك، ينتفع بك ناس**».

٢. وقوله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...**» وذكر منهم: «**... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»(٢).

فالنفقة الخفية يدفع الله بها بلاء خفيًّا؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فلا نعلم عِظامًا دفعها الله عن المنفقين خفيةً.

٣. وقوله ﷺ: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب النفقات، باب فضل النفقة علىٰ الأهل (٧/ ٦٢) برقم ٢٧٤٢، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل الصلاة (١/ ١٣٣) برقم ٦٦٠، عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) المعجم الأوسط (٦/ ١٦٣) برقم ٩٤٣، عن أم سلمة ﷺ، والأموال، لابن زنجويه (٢/ ٧٦٠) برقم ١٣١١، عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٠٧).

وهذا الحديث معناه ظاهر في دفع النقم والبلايا، وأن أهل المعروف والصدقة هم أهل المعروف في الدنيا والآخرة.

والنفقة علىٰ الأقارب تجمع فضيلتين: صلة وصدقة، كما في الحديث: «... لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»(١)، والحديث: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»(٢).

المطلب الثاني: أثر الصدقة في حفظ النعم ودفع النقم

للصدقة أثر بالغ في دفع البلاء، وحفظ النعماء، **وقد جاءت الآيات في هذا المعنى كثيرة، ومنها:**

١. قول الحق ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازَىٰ عليه، وسمىٰ الله تعالىٰ عمل المؤمنين له علىٰ رجاء ما وعدهم من الثواب قرضًا؛ لأنهم يعملونه لطلب ثوابه، خالصا لوجه الله، من نية صادقة، وتثبيت من النفس، ومال طيب. وأصل القرض في اللغة: القطع، سمي به القرض؛ لأنه يقطع من ماله شيئًا يعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل: في الآية اختصار مجازه: من ذا الذي يقرض

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين (٢/ ٦٩٤) برقم ٤٥، عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين (٢/ ٦٩٥) برقم ٤٨، عن أبي مسعود البدري ﷺ.

عباد الله والمحتاجين من خلقه(١).

وقوله: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، فيه وعد من الله تعالىٰ ذكره لمقرضه ومنفق ماله في سبيله بمضاعفة الجزاء له علىٰ قرضه ونفقته، بما لا حد له ولا نهاية.

وهذه الآية نظيرة الآية التي قال الله - تعالىٰ ذكره - فيها: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، يعني به ﷻ: أنه هو الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها، دون غيره ممن ادعىٰ أهل الشرك به أنهم آلهة، واتخذوهم أربابًا يعبدونهم من دونه.

وعمومًا، فإن الله ﷻ أراد حث عباده المؤمنين - الذين قد بسط عليهم من فضله، ووسع عليهم من رزقه - علىٰ تقوية ذوي الإقتار منهم بأموالهم، ومعونتهم بالإنفاق عليهم وحملهم لمساعدتهم علىٰ النهوض لقتال عدوه من المشركين في سبيله، فبين لهم ﷻ: أن من يقدم لنفسه ذخرًا عنده بإعطائه ضعفاء المؤمنين وأهل الحاجة منهم ما يستعينون به علىٰ القتال في سبيله، بين لهم أنه سيضاعف له ثوابه أضعافًا كثيرة أكثر مما أعطاه وقواه به. ويخاطبهم: إني - أيها الموسعون- أنا الذي قبضت الرزق عمن ندبتكم إلىٰ معونته وإعطائه؛ لأبتليه بالصبر علىٰ ما ابتليته به؛ وأنا الذي بسطت لكم الرزق؛

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٥/ ٢٨٢)، ومعالم التنزيل، للبغوي (١/ ٢٩٤)، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص:٨٩٤).

لأمتحنكم فيما بسطته لكم، فأنظر كيف طاعتكم إياي فيه، فأجازي كل واحد منكما علىٰ قدر طاعته لي فيما ابتليته أو امتحنته به، من غنىٰ وفاقة، وسعة وضيق، عند رجوعكما إليّ في آخرتكما، ومصيركما إليّ في معادكما(١).

وقد تعددت الآيات في مثل هذا المعنىٰ، ومن ذلك:

قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:١٨]، وقوله ﷻ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠].

فهذه الآيات عبرت عن الصدقة بالقرض، ووعدت بالمضاعفة، وهذه المضاعفة قد تكون بالخلَف من جنس ما أنفق المنفق، وقد تكون من غير جنسه؛ بأن تكون عافية في بدن، أو صلاحًا في نفس، أو ولدًا صالحًا أو زوجًا صالحًا، وقد تكون دفع بلىٰ. ولا يمنع أن تجتمع هذه الفضائل كلها جزاء للمنفق؛ فالله هو المتفضل ذو الإنعام والغنىٰ والرحمة والسعة، جل جلاله وتقدست أسماؤه.

٢. قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢].

فقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾، يمدح به الذين ينفقون

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٥/ ٢٨٤)، وبحر العلوم، للسمرقندي (١/ ١٦٠).

أموالهم في سبيله من الخيرات والصدقات، من دون من؛ فلا يمنون علىٰ من أنفقوا عليه لا بقول ولا فعل؛ حتىٰ لا ينقص أجرهم أو تفسد صدقتهم بهذا المن، ومراعاة لمشاعر من أنفقوا عليهم.

والمنّ فيه قولان:

أحدهما: أنه المن علىٰ الفقير، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه المن علىٰ الله بالصدقة(١).

وقوله: ﴿وَلَآ أَذًى﴾؛ أي: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحبطون به ما سلف من الإحسان(٢).

وكانت نتيجة ذلك أن وعدهم الله تعالىٰ الجزاء الجزيل علىٰ ذلك، فقال: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: جعل ثوابهم عليه لا علىٰ سواه، وقال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة، وقال: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي: علىٰ ما خلفوه من الأولاد، وما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها، فلا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلىٰ ما هو خير لهم من ذلك. فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر؛ لأنهم عملوا عملًا خالصا لله سالمًا من المفسدات(٣).

وهذا حث عظيم من الله ﷻ لعباده علىٰ إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريقه

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٦٩٣)، وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٣٨)، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٩٥٦).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٣٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٩٥٦).

الموصل إليه. ويدخل في هذا الإنفاق: الإنفاق في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد في سبيله، وفي تجهز المجاهدين وتجهيزهم، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين. ويلي ذلك في المرتبة الإنفاق علىٰ المحتاجين، والفقراء والمساكين.

وقد يجتمع الأمران، فيكون في النفقة دفع الحاجات، والإعانة علىٰ الخير والطاعات(١).

٣. وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤].

فعن ابن عباس ﷺ أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ؛ لم يكن يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم بالليل، ودرهم بالنهار، ودرهم في السر، ودرهم في العلن؛ فنزلت الآية رضًا بفعله، وثناء عليه(٢).

وعنه أيضًا أنها نزلت في الذين يربطون الخيل في سبيل الله، ينفقون عليها بالليل والنهار سرًّا وعلانية(٣).

وقيل: أراد بالنفقة هاهنا: النفقة علىٰ الخيل في سبيل الله؛ فإنها تعتلف من تلك النفقة ليلًا ونهارًا، وسرًّا وعلانية؛ والنفقة علىٰ الخيل في سبيل الله باب عظيم(٤).

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١١٣).

(٢) أسباب النزول، ت الحميدان (ص: ٩١).

(٣) أسباب النزول، ت الحميدان (ص: ٩٠).

(٤) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (١/ ٣٩٢)، وتفسير القرآن العزيز، للسمعاني (١/ ٢٧٨)، ومعالم =

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، يُقال في معناه كما قيل في الآية السابقة؛ وتكرارها تأكيد علىٰ معناها، ومزيد عناية بعاقبة النفقة.

فالآيتان تهديان - والله تعالىٰ أعلم - إلىٰ أن هذه البشرىٰ ليست فقط في الآخرة، بل حتىٰ في الدنيا لا خوف عليهم من زوال نعم الله تعالىٰ، أليس من ثمرات الزكاة أنها تحفظ المُزكّىٰ عنه؟!.

وقد قال ﷺ: «**حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ**»(١).

ويؤيد هذا الحديث ما ثبت من شواهد أخرىٰ في السنة في دفع البلاء بالصدقات، ومن أصح ذلك حديث الكسوف، قال ﷺ فيه: «**... فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**»(٢).

وفي الحديث دليل علىٰ استحباب الصدقة عند المخاوف؛ لاستدفاع البلاء المحذور(٣).

= التنزيل، للبغوي (١/ ٣٨٠).

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل (ص: ١٢٨) برقم ١٠٥، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٧٤) برقم ١٩٦٣، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٥٣٦) برقم ٦٥٩٣. قال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصدقة في الكسوف (٢/ ٣٤) برقم ١٠٤٤، عن عائشة ﵂.

(٣) انظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد (١/ ٣٥٣)، والعدة في شرح العمدة في =

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوىٰ منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوىٰ لم يدفعه لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أُمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة»(١).

فالصدقة تدفع البلاء كما أن الدعاء والاستغفار يدفعانه.

وقال ابن القيم: «إن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالىٰ يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقرّون به؛ لأنهم جربوه»(٢).

وقال أيضًا: «وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم - علىٰ اختلاف أجناسها ومللها ونحلها - علىٰ أن التقرب إلىٰ رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلىٰ خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله، واستدفعت نقمه، بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلىٰ خلقه»(٣).

❁ ❁ ❁

= أحاديث الأحكام، لعلي بن إبراهيم بن العطار (٢/ ٧٣٢).

(١) انظر: دقائق التفسير، لابن تيمية (٥١٩/٢)، ومجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٩٦).

(٢) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية (ص: ٣١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٢٤٢).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ص: ١٨).

الخاتمة

بعد أن أنهيت الكلام عن شيء من أسباب حفظ النعم ودفع النقم، توصلت إلىٰ النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

١. أن الله ﷻ قدر الأقدار، وأمر بأخذ الأسباب، كما قال ﷺ: «**اعقلها وتوكل**»(١).

٢. ينبغي للمسلم أن يعلم أن الله قد يبتلي عباده ليرفع منازلهم، ولا يلزم أن يكون كل ما يصيب المسلم نقمة، بل قد يكون ابتلاءً.

التوصيات:

علىٰ المسلم أخذ الحذر والحيطة من زوال نعم الله تعالىٰ عليه، وحلول نقمه؛ وذلك بفعل الأسباب التي أرشد الله ﷻ ورسوله ﷺ إليها، ثم ما علىٰ المسلم إلا التوكل وتفويض الأمر إلىٰ الله ﷻ.

هذا ونسأل الله أن يحفظ علينا نعمه، ويدفع عنا نقمه، إنه جواد كريم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٢٤٩) برقم ٢٥١٧، عن أنس بن مالك ﷺ والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٧) برقم ١١٥٩، عن عمرو بن أمية الضمري ﷺ. قال الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٤٢).

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. «إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام»، ابن دقيق العيد، مطبعة السُّنة المحمدية.

٣. «أساس البلاغة، لمحمود بن عمرو بن أحمد»، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤. «الأسماء والصفات»، لأحمد بن الحسين بن علي، البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، وقدم له فضيلة الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٥. «أمراض القلب وشفاؤها»، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٦. «بدائع الفوائد»، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧. «تاج العروس من جواهر القاموس»، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٨. «تاريخ الثقات»، لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (المتوفى: ٢٦١هـ)، دار الباز، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٩. «التاريخ الكبير»، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

١٠. «تسهيل العقيدة الإسلامية»، لعبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي

للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية.

١١. «تفسير القرآن العظيم»، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢. «التفسير من سنن سعيد بن منصور»، لسعيد بن منصور بن شعبة الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ). دراسة وتحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٣. «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين»، لنصر بن محمد بن أحمد، السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤. «تهذيب اللغة»، لمحمد بن أحمد، الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ). المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٥. «التوقيف على مهمات التعاريف»، لمحمد المدعو بـ: عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٧. «جامع البيان في تأويل القرآن»، لمحمد بن جرير بن يزيد غالب، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٨. «الجامع الكبير»، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٩. «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، لمحمد بن إسماعيل، البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٢٠. «جمهرة اللغة»، لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفىٰ: ٣٢١هـ). المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٧م.

٢١. «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء»، لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، دار المعرفة، المغرب، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٢. «دقائق التفسير»، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ). المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ه.

٢٣. «روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) »، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (المتوفىٰ: ٧٩٥هـ). جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.

٢٤. «زاد المسير في علم التفسير»، لعبد الرحمن بن علي بن محمد، الجوزي (المتوفىٰ: ٥٩٧هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٢٥. «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، الألباني (المتوفىٰ: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولىٰ.

٢٦. «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة»، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج، الألباني (المتوفىٰ: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٧. «السنن، لابن ماجة»، محمد بن يزيد، القزويني (المتوفىٰ: ٢٧٣هـ). المحققون: شعيب

الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٢٨. «سنن أبي داود»، لأبي داود سليمان بن الأشعث، السِّجِسْتاني (المتوفىٰ: ٢٧٥هـ). المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٩. «السنن الكبرىٰ»، لأحمد بن الحسين بن علي، البيهقي (المتوفىٰ: ٤٥٨هـ). المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٣٠. «شأن الدعاء»، لأبي سليمان حمد بن محمد، المعروف بالخطابي (المتوفىٰ: ٣٨٨هـ). المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣١. «شرح حديث النزول»، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

٣٢. «شرح فتح المجيد»، لعبد الله بن محمد الغنيمان، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net.

٣٣. «شرح مشكل الآثار»، لأحمد بن محمد بن سلامة، المعروف بالطحاوي (المتوفىٰ: ٣٢١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م.

٣٤. «شعب الإيمان»، لأحمد بن الحسين بن علي، البيهقي (المتوفىٰ: ٤٥٨هـ). تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، الهند، مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٣٥. «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ). دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٦. «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، لأبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفىٰ: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٣٧. «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني -، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله.

٣٨. «الطب النبوي»، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الهلال - بيروت.

٣٩. «العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام»، لعلي بن إبراهيم بن داود بن سلمان العطار (المتوفى: ٧٢٤ هـ). وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٤٠. «فتحُ البيان في مقاصد القرآن»، لمحمد صديق خان، القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ). عُني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٤١. «الفروق اللغوية»، لألحسن بن عبد الله بن سهل، العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ). حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٤٢. «فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب»، لمحمد نصر الدين محمد عويضة.

٤٣. «فقه اللغة وسر العربية»، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

٤٤. «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، لعبد الرحمن السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

٤٥. «كتاب الأفعال»، لعلي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٦. «كتاب التعريفات»، لعلي بن محمد، الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) دار الكتب العلمية

بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٧. «اللباب في علوم الكتاب»، لعمر بن علي بن عادل، النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ/ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٤٨. «المجتبى من السنن = السنن الصغرى»، لأحمد بن شعيب بن علي، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٤٩. «مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار»، لمحمد طاهر بن علي الصديقي، الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

٥٠. «مجمل اللغة»، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ). دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥١. «المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) »، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.

٥٢. «مجموع الفتاوى»، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٥٣. «المحكم والمحيط الأعظم»، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ). المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٤. «مختار الصحاح»، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ). المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، الطبعة:

الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٥. «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١ه). المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٥٦. «المراسيل»، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفىٰ: ٢٧٥هـ). المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٥٧. «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لعبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان، المباركفوري (المتوفىٰ: ١٤١٤ه)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، الطبعة: الثالثة، - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٥٨. «المستدرك علىٰ الصحيحين»، للحاكم محمد بن عبد الله، الضبي الطهماني، المعروف بابن البيع (المتوفىٰ: ٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١ - ١٩٩٠م.

٥٩. «المسند»، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الشيباني (المتوفىٰ: ٢٤١هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٠. «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ»، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦١. «مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار»، لعياض بن موسىٰ بن عياض، السبتي (المتوفىٰ: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٦٢. «معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي»، للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (المتوفىٰ: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٦٣. «المعجم الأوسط»، لسليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٦٤. «معجم مقاييس اللغة»، لأحمد بن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٥. «المغرب»، لناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (المتوفى: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي.

٦٦. «مناقب الشافعي»، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ). المحقق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٦٧. «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ»، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام الحرم المكي وخطيبه، دار الوسيلة، جدة، الطبعة: الرابعة.

٦٨. «الوابل الصيب من الكلم الطيب»، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

٦٩. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لمبارك بن محمد بن محمد، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي.

الروابط:

١ - https://www.alukah.net/sharia/0/9665/#ixzz6F3NDAjSP

مقال: محمد عبدالرحيم الغزالي.

٢ - 'https://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81vhf

مقال: محمد مروان.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٢٥

المقدمة ٢٢٩

تمهيد: مفهوم النعمة والنقمة ٢٣٤

أولًا: تعريف النعمة ٢٣٤

ثانيًا: تعريف النقمة ٢٣٤

ثالثًا: الفَرق بين البلَاءِ والنقمةِ ٢٣٥

القسم الأول

أسبـــابٌ قوليـــةٌ

المبحث الأول الدعـــــاء ٢٣٧

المطلب الأول: الدعاء؛ معناه، وأنواعه، وفضله ٢٣٧

المسألة الأولىٰ: معنىٰ الدعاء ٢٣٧

المسألة الثانية: أنواعه ٢٣٨

المسألة الثالثة: فضل الدعاء ٢٣٩

المطلب الثاني: أثر الدعاء في حفظ النعم ودفع النقم ٢٤٠

المبحث الثاني الاستغفـــار ٢٤٥

المطلب الأول: الاستغفار؛ معناه، والفرق بينه وبين التوبة، وأفضل أوقاته ٢٤٥

المسألة الأولىٰ: معنىٰ الاستغفار ٢٤٥

المسألة الثانية: الفرق بين الاستغفار والتوبة ٢٤٥
المسألة الثالثة: أفضل الاستغفار ٢٤٧
المسألة الرابعة: أفضل أوقاته ٢٤٨
المطلب الثاني: أثر الاستغفار في حفظ النعم ودفع النقم ٢٤٩
المبحث الثالث: الحوقلة ٢٥٢
المطلب الأول: الحوقلة؛ معناها، وفضلها ٢٥٢
المسألة الأولى: معنى الحوقلة ٢٥٢
المسألة الثانية: فضلها ٢٥٣
المطلب الثاني: أثر الحوقلة في حفظ النعم ودفع النقم ٢٥٦

القسم الثاني
أسباب عملية

المبحث الأول: الإيمان والتقوى ٢٥٨
المطلب الأول: معنى الإيمان والتقوى والعلاقة بينهما ٢٥٨
المسألة الأولى: معنى الإيمان ٢٥٨
المسألة الثانية: معنى التقوى ٢٥٩
المسألة الثالثة :العلاقة بين الإيمان والتقوى ٢٥٩
المسألة الرابعة: فضل الإيمان والتقوى ٢٦١
المطلب الثاني: أثرهما في حفظ النعم ودفع النقم ٢٦٢
المبحث الثاني الصدقة ٢٦٩
المطلب الأول: الصدقة؛ معناها، وفضلها، وما يدخل فيها ٢٦٩

المسألة الأولىٰ: معنىٰ الصدقة ٢٦٩

المسألة الثانية: فضل الصدقة ٢٦٩

المطلب الثاني: أثر الصدقة في حفظ النعم ودفع النقم ٢٧١

الخاتمـــة.....٢٧٨

فهرس المصادر والمراجع.....٢٧٩

فهرس الموضوعات.....٢٨٧

مجلة تدبر

دَلَالَاتُ صِيَغِ وُجُوبِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

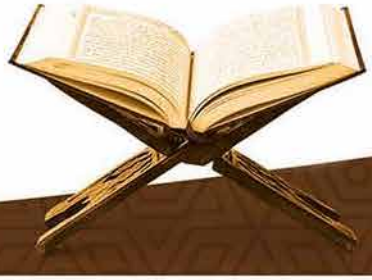

د. بَسَّام مِصْبَاح الأَغْبَر

الأستاذ بوزارة التربية والتعليم الفلسطينية

- حاصل علىٰ درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة النجاح الوطنية- فلسطين، بأطروحته: (الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، سورة البقرة نموذجًا).
- حاصل علىٰ درجة الدكتوراه: اللغة العربية- العلوم اللغوية. بكلية اللغات الرئيسة- بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية - ماليزيا. بأطروحته: (الشواهد الصرفية في معجمي «ديوان الأدب» و«مقاييس اللغة» تحليل صوتي صرفي إحصائي، في ضوء علم اللغة الحديث).

مِن النتاج العلمي:

١. ظاهرة القلقلة في الدرس التراثي في ضوء الدرس الصوتي الحديث دراسة تطبيقية علىٰ سورة البقرة. مجلة الجامعة الإسلامية - غزة.
٢. التعلم مدىٰ الحياة وتطبيقه في مجالات التربية الإسلامية. جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.
٣. جهود علماء فلسطين في تحقيق المخطوطات، المحقق العامودي نموذجًا. المؤتمر الدولي للمخطوطات والوثائق التاريخية. جامعة العلوم الإسلامية الماليزية- ماليزيا.
٤. علم الصوت الصرفي في المعاجم العربية، جهود مبذولة وآمال مرجوة. المجلة العلمية العلامة. مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب. جامعة قاصدي مرباح ورقلة. الجزائر. عدد٧.
٥. أسس التنغيم ومبادئه في القرآن الكريم، نماذج مختارة. المحفل العلمي الدولي- ماليزيا.

البريد الإلكتروني: BASSAMAGHBAR@GMAIL.COM

مستخلص البحث

أمر الله ﷻ المسلمين بضرورة الالتزام بما يقوله رسول الله ﷺ لهم، في أكثر من موضع من القرآن الكريم، وتعددت صيغ تلك الأوامر القرآنية المقالية، التي بلغت عشر صيغ قرآنية، واختلفت فيما بينها حسب وضعها المقامي، ويهدف هذا البحث إلىٰ حصر تلك الصيغ القرآنية، وتجلية معانيها، وبيان أوجه الاختلاف فيما بينها، ومعرفة الحقول الدلالية التي تنبثق منها، ولتحقيق أهداف هذا البحث، سوف يعتمد الباحث المنهجين الوصفي التحليلي، والإحصائي. فقد يظنُّ المتلقي للنص القرآني، أنَّ هذه الصيغ تؤدي نتيجة واحدة، وهي ضرورة اتِّباع السُّنَّة النبوية، وهنا تكمن مشكلة هذا البحث، فهذه الصيغ تختلف بنيتها اللغوية المقالية أولًا، وتختلف، أيضًا، في سياقها النصي المقامي ثانيًا، وسوف يؤدي اجتماع هذين السببين إلىٰ الكشف عن أساليب التأييد القرآني للنبي محمد ﷺ فيما يصدر عنه، من أقوال وأفعال، في مجتمعه وبين اتباعه، كما سيؤدي إلىٰ بيان بعض معالم المنهج التربوي الرباني لتوظيفه في الحياة العملية، وسيكون ذلك من أبرز نتائج هذا البحث.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، السُّنَّة النبوية، الدلالة، اتِّباع، وجوب.

Abstract

Allah (Glory be to Him) ordered His worshipers to strictly follow His Messenger (peace be upon him) in different ayas in the Holy Quran. There are ten commands in the Quran, which are different from each other according to the occasions of their revelation. This research aims to identify these commands, clarify their meanings, show their aspects of variation, and identify the semantic aspects extracted from them.

To achieve the objectives of this research, the researcher will apply the descriptive, analytical and statistical approaches. The reciter of the Holy Quran may believe that these commands lead to one result, which is the obligation to follow the Sunnah of the Prophet, and here lies the problem of this research. As these commands differ in their linguistic structures, and in their textual contexts. Thus, these two reasons will reveal the styles of the Quranic support to the statements and deeds of Prophet Mohammad (peace be upon him) whether in his community or among his followers. In addition, they will lead to identifying some features of the heavenly educational approach to apply it in real-life situations. This will be one of the main findings of this research.

Key words: The Holy Quran, the Sunnah, indication, following, obligation

Indications of the Quranic Commands to follow the Sunnah of Prophet Mohammed: An Analytical Study

Dr. Bassam Mosbah Aghbar
Professor at Palestine's Ministry of Education:
Email: (bassamaghbar@gmail.com)

The research is consistent with the general vision of the magazine. It handles subjects achieving the objectives of the magazine. The research employs the theoretical and applied approaches. In addition, it sheds light on a specific scientific area through which the researchers can discuss the research and the scientific views therein. The research also incorporates the different sciences of the Holy Quran and opens new prospects in the subject under study.

المقدمة

الحمدُ لله الرحمنِ، خالقِ الإنسان، مُعَلِّمِه البيانِ، مُرْسِلِ المصطفىٰ العدنانِ، بكتابٍ يفيض بالحجة والبرهان، والصلاة والسلام، علىٰ الـمُؤَيَّدِ من ربه، بلَّغَ فأحسنَ البلاغ، وبعد؛

فقد تعهد الله سبحانه، بِحفْظِ كِتَابِه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فهو الكتابُ، الذي شَهِدَ لِفصَاحَتِه أَرْبَابُها، وعَلِمَ بِصدْقِهِ أَعداؤه قَبْلَ اتباعِهِ، هو كتاب هدىٰ ونور، يُستضاءُ به في ظُلماتِ الحياة الموحشة، ففي كلِّ موضع منه آيات معجزة، وطولُ تدبره يُعطي فِراسةً باهرة، ويزيدُ النفس يقينًا وثقة، وإذا ما أراد مُتفيقِهٌ أن يطعن فيه، وظنَّ أنَّه علىٰ ذلك قادرٌ، فإنَّه سرعان ما ينكص علىٰ عقبيه، خاسرًا داريه.

يظهر، في كلِّ عصر من العصور، مُدَّعُو علم، لا همَّ لهم، سوىٰ الطَّعن في الدين، وإقامة الشُّبهات التَّافهة حوله، ومِنْ هؤلاء مَنْ يُريد، بسبب جهلٍ فيه، أو تجاهل، نفي السُّنَّة النبوية من حياة الناس، ويقولون إنَّنا نَحْتكم بأوامر الله القرآنية، ولم يعلم هؤلاء الأفَّاقون، أنَّ الله يُكذِّبُهم، والقرآن يهدمُ بُرهانَهم، والعقل يرفضُ أفكارَهم؛ فكيف لنا أن نترك السُّنَّة النبوية، وفيها ما فيها من أحكامٍ وتفصيلات، وتشريعات، جاءت في كتاب الله بالعموم؟! ثُمَّ، كيف نرفضُ أحكامَ مَن اختاره اللهُ لِتبليغ دعوته، ونشر دينه؟! والرسولُ ﷺ قد أشارَ إلىٰ مثل فِعْلِ هؤلاء السفهاء، عندما قال: «أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ»(١).

بل، ماذا نقول - إن أخذنا برأيهم - في آيات كثيرة من القرآن الكريم، دعتنا إلىٰ الالتزام بما يصدرُ عنه ﷺ؟! فقد وردت صيغٌ قرآنية، توجب اتِّباع السُّنَّةِ النبوية، اختلفت اشتقاقاتُها الصَّرفية، وأساليبُ تعبيرها اللغوي، حسبَ وَضْعِها القرآني المقامي، بل، إنَّ الصيغةَ الواحدةَ اشتُقت من بعضها صيغٌ متعددة، أَضافتْ دلالاتٍ معنوية تختلف أيضًا فيما بينها، ومن ذلك، علىٰ سبيل المثال، المادة اللغوية، «ط و ع»، التي نَعُدُّها مادةً مركزيةً، وأساسيةً فيما نحن بصدده في هذا البحث. فقد جاء في بعض مواضع القرآن الكريم، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال:٤٦]، ووردَ في موضع آخر، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، فهل الدلالة هنا واحدة؟ وإذا كان هناك اختلاف، فما هو؟ إضافةً إلىٰ غيرها من الصِّيغ القرآنية الأُخرىٰ، التي سيقف البحثُ عليها شرحًا وتحليلًا، وقبل الدخول في هذا الشرح والتحليل، نعرض أهمية هذا البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأقسامه.

أولًا- أهمية البحث:

استنباط الصيغ القرآنية التي توجب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وتحديد مواضعها القرآنية، وبيان أوجه الاختلاف المقامي القرآني فيها.

١. تحليل الصيغة القرآنية، وتفسيرها من منظور علم اللسانيات الحديث، من جوانبه المتعددة؛ صوتًا، وصرفًا ونحوًا، ودلالةً.

(١) **سنن الترمذي**. الترمذي، محمد بن عيسىٰ. أبواب العلم: باب ما نهىٰ عنه أن يُقال عند حديث النبي. رقم الحديث: (٢٦٦٤). (٥/ ٣٨).

٢. توظيف علم الإحصاء اللغوي، في تفسير قضية قرآنية، دون المساس في قدسية النص القرآني.

٣. تفسير دلالات إحصائيات الصيغ القرآنية، وما يرشح عنها من ظلال لغوية، تتجلىٰ في تلك الفروق الإحصائية.

٤. الوصول إلىٰ أنَّ السنة النبوية واجبة الاتباع بدلالة النص القرآني الصريح.

ثانيًا- أسباب اختيار البحث:

١. السعي إلىٰ مرضاة الله تعالىٰ ﷻ، في تدبر كتابه العظيم، وتحليل قضية متصلة بنبيه الكريم ﷺ.

٢. يزعم كثير من مدعي العلم، في عصرنا الحالي، أنَّ السنة النبوية غير واجبة الاتباع، ولم يأمر الله تعالىٰ بذلك، ويكفينا ما جاء في القرآن الكريم من أحكام وأوامر وشرائع، وفي هذا البحث، ردٌ قرآني صريح علىٰ تلك المزاعم.

٣. يُعدُّ توظيف علم الإحصاء اللغوي، حسب اطلاع الباحث، قليل الاستعمال في القضايا القرآنية، وهو علم يُعطي نتائج واضحة، إذا كانت مدخلاته سليمة.

ثالثًا- أهداف البحث:

١. تحديد الصيغ القرآنية التي توجب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وتحديد مواضعها القرآنية.

٢. تفسير الفروق اللغوية والدلالية بين تلك الصيغ.

٣. تحليل النسب المئوية لتلك الصيغ، بشكل عام، وإظهار الفروق اللغوية فيما بينها بشكل خاص، اعتمادًا علىٰ علم اللسانيات الحديث.

رابعًا- الدراسات السابقة:

اعتمد البحث علىٰ ما أنتجه علماء تفسير القرآن الكريم بعامة، وعلماء اللغة بخاصة، ولم يجد الباحثُ، حسب اطلاعه، وما تمكن من الوصول إليه، علىٰ بحث خاص يعالج هذه الصيغ من منظور لغوي لساني حديث، وقد ذُكرت المصادر والمراجع في مواضعها، إضافة إلىٰ إلحاقها بقائمة في نهاية البحث.

خامسًا- منهج البحث:

لقد قام الباحثُ باتِّباع أُسس المنهجين الوصفي والإحصائي؛ فعمد إلىٰ عملية استقرائية للقرآن الكريم، للبحث عن الصيغ القرآنية، التي توجب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وبعد عملية إحصاء دقيق، وتدبر طويل، وجد الباحث تسعَ مواد لغوية قرآنية، اشتقت منها صيغٌ متعددة، بعضها ورد في أكثر من موضع مقامي قرآني، وبعضها الآخر، ورد مرةً واحدة، وقام الباحثُ بدراسةِ هذه الصيغ، وتحليلِها من الناحية اللغوية، وفسَّرَ دلالاتِ الأرقام الإحصائية، والنسب المئوية التي ظهرت، مُستعينًا بالرسوم البيانية التي توضح توزيعاتها المختلفة.

سادسًا- خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وستة مباحث، وخاتمة، موزعة علىٰ النحو الآتي:

المقدمة

وتشمل أهمية هذا البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات

السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: المادة اللغوية (ط و ع)، وصيغها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان، هما:

١ , ١ أسلوب الأمر.

١ , ٢ أسلوب الشرط .

المبحث الثاني: المادة اللغوية (ح ك م)، وصيغها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان، هما:

١ , ٢ الاسم: الحكمة

الفعل: يحكم

المبحث الثالث: المادة اللغوية (ش ق ق)، وصيغها في القرآن الكريم

المبحث الرابع: الصيغة اللغوية (حدد)، في القرآن الكريم.

المبحث الخامس

الصيغة اللغوية (آتاكم)، في القرآن الكريم.

المبحث السادس: الصيغة اللغوية (استجيبوا)، في القرآن الكريم.

الخاتمة والنتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

دلالات صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم

يُظهر الرَّسم البياني رقم (١) الصيغ القرآنية التي توجب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، ونسبها المئوية.

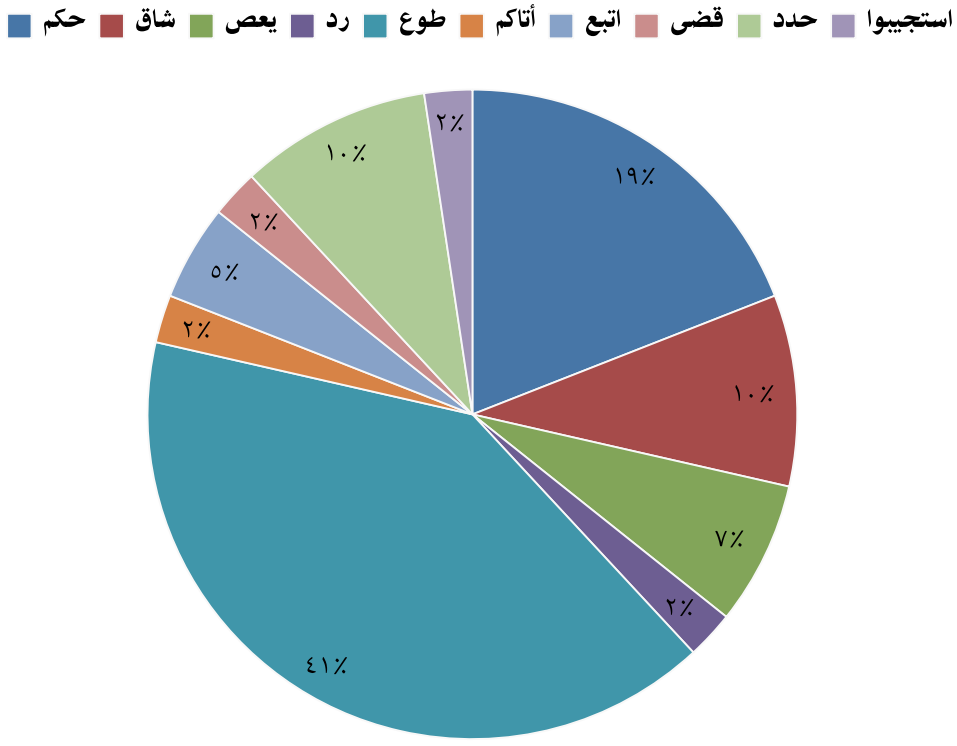

الرَّسم البياني رقم (١)

ونأتي الآن، لتحليل هذه الصيغ القرآنية، عبر توزيعها في المباحث الآتية:

المبحث الأول

المادة اللغوية (ط و ع)، وصيغها في القرآن الكريم

يدل الجذر اللغوي (ط و ع) على الانقياد[1]، وقد قالت العرب: «فلانٌ طَوْعُ يديك؛ أي منقادٌ لك. وفرسٌ طَوْعُ العنان، إذا كانَ سلسًا»[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فهذا الجذرُ اللغويُّ يدلُّ على الانقياد، وتنفيذ الأوامرِ دون تأخر أو مماطلة. وقد استعمل القرآن الكريم، هذا الجذر اللغوي، في تكوين صيغ اشتقاقية متعددة منه، مثل: أطيعوا، أطاع، يطع، تطيعوا، طاعة، وغيرها من الصيغ الاشتقاقية، التي وردت في كلام الله تعالى، وكانت لها وظيفةٌ دلالية تُفهم من خلال المقام المقالي القرآني.

وعند تتبع المادة اللغوية (طوع) في القرآن الكريم بعامة، وما يخصُّ وجوب اتِّباع السُّنَّة النبوية بخاصة، ظهر للباحث، بالإحصاء الدَّقيق، كما يُبين الرَّسم البياني رقم (١)، أنَّ هذه المادة اللغوية وردت سبع عشرة مرة؛ أي ما نسبته (٤١٪)، من الصيغ القرآنية التي تُلزم اتِّباع السُّنَّة النَّبوية، وقد توزعت هذه المادةُ اللغوية على الأسلوبين النَّحويين الآتيين:

(١) مقاييس اللغة لابن فارس. (٣/ ٤٣١).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لابن حماد. (٣/ ١٢٥٥).

أولًا– أسلوب الأمر «أطيعوا»، وقد ورد في أحد عشر موضعًا؛ ويُظهر لنا الرَّسم البياني رقم (٢) أنَّ هذا الأسلوب بلغت نسبتُه (٦٥٪)، من ورود المادة اللغوية (ط و ع)، في سياقات تركيبية قرآنية متعددة المواضع، ومختلفة التركيب اللغوي.

ثانيًا– أسلوب الشرط الجازم، «من يُطع» وقد جاء في ستة مواضع؛ أي ما نسبته (٣٥٪)، من ورود المادة اللغوية (ط و ع)، كما يُظهر في الرَّسم البياني رقم (٢)، ولم يَجرِ هذا الأُسلوب علىٰ نسق تركيبي واحد.

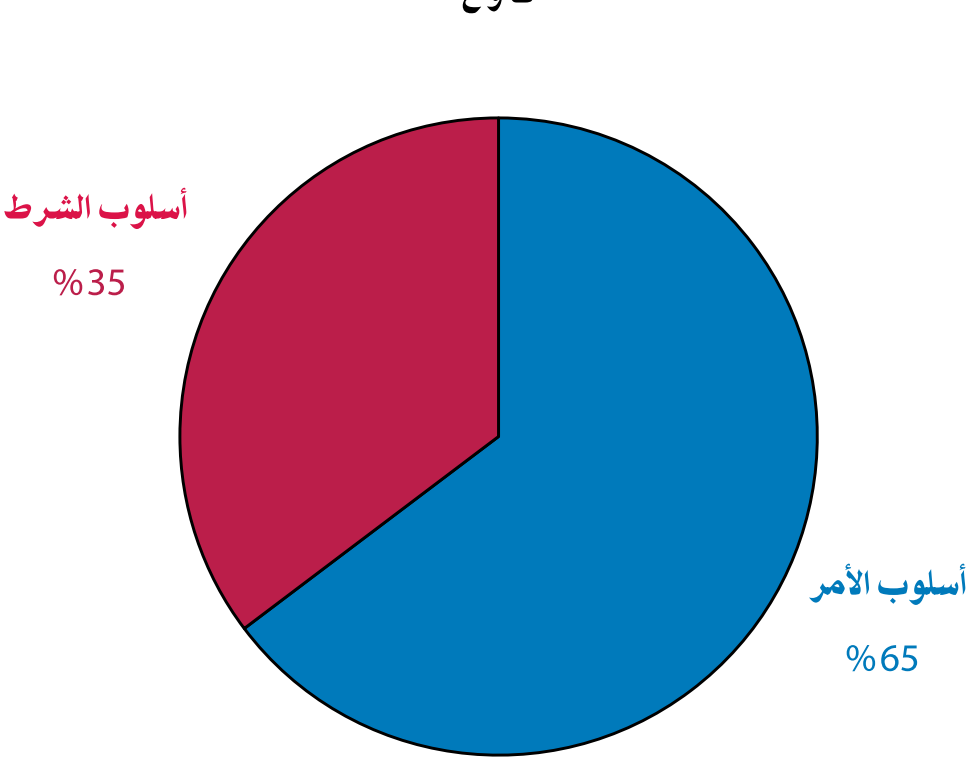

الرَّسم البياني رقم (٢)

وفيما يأتي تحليل لكل أسلوب منهما:

١,١ أسلوب الأمر

يمكن لنا تقسيم هذا الأسلوب، كما ورد تركيبه في القرآن الكريم، إلىٰ أربعة أقسام، هي:

١,١,١. الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقد ورد هذا الأسلوب في ثلاثة مواضع، هي: الأنفال:١، ٤٦، والمجادلة:١٣.

١,١,٢ الأمر بطاعة الله والرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وورد في موضع واحد في سورة آل عمران: ١٣٢.

١,١,٣ الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، وورد في خمسة مواضع، هي: النساء:٥٩، والمائدة: ٩٢، والنور: ٥٤، ومحمد:٣٣، و:التغابن: ١٢.

١,١,٤ الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، وورد في موضع واحد في سورة النور: ٥٦.

وفيما يأتي تحليل لتلك الأساليب اللغوية:

١,١,١ الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

يتكون هذا الأسلوب من فعل أمر موجه إلىٰ المؤمنين، بضرورة الالتزام بطاعة الله تعالىٰ ورسوله الكريم، ويُلاحظ فيه إضافة ضمير الهاء إلىٰ كلمة «رسول»، ويعود هذا الضمير إلىٰ لفظ الجلالة «الله»، فلماذا جاء هذا التركيبُ القرآني بهذه الصيغة اللغوية؟

إنَّ إجالة النَّظر في مواضع ورود هذا الأمر القرآني، يُعطينا أكثرَ من دلالةٍ تربوية سامية، تسعىٰ إلىٰ رُقي النفس المؤمنة، من أجل ذلك، جاء هذا الأسلوب ليعالجَ أمورًا مادية قد تزلُّ بها قدمُ النَّفس البشرية المؤمنة، إن لم يتم تربيتها وفق المنهج الإلهي الذي ارتضاه خالق هذه النفس.

لقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، كما ذكرنا سابقًا، في ثلاثة مواضع، أولها قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] والحديث في هذه الآية، يدور حول أمور مادية اختلف فيها المسلمون بعد تمكين الله لهم، وانتصارهم علىٰ عدوهم، وهذا الاختلاف كان حول تقسيم الغنائم، وتوزيعها عليهم، فقد سُئل عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ عَنِ أسباب نزول آيات الْأَنْفَالِ. فَقَالَ: «فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ»(١)، ولما كان سبب الخلاف ماديًا، فإنَّ شيئًا من السُّوء قد يتسربُ إلىٰ النَّفس البشرية، وتسودُ الشَّحناء بين الإخوة، وتتسربُ البغضاء إلىٰ نفوسهم، ولمنع ذلك كله، قسَّم الرسول الغنائم بين المقاتلين بِعَدْلِهِ الكبير، وتشريعه القويم، عندها، نزلَ أمرُ الله من السَّماء، مُؤَيِّدًا لتشريع الرسول ﷺ؛ فهذه الآية تدعو المؤمنين إلىٰ الامتثال لما يأمرهم به اللهُ ورسولُه، ولإظهار المبالغة فِي ضرورةِ تنفيذ الأوامر، استُخدِم أسلوب الشرط الجازم؛ لأن الإيمان الَّذِي دَعَا إليه الرَّسُولُ وَرَغِبَ المؤمنون فِيهِ «لَا يَتِمُّ حُصُولُهُ

(١) **المسند**، ابن حنبل، أحمد. تتمة مسند الأنصار: حديث عبادة بن الصامت. رقم الحديث: (٢٢٧٤٧). (٣٧/ ٤١١).

إِلَّا بِالْتِزَامِ هَذِهِ الطَّاعَةِ، فَاحْذَرُوا الْخُرُوجَ عَنْهَا»(١).

إنَّ التَّوجيه النَّبوي للمؤمنين، توجيه وقائي، يُرشد التابعين إلىٰ سبل السلامة، ويدعِّمُ روابطَ الأخوة بينهم، وهو يسعىٰ إلىٰ رصِّ الصفوف، وتمتين العلاقات الداخلية للمجتمع المسلم، وإذا ما وقع خلاف داخل المجتمع، يكون التدخل سريعًا، والعلاجُ جاهزًا، كما حدث في توزيع الغنائم.

ومن التوجيهات الوقائية التي خطَّها الرسول ﷺ، ضرورة الطاعة المطلقة أثناء المعركة، وبعدها، وعدم الالتفات إلىٰ الدُّنيا ومفاتنها، ومن ذلك، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وَيُقصدُ بالطَّاعَة في هذه الآية، طاعة «رَسُوله فِيمَا يُرْشِدُهُمْ إِلَيْهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّنَازُعِ، وَهُوَ الِاخْتِلَافُ فِي الرَّأْيِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَسَبَّبُ عَنْهُ الْفَشَلُ»(٢)، وذهاب الدولة التي يسعىٰ الإسلام إلىٰ إقامتها، وزيادة ديمومتها، ومثل ذلك، ما حدث مع الرماة في معركة أحد، عندما قال لهم ﷺ: «**لَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا، فَلَا تُعِينُونَا**»(٣)، فلم يستجب بعضهم لهذه الأوامر، فكانت النتيجة، دخول المشركين إلىٰ ساحة المعركة، من الثغرة التي يجب أن يُدافِعَ عنها المقاتلون المأمورون.

ومِنَ التَّوجيه الوقائي القرآني للمسلمين، الحثُّ علىٰ تزكية النَّفس المؤمنة

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (١٥/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٢) فتح القدير، للشوكاني(٢/ ٣٥٩).

(٣) **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ابن حبان، محمد. باب الخروج وكيفية الجهاد: ذكر ما يستحب للإمام أن يوصي بعض الجيش إذا سواهم للكمين. رقم الحديث: (٤٧٣٨). (١١/ ٤٠).

بتقديم الصدقات، والقربات إلىٰ الله ﷻ ، فإذا لم تجد هذه النَّفس ما تتصدق به، يكفيها القيام بالفرائض، والالتزام بطاعة الله ورسوله، التي تعادل الصدقة المادية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣]

إن تدبر المواضع القرآنية الثلاثة السابقة، يُظهر لنا، أن المواضع المقالية القرآنية، تتحدث عن أمور مادية، فإذا لم يتم وضع أسس سليمة للتعامل معها، فقد ينشأ خلافٌ بين أبناء الصف الواحد، فشرَّع الرسول ﷺ بتأييد من الله ﷻ، ما يمنع مثل ذلك التنازع، وحتىٰ يكون هذا التشريع النبوي مؤيَّدًا، فقد أُضيف ضمير الهاء إلىٰ كلمة «رسول»، الذي يعود إلىٰ لفظ الجلالة «الله» مما أكسبَ الرَّسولَ ﷺ أمور، أهمها:

أ. التَّعظيم؛ وقد ظهر ذلك جليًا عندما نسب الله، جلَّ في علاه، الرَّسول إلىٰ ذاته العلية.

ب. صلاحية تشريعات الرَّسول، أي؛ إنَّ ما يأمركم به الرسول، أيها المسلمون، الله راض عنه، ويجب عليكم تطبيق سنته وتنفيذها، ومن يخرج عمَّا يُشرِّعه الرسول، فقد خرج عن طاعة الله.

ج. إشعار الرَّسول بدفء الود والأُلفة مع الله، عندما أضاف طاعة الرَّسول إلىٰ طاعته، ﷻ.

٢,١,١ الأمر بطاعة الله والرَّسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾

يتفق هذا الأسلوب مع ما سبق في تعريف كلمة «رسول»، ولكن هذا الأسلوب

جاء معرفًا بـ «ال» التعريف، وحتىٰ ينجلي لنا هذا التغاير، نعود إلىٰ السياق القرآني الذي ورد فيه أمر طاعة الرسول، ففي الموضع الأول يقول العزيز الحكيم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١- ٣٢]

في الخطاب القرآني السابق دعوة لاقتران القول بالفعل، فقد زعم قومٌ في عهد النبي ﷺ «أنهم يحبون الله فأراد أن يجعلَ لقولهم تصديقًا من عمل، فمن ادَّعىٰ محبته وخالفَ سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه»(١). وتصديق محبة الرَّسول ﷺ تكون بطاعته المطلقة، تلك المحبة التي «مِنْ آثَارِهَا مَحَبَّةُ مَا يَسُرُّهُ وَيُرْضِيهِ، وَاجْتِنَابُ مَا يُغْضِبُهُ، فَتَعْلِيقُ لُزُومِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ دَعَا إِلَىٰ مَا يَأْمُرُ اللهُ بِهِ وَإِلَىٰ إِفْرَادِ الْوِجْهَةِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ كَمَالُ الْمَحَبَّةِ»(٢). فجاء الأمر الإلهي، أن أطيعوا الله، والرَّسول الذي تعرفونه، وتزعمون محبته، فإن توليتم عن سنته، واتِّباع ما يأمركم به، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وهنا نلاحظ أنَّ الله تعالىٰ، جعل من يُنكر سنة رسوله، وعدم الالتزام بأوامره، من الكافرين.

وتُعدُّ صيغة فعل الأمر «اتبعوني» من صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، حيثُ بلغت نسبتها (٢٪)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

وفي الموضع الثاني، من هذا الأسلوب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وهنا أيضًا دعوة إلىٰ تصديق القول بالعمل، وقد ذهب

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمر (١/ ٣٥٣).

(٢) التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر. (٣/ ٢٢٨).

بعض المفسرين إلىٰ أن في هَذِهِ الْآيَة مُعَاتَبَة «لِلَّذِينِ عَصَوُا الرَّسُولَ ﷺ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ»(١) فالله تعالىٰ يأمرُ المؤمنين بطاعة الرَّسول، «الذي شرع لكم الدِّين، وبلَّغكم الرسالة»(٢)، وهو أعلم بأموركم، وما فيه مصلحتكم، وعند طاعته تنالون رحمة الله تعالىٰ.

إنَّ الخطابَ، في الموضعين السابقين، موجهٌ إلىٰ المؤمنين، وفيه طلب تصديق القول بالعمل، وقد جاءت كلمة «رسول» مُعرَّفة بـ «ال التعريف»؛ لأنَّ الرسولَ هنا معروفٌ للمُخاطَبين، وأسلوب التعريف هذا، معروف في العربية، والاسم يُصبح معرفةً، إذا أردنا «بالألف واللام الشيءَ بعينه دون سائر أُمَّته»(٣). والرَّسول قد أمرهم بأمورٍ يجب تنفيذها، وعصيانها، فيه معصية لله تعالىٰ، مما جعل الخطاب القرآني يُحذِّر من مآل معصية الله والرسول؛ فمن تولىٰ وعصىٰ، كان مصيره الكفر والعذاب، ومن أقبل وأطاع، كان مصيره القبول والنعيم.

١,١,٣ الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾

يختلف المقام المقالي للخطاب القرآني في أمر طاعة الرَّسول ﷺ عمَّا سبقه من الأساليب التي سبق لنا تدبرها؛ ففي هذا الأسلوب إعادة لفعل الأمر «أطيعوا» مع الرسول، وقد ورد هذا الخطاب، في خمسة مواضع متفرقة في القرآن الكريم، أولها، قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٩/ ٣٦٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي. (٢/ ٢٧٠).

(٣) الكتاب. سيبويه، عمرو بن عثمان. (٢/ ٥).

﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، تُظهرُ في هذه الآيةُ إلزامية إطاعة الرَّسول، واتِّباع سنته، وهذه الطَّاعة مطابقة لطاعة الله؛ فالرَّسولُ ﷺ يشرحُ أوامرَ الله للناس، ويُبيِّن لهم أيَّ اختلاف قد لا يعرفون خباياه، والله تعالىٰ قد أمر المؤمنين بطاعته، وطاعة رسوله، ثم طاعة أولي الأمر؛ ويظهر الاختلاف بين طلب طاعة الله وطاعة الرَّسول، من جهة، وطلب طاعة أولي الأمر من جهة أخرىٰ؛ فطاعة أولي الأمر لم تُسبق بفعل الأمر «أطيعوا»؛ حتىٰ تكونَ طاعةُ الرَّسولِ أعلىٰ «مَرْتَبَةً مِنْ طَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ»(١)، وكأنَّ طاعةَ أولي الأمر واجبةٌ، إذا كانت امتدادًا لطاعة الرَّسول، وسنته ﷺ وهؤلاء قد يجتهدون، ويُشرِّعون فيلزمهم الصواب تارة، أو الخطأ تارة أخرىٰ، في حين، لا يكونُ تشريعُ الرَّسول ﷺ وأحكامُه، وتعليماتُه، إلا مؤيدةً من الله تعالىٰ، ولا يُمكن أن يعتريها ريب، أو أن يعلوها خطأ، ويظهر ذلك في قوله تعالىٰ، في الآية نفسها ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ومعنىٰ رَدَّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ «بأن تردوه إلىٰ سنته»(٢) فإذا كان الله تعالىٰ، يأمر الناس عند النزاع، العودة إلىٰ قوله، جل في علاه، وإلىٰ أحكام رسوله، فإنَّ ذلك يجعل السُّنَّة النَّبوية وأقوال نبيه في مرتبة عُليا، تُلاصق، أو تقترب من أوامر الله تعالىٰ، وفي هذا تشريفٌ عظيم، من الله إلىٰ السُّنَّة النبوية، وتُعدُّ صيغة فعل الأمر «ردوه» من صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، حيثُ بلغت نسبتها (٣٪)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

والموضع القرآني الثاني، من هذا الأسلوب الخطابي، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ٩٧).

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله. (ص: ١٣٠).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩١-٩٢]، وهذه الأوامر القرآنية، تأتي في سياق تهذيب النفس البشرية، وإعلاء شأنها، ويجب علىٰ المؤمنين الامتثال إلىٰ أوامر الله العليا، وطاعته، وطاعة الرسول في شرحه لتلك الأوامر، وطرق تنفيذها، فالله تعالىٰ يأمر، والرسول يُنفذ ويشرح ويفسر. وقد شرَّف الله تعالىٰ نبيه الكريم، عندما نَسَبَهُ إلىٰ ذاته العَلِيَّة، وذلك عندما أضاف ضمير «نا» في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وإضافة إلىٰ التشريف، تظهر الوظيفة التي حملها الرسول الكريم، وهي وظيفة تبليغ الأوامر الإلهية، وتعليم الناس أمور دينهم؛ فمن أطاع الرسول، فقد أطاع الله. ويؤكد الله تعالىٰ هذا المعنىٰ في موضع مشابه لما سبق، وهو الموضع الثالث، عندما قال في سورة التغابن: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢]

وينساق الموضع القرآني الرابع، مع ما سبقه، عندما ربط الله علىٰ قلب نبيه، في قوله: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، إنَّ هذا الربط جاء بعد الأمر بطاعته، فَإِنْ تَوَلَّوْا «عَنْ طَاعَةِ الله وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فَإِنَّمَا عَلَىٰ الرَّسُولِ مَا حُمِّلَ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ مِنَ الطَّاعَةِ»(١)، ونتيجة هذه الطاعة، الفوز في الدارين، وحصول الهداية، وقد قرر الله تعالىٰ ذلك بأسلوب نَحْوي قاطع، وهو أسلوب الشرط الجازم، الذي يقوم علىٰ فعل وجواب، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ ففعلكم الطاعة،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٩/ ٣٦٤)

نتيجته الهداية، وهذه الهداية لا تشمل الحياة الدنيا فقط، بل يمتد أثرها إلىٰ الآخرة، كما قررت الآية التالية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٠]، لقد جاء الموضع الأخير من هذا الأسلوب، وهو الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، في سياق تحذير المؤمنين من ذهاب حسناتهم، وأعمالهم الصالحة لتصبح سرابًا لا فائدة منه، بسبب بعض الأعمال السيئة، مثل الرياء والسمعة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، وإضافة إلىٰ ذلك، فإنَّ الأمر بطاعة الرسول هنا، جاء لتحذير المؤمنين من أن يسلكوا سبيل أهل الكتاب الذين أبطلوا أعمالهم «بِتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَعِصْيَانِهِ»(١)، حيث علم أهلُ الكتاب، بصدق الرسول، ومطابقة مواصفاته وتَبَيُّن لهم الْهُدَىٰ بأَن «مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ»(٢). ويمكن القول، إنَّ إعادة الفعل «أطيعوا» في هذه الآية، جاء للتحذير من معاملة المؤمنين للرسول ﷺ، كما عامل اليهودُ أنبياءَ الله ورسله، حيث كذبوهم، ولم يطيعوا أوامرهم، وخالفوا سننهم، فأعاد الفعل هنا للتأكيد علىٰ أهمية اتِّباع الرسول وتشريعاته، وسنته، والعمل بما يَطْلُبُ منهم.

٤, ١, ١ الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

ينفرد هذا الأسلوب بطريقة خطابه القرآني، حيث جاء الأمر فيه بطاعة الرسول، دون ذكر لطاعة الله تعالىٰ، وقد ورد ذلك في آية واحدة من القرآن الكريم،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٢٨/ ٦١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٢٦/ ١٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] إن السياق القرآني في هذا الخطاب، يُعطي رسول الله، حقَّ التشريع، وإلزام المؤمنين بتنفيذ ما يُطلب منهم، فسياق الآية، يتحدث عن عبادات شرعها الله تعالىٰ لعباده، وفصَّل طريقة أدائها، وأحكامها، النبيُّ الكريم، فلا مجال فيها للمخالفة، فجاءت الطاعة للرسول فقط، وكأنها طاعة مطلقة لله تعالىٰ، وقد ذهب الزمخشري إلىٰ أن في ذلك «تأكيدًا لوجوبها»(١)؛ أي السُّنَّة، وقيل: «وأطيعوا الرسول في سائر ما يأمركم به.»(٢) لعل الله تعالىٰ يرحمكم، ويتكفل بحفظكم في حياتكم كلها، وعند قيام الأشهاد.

١,٢ أسلوب الشرط الجازم

لم يجرِ هذا الأسلوب علىٰ نسق تركيبي واحد، وقد توزعت المواضع الستة في ثلاثة أساليب لغوية، هي:

١,٢,١ الأسلوب الأول، الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وقد جاء ذلك، في ثلاثة مواضع، هي: النساء: ١٣، والنور: ٥٢، الفتح: ١٧. ويُضاف إليه، موضع واحد، في سورة الحجرات: ١٤، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

١,٢,٢ الأسلوب الثاني، الأمر بطاعة الله والرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، وقد جاء ذلك، في موضع واحد في سورة النساء: ٦٩.

(١) الكشاف، للزمخشري. (٣/ ٢٥٢).

(٢) روح المعاني، للألوسي. (٩/ ٣٩٨).

١,٢,٣ الأسلوب الأخير، الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾، وقد جاء ذلك، في موضع واحد في سورة النساء: ٨٠.

يُعدُّ أسلوب الشرط، واحدًا من الأساليب النحوية التي تُوظَّفُ في النص لإعطاءِ دلالاتٍ متعددة، من أبرزها الإيجاز والتركيز، وقد اعتنىٰ العرب «بهذا الضرب من الكلام اعتناءً زائدًا، ومما يدلنا علىٰ إيثار القوم، قوة إيجازهم وحذف فواصل كلامهم ما جاءوا به من الأسماء المستفهم بها والأسماء المشروط بها، فإنهم استغنوا بالحرف الواحد عن الكلام الكثير، المتناهي في الطول»(١)، ويتألف هذا الأسلوب، من أداة شرط، وفعل الشرط وجوابه، وتُعدُّ هذه المكونات النحوية، في منزلة الجملة الواحدة؛ فالشرط يكون «في مجموعِ الجملتين لا في كلِّ واحدةٍ منهما علىٰ الانفراد، ولا في واحدةٍ دونَ الأخرىٰ، لأنَّا إنْ قلنا إنه في كل واحدة منهما علىٰ الانفرادِ، جعلناهُما شَرْطين، وإذا جعلناهُما شرطينِ اقتضَتا جَزَاءَيْن، وليس منه إشراكُ ما ليس بشرطٍ في الجزم بالشرط»(٢). ولهذا الأسلوب أحكام وتفصيلات مذكورة في كتب النحو والبلاغة(٣)، ولكنَّا فضلنا التركيز علىٰ غرضه، ومكوناته، لأنَّنا سنستخدمها في تحليلنا لهذا الأسلوب فيما يأتي:

١,١,١ الأسلوب الأول، الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في مثل قوله تعالىٰ:

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. ابن الأثير، نصر الله بن محمد. (ص:١٢٢).

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني، عبد القاهر. (ص:٢٤٦).

(٣) يُنظر، علىٰ سبيل المثال:

- شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك. لابن عقيل عبد الله. (٤/ ٤١، وما بعدها).
- شرح المفصل للزمخشري. لابن يعيش، علي. (١/ ٤١٥، وما بعدها).
- معاني النحو، السامرائي، فاضل صالح. (٤/ ٥٣، وما بعدها).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

يتمثل هذا الأسلوب القرآني بأسلوب الشرط الذي يُحدد الجزاء والنتيجة، إذا قام الشخصُ بما يترتب عليه من أفعال موكلة، فدخول الجنة، علىٰ سبيل المثال، يحتاج إلىٰ إقامة حدود الله، حسبما أمر الله تعالىٰ، وشرَّع لعباده، وبيَّن ذلك رسولُه الكريم في سنته، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣]، هذا الجنة، التي يسعىٰ للفوز بها كلُّ إنسان مؤمن، دائم الطاعة لله ولرسوله، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٧]، وهل هناك فوز بعد الفوز الكبير بالجنة؟! **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

ولنا وقفات سريعة مع هذا الأسلوب القرآني، هي:

أ) استخدم في المواضع السابقة الفعل المضارع، الذي يدلُّ علىٰ آنية الفعل واستمراريته [(١)]، فطاعة المؤمن لله ولرسوله دائمة مستمرة، في الأحوال كلها، عند إقامة حدود الله، والخروج إلىٰ المعركة، ومن معانيه المقصودة لـمَنْ يُطِع، أن يَتَّصِفَ «بِتَمَامِ مَعْنَىٰ الطَّاعَةِ؛ أَيْ أَنْ لَا يَعْصِيَ اللهَ وَرَسُولَهُ»[(٢)].

(١) معاني النحو، للسامرائي. (٣/ ٣٣٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ١١٦).

ب) سبق أن فصَّلنا الحديث حول إضافة الهاء العائدة إلىٰ لفظ الجلالة، في كلمة «رسول»، في النقطة (١, ١)، وما حققته هذه الإضافة من تشريف للنبي أولًا، ولبيان صحة السُّنَّة والتشريعات التي يضعها الرسول، ويحق له «أن يضع حدودًا من عنده لما حلل، وأن يضع حدودًا لما حرم. وهذا تفويض من الله لرسوله في أنه يُشرّع»(١) وفي ذلك حجةٌ واضحة علىٰ من يُنكر السُّنَّة النبوية، ويتعب نفسه ليجد دليلًا علىٰ صحة رأيه، دون فائدة.

ت) يُركز هذا الأسلوب علىٰ النتيجة، بإيجاز قوي، فنتيجة الالتزام بطاعة الله ورسوله، الجنة وما فيها من نعيم، في حين تكون نتيجة العاصي، ومَنْ يتولَّ عن الطاعة، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله، العذاب الأليم في «جهنم يوم القيامة»(٢).

ث) ورد أسلوب الشرط الجازم ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في إطار وضع حدود لظاهرة النفاق، والقضاء عليها من المجتمع المسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]، فإن أخلصتم النية لله تعالىٰ، وأطعتم رسوله، وتركتم النفاق لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ؛ أي «لا ينقصكم شَيْئًا من

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر. الشعراوي، محمد متولي. (٤/ ٢٠٣٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري، ابن جرير، محمد. (٢٢/ ٢٢٣).

أجورها أو شيئًا من النقص»[(١)]، وبذلك، يرتبط جزاء التخلص من النفاق، قبول الله لتوبتهم، وأن يهب لهم مغفرته، وينعم «عليهم بجزيل ثوابه»[(٢)]

١,١,٢ الأسلوب الثاني، الأمر بطاعة الله والرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

جاء أسلوب الشرط الجازم هنا، بتعريف كلمة «رسول» بأل التعريف، كما سبق الحديث في النقطة (١,١,٢)، الذي أظهر أن من يُحب الرسول، يجب أن يُطيعه، وأسلوب الشرط الجازم، يُكمل نتيجة طاعة الله والرسول، وهي صحبته ﷺ في الجنة، وقد ذكرت لنا كُتب الحديث النبوي، أن بعض أَصْحَاب رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَكَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ رُفِعْتُ فَوْقَنَا، فَلَمْ نَرَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩]، وفي إضافة «ال» التعريف تأكيد من الله تعالىٰ لصحة تشريع الرسول ﷺ، «وساعة تجد الرسول معطوفًا علىٰ الحق بدون تكرير الفعل فاعلم أن المسألة واحدة؛ أي ليس لكل واحد منهما أمر، بل هو أمر واحد، قول من الله وتطبيق من الرسول؛ لأنه القدوة والأسوة»[(٣)].

(١) روح المعاني، للألوسي. (١٣/ ٣١٨).

(٢) الكشاف، للزمخشري .(٣/ ٢٥٢).

(٣) تفسير الشعراوي – الخواطر، للشعراوي. (٤/ ٢٣٨٦).

١,١,٣ الأسلوب الأخير، الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾.

يتطابق هذا الأسلوب، مع أسلوب الأمر السابق في (٤,١,١)، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء:٨٠]، ذكرنا أن من أسس أسلوب الشرط، التركيز علىٰ المآل، أو النتيجة التي يقوم عليها فعل الشرط، وفي الآية السابقة، ربط الله تعالىٰ طاعته، بطاعة الرسول ﷺ؛ لأنه «لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهىٰ إلا عما نهىٰ الله عنه، فكانت طاعته في امتثال ما أمر به، والانتهاء عما نهىٰ عنه طاعة لله»(١)، وهذا أكبر دليل علىٰ أنه ﷺ، «مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي»(٢)، ولو لم يكن معصومًا، لما جعل الله تعالىٰ، طاعةَ الرسول فيما يأمر، ويقضي، ويشرِّعُ للناس، من طاعته. ولقد قال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ**»(٣).

وفي ختام تحليلنا للجذر اللغوي «طوع»، وما اشتق منه، من صيغة تعددت أساليبها اللغوية في القرآن الكريم، **نخلص إلىٰ أبرز النتائج الآتية:**

١. يُظهر لنا الرَّسم البياني السابق، رقم (٢)، أنَّ نسبة أسلوب الأمر في هذه الصيغة، بلغت (٦٥٪)، وهي الأعلىٰ، ومردُّ ذلك، أنَّ القرآن

(١) الكشاف، للزمخشري. (١/ ٥٣٩).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي. (١٠/ ١٤٩).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، محمد بن اسماعيل. كتاب الأحكام. باب قول الله تعالىٰ: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول» رقم الحديث: (٧١٣٧). (٩/ ٦١).

الكريم، دعانا، صراحةً، إلىٰ الالتزام بطاعة الرسول ﷺ وما شرَّعه لنا من أحكام، ومن معاني أسلوب الأمر، أنه يأتي من صاحب المرتبة العُليا لمن هو أدنىٰ منه(١).

٢. كان الخطاب في أسلوب الأمر، بصيغة «أطيعوا»، موجهًا إلىٰ المؤمنين؛ وذلك طبيعي؛ فهم قد آمنوا بالله ورسوله، فالله تعالىٰ، يُريد منهم إكمال إيمانهم، باتِّباع ما يأمرهم به نبيه، من أجل ذلك كانت نسبة هذه الصيغة، بأسلوب الأمر أعلىٰ.

٣. سلَّط أسلوب الشرط المستخدم في صيغة «يطع» الضوء علىٰ نتيجة الطاعة، وهي الفوز بمرضاة الله وجنته، فكان أغلب الخطاب في هذا الأسلوب، موجهًا إلىٰ المؤمنين، إضافة إلىٰ توضيح حقيقة الإيمان لمن أراد أن يَدخل في الإسلام، وهو توضيح موجه إلىٰ المنافقين، فلا إيمان لديهم يكتمل، إلا بطاعة رسول الله.

٤. تساوىٰ أسلوب إضافة الهاء، إلىٰ كلمة «رسول» في صيغة «ط و ع»، بشقيه؛ الأمر والشرط، حيث بلغت النسبة (٥٠٪)، كما يُظهر الرَّسم البياني (٣)، وذلك لزيادة تشريف النبي ﷺ وقبول الله تعالىٰ لأحكامه، وتشريعاته. كذلك تساوىٰ أسلوب ورود كلمة «الرسول» مفردًا، في الأسلوبين كليهما؛ لإعطاء الرسول حقَّ التشريع وتوضيح الأحكام إلىٰ الناس.

(١) أمالي ابن الشجري، ابن الشجري هبة الله بن علي. (١/ ٤١٠. بتصرف).

٥. بلغت نسبة إضافة «ال» إلىٰ كلمة «رسول»، في أسلوب الأمر (٦٨٪)، في حين بلغت في أسلوب الشرط (٣٢٪)، كما يُظهر الرَّسم البياني (٣)، وذلك عائدٌ إلىٰ وضع أحكام الرسول في مرتبة عُليا، ويجب تنفيذها، فكانت نسبة أسلوب الأمر أعلىٰ، وأن هذا الرسول معروف لديكم، فمن أراد مرافقته في الجنة، فليتبع أوامره، ونواهيه، في الدنيا.

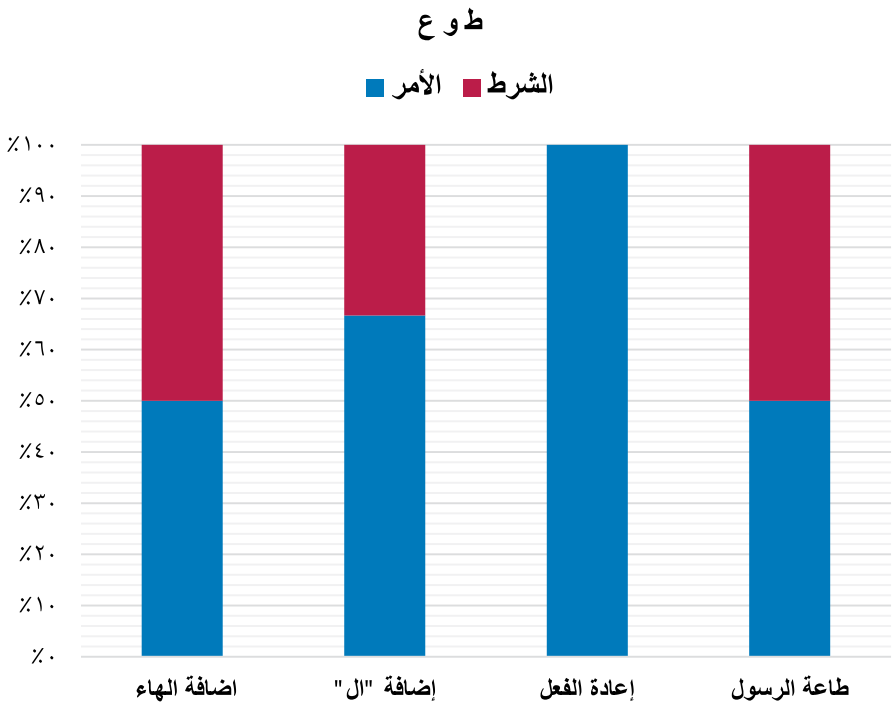

الرَّسم البياني رقم (٣)

المبحث الثاني

المادة اللغوية (ح ك م)، وصيغها في القرآن الكريم

يُعطي الجذر اللغوي (ح ك م)، معانيَ متعددة، يرجع أصلها، إلىٰ معنىٰ المنع، ومنه «منع الظلم»(١)، وتُشتق من هذا الجذر اللغوي، صيغ لغوية كثيرة، تُستخدم حسب الموقع المقالي لها، ومن ذلك الحِكمةُ، وقد سُميت بذلك لأن «مَرْجِعُها إلىٰ العَدْل والعِلْم والحِلْم»(٢)، وقال ابنُ دُريد: «كل كلمة وعظتك وزجرتك ودعتك إِلَىٰ مكرمَة أَو نهتك عَن قَبِيح فَهِيَ حِكْمَة وَحكم»(٣). ومنه «حَكَّمَهُ فِي الأَمْرِ تَحْكِيمًا: أَمَرَهُ أَنْ يَحْكُمَ فاحْتَكَمَ»(٤).

لقد استعمل القرآن الكريم المادة اللغوية (ح ك م)، في صيغ متعددة، وسنركز الضوء علىٰ تلك الصيغ، التي تدل علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة، وهي: الحكمة، يحكِّموك، يحكم، وبلغت نسبتها (١٩٪)، من مجموع صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم. وسنحلل هذه الصيغ، حسب نوعيها: الاسم، والفعل.

١,٣ الاسم: لقد جاءت صيغة حكمة، خمس مرات(٥)، أي ما نسبته (٦٢٪)،

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس. (٢/ ٩٢).

(٢) العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٣/ ٦٦).

(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن حسن. (١/ ٥٦٤).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (ص:١٠٩٥).

(٥) البقرة:١٢٩، و:١٥١. آل عمران:١٦٤، الجمعة:٢، الأحزاب:٣٤.

من النسبة المئوية للجذر (ح ك م)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (٤).

١,٤ الفعل: اشتق من الجذر (ح ك م)، فعل مضارع، دلَّ في سياقه القرآني علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وهذا الفعل هو: (يحكم)، الذي جاء في ثلاثة مواضع[١]، وبلغت نسبته (٣٨٪) من النسبة المئوية للجذر (ح ك م)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (٤).

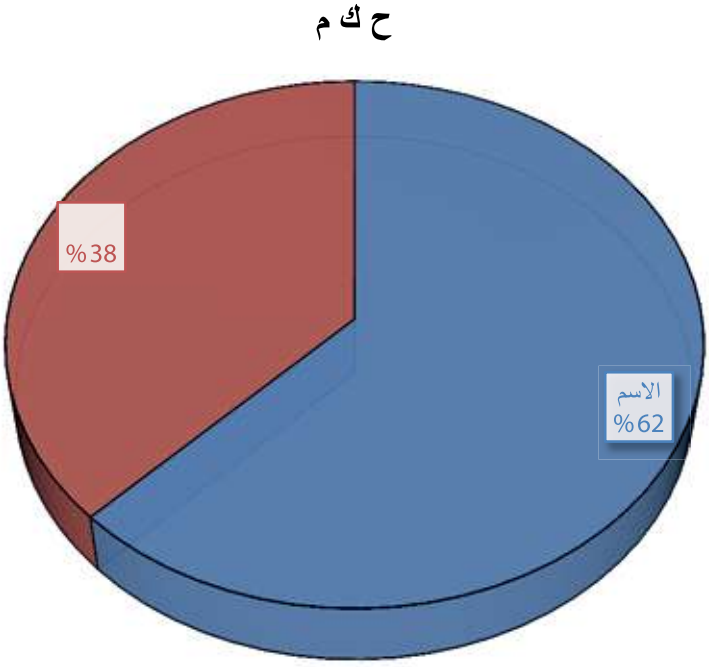

الرَّسم البياني رقم (٤)

(١) النساء:٦٥، النور:٤٨، النور:٥١

٢,١ الاسم: الحكمة

إنَّ رسالة أنبياء الله تعالىٰ إلىٰ أقوامهم واحدة، وإن اختلف الزمان، أو اختلفت طريقة أداء العبادات، وعندما كان إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان البناء المادي لبيت الله الحرام، دَعَوا الله تعالىٰ، أن يُتمَّمَ لهما البناء المعنوي للأمة المسلمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، وهذا البناء المادي، لا يتمُّ إلا بتوافر شروط، منها؛ استمرار رسالة التوحيد في أرضٍ قاحلةٍ سيكون لها الريادة العالمية في قابل الأيام، وهذه الرسالة تحتاج إلىٰ مُبلِّغ يبلغ الناس تعاليم ربهم، ويشرح لهم دقائقها، وتبرز هنا الحكمة، التي سبق أن وضحنا المقصود بها، وهي تعني نشر العدل والعلم، ووضع الأشياء في مكانها الصحيح، ويُقصد بتعليم الحكمة الوقوف علىٰ أسرار الكتاب المنزل من الله تعالىٰ، وما «تكمل به النفوس من المعارف والأحكام»(١)، وهذا لا يكون إلا بتوجيه من الرسول إلىٰ اتباعه، وهذا التعليم ليس خاصًا بنبي الله محمد، ولكنه سُنَّة لكل نبي أُرسل إلىٰ قوم من الأقوام، ومن أجل ذلك، جاء الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حتىٰ يسيرَ أمرُ الله في الأمم اللاحقة، كما سار في الأمم السابقة.

وفي مواضعَ أخرىٰ من القرآن الكريم(٢)، يُذكِّرُ الله تعالىٰ عباده المؤمنين، بنعمه عليهم، عندما بعث فيهم رسولًا يُبيِّن لهم شَرْعَ الله ويبلغُهم كتابَه، ويشرح لهم تعليمات ربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ

(١) روح المعاني، للألوسي. (١/ ٣٨٥).

(٢) البقرة:١٥١، آل عمران:١٦٤، الجمعة:٢.

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤]، واستخدم القرآن الكريم، مصطلح الحكمة، لكل ما بيَّنه الرسول ﷺ للمسلمين مما غاب عنهم في كتاب الله، أو لم يرد له تفصيل، ويُراد بالحكمة أيضًا، «مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ مِنْ تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَتَقْنِينِ الْأَحْكَامِ لِأَنَّ ذَلِكَ كلّه مَانع للأنفس مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَاخْتِلَالِ النِّظَامِ»(١).

إنَّ أفضلَ مكانٍ يُمكن أن تؤخذَ منه هذه الحكمة، بيوت النبي ﷺ من أجل ذلك، أمر الله تعالىٰ، زوجات النبي ﷺ أن يُحدِّثنَ المؤمنين، بما يفعله رسول الله ﷺ في بيته. وَوَصَفَ القرآنُ، تلك الأفعال والأحاديث بالحكمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٤]، وقد ذهب الإمام الطبري، وغيره من المفسرين، إلىٰ أنَّ المقصود بالحكمة، في هذه الآية: «ما أوحي إلىٰ رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السُّنَّة»(٢). وأكد الإمام الشافعي، أنَّ المقصود بالحكمة في هذه الآية، ما هي إلا «سنةُ رسول الله»(٣).

٢,٢ الفعل: يحكم

من تمام تأييد الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ أن يَنزل الناس لحكم النبي ﷺ، وقضائه، بل إنَّ إيمانهم لا يكون كاملًا، إن لم يقبلوا حكمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، ولكن لماذا خصَّ الله تعالىٰ، الرضا بقضاء رسول

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٤/ ١٥٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري. (٢٠/ ٢٦٨).

(٣) الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس. (ص٧٨).

الله، في المنازعات سببًا لتمام الإيمان؟ وجواب ذلك، في شقين، أولهما:

أنَّ الرسول ﷺ عندما يحكم «بِمَا شَرَعَ اللهُ مِنَ الْأَحْكَامِ لَا يَحْتَمِلُ الْحَيْفَ؛ إِذْ لَا يُشَرِّعُ اللهُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَا يُخَالِفُ الرَّسُولُ فِي حُكْمِهِ شَرْعَ اللهِ تَعَالَىٰ»(١).

وثانيهما: أنَّ النفس البشرية، عند النزاع، تكون في حالة من الغضب، وتريد أن تميل كفة الميزان إلىٰ جانبها، حتىٰ ولو كانت ظالمة، والإسلام، يدعو إلىٰ رد الحقوق لأصحابها، وإظهار الحق بغض النظر عن صفات المتنازعين، أو مكانتهم الاجتماعية، وهنا يظهر جوهر الإيمان في النفس المؤمنة، التي تسمع الحكم النبوي، وتطيعه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، تلك الدعوة التي تقوم علىٰ السمع والطاعة المستمدان من الثقة المطلقة في أن حكم اللّه ورسوله هو الحكم وما عداه الهوىٰ، بل إنَّ القرآن رفض أن يكون هناك خيار آخر، بعد قضاء الله ورسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، ولقد رفع الله من شأن نبيه، عندما جعل قضاء رسوله، من قضائه، جلَّ في عُلاه، وعلىٰ الناس «أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه، واختيارهم تلوا لاختياره»(٢). ولذلك تقضي النفسُ المؤمنةُ حياتها جاهدةً في طاعة الله ورسوله، وعدم عصيان ربها، أو مخالفة سنة رسولها، في الأوقات كلها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤]، فإذا عصت هذه النفس، فإن مصيرها العذاب الخالد

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ١١١).

(٢) الكشاف، للزمخشري.(٣/ ٥٤٠).

في النار، وفي إضافة الهاء في «رسوله»، تجعل من يعص الرسول، عاصيًا لله تعالىٰ، وقد قال بعضُ المفسرين إنَّ «الهاء في (حدوده) تعود علىٰ الرسول؛ لأنه المبلغ لحدود الله»(١). وصيغتا «قضىٰ»، و «يعص»(٢) من الصيغ القرآنية التي تدلُّ علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، حيث بلغت النسبة المئوية، للأولىٰ (٢٪)، في حين بلغت النسبة المئوية للأخرىٰ (٧٪) كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

ولكن، إن دخل النفسَ شيءٌ من النفاق، أو عدم التسليم لما يصدرُ عن رسول الله من أحكام، أعرضت، ورفضت، وتمنعت، قال تعالىٰ، في وصف هذه الفئة: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور:٤٨]، وسبب تمنع هذا الفريق؛ لأنهم يعلمون أن حكم اللّه ورسوله لا يحيد عن الحق ، ولا ينحرف مع الهوىٰ، ولا يتأثر بالمودة والشنآن. وهذا الفريق من الناس لا يريد الحق ولا يطيق العدل، بل إنه يؤدي إلىٰ تشرذم الصف المؤمن، ويعمل علىٰ تفتيت السلم الأهلي، والإسلام وضع السُّبل كافة لمنع مثل هذه الظاهرة، وهي ظاهرة النفاق، وقد استخدم القرآن صيغة الفعل المضارع (يحكم) «لِإِفَادَةِ تَجَدُّدِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَكَرُّرِ الْكَذِبِ وَنَحْوِهِ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ»(٣).

ذكرنا، فيما مضىٰ، أن الجذر (ح ك م) استخدم مرةً اسمًا، ومرة فعلًا، واختلفت نسبتهما المئوية، من حيث عدد مرات الورود، فما سبب هذا الاختلاف بين النسبتين؟

تفوقت النسبة المئوية للاسم (حكمة) علىٰ النسبة المئوية للفعل (يحكم)، حيثُ بلغت (٦٢٪) للأولىٰ، و(٣٨٪) للثانية، كما ظهر في الرَّسم البياني السابق،

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، القيسي، مكي بن أبي طالب. (٢/ ١٢٤٩).

(٢) وردت هذه الصيغة في ثلاثة مواضع، هي: النساء:١٤، و:الأحزاب:٣٦، و:الجن: ٢٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (١٨/ ٢٦٨).

رقم (٤)، ومردُّ ذلك، أنَّ الاسم يدلُّ، عند استخدامه في الجملة، علىٰ ثبات المعنىٰ واستقراراه[١]، في حين، يدلُّ الفعل، علىٰ التجدد[٢]. وعند العودة إلىٰ النسبتين السابقتين، ومحاولة تحليل اختلافهما، نقول:

أ) إن تفوق النسبة المئوية للاسم، وهو الحكمة، هنا، يعود إلىٰ أنَّ السُّنَّة ثابتةٌ لا تتغير، مهما اختلفت العصور والأزمان، وثباتها جاء بتأييد من الله تعالىٰ لرسوله، وإذما تغيَّرت أحوال العباد، بسبب التطور الذي تعيشه البشرية عبر العصور، فإنَّ أُسس السُّنَّة ثابتة، ويمكن القياس عليها، وإنزال ما يستجد من الحياة، علىٰ سياسة السُّنَّة، ومن أجل ذلك، كان من معاني السُّنَّة الحكمة، التي تعني، كما قلنا: العدل، وحُسن سياسة العباد والبلاد، لما فيه خيرهم، الذي أراده الله تعالىٰ.

ب) يُقصدُ بتجدد الفعل في هذا المقام المقالي، أن يبقىٰ العمل في السُّنَّة النبوية قائمًا في حياة الناس كُلِّها، وأن يُجددوا عهدهم مع الله دائمًا، للعمل بما يُرضيه، وبما شرَّعه لهم، في كتابه الحكيم، وما قاله الرسول الكريم، وتجدر الإشارة إلىٰ أنَّ النسبة المئوية للفعل هنا، لم تكن قليلة، وهذا يعني، أن المؤمن عليه أن يعمل لتحقيق السُّنَّة في حياته، وهذا العمل يجب أن يسبقه يقين بها، وبأنها ثابتة في عقيدته؛ وثبات العقيدة في نفس المؤمن، يعني رسوخها، والاطمئنان إلىٰ مبادئها، وهو الأهم، ثم يأتي العمل بها، وهو مهم أيضًا.

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني. (ص:١٧٤).

(٢) السابق نفسه.

المبحث الثالث

المادة اللغوية (ش ق ق)، وصيغها في القرآن الكريم

من المعاني المتعددة، التي يُعطيها الأصل اللغوي (ش ق ق)، الشِّق بالكسر، ويعني: «نصف الشيء»(١)، وإذا ما وقع خلاف بين جماعة متحدة، أو تمرَّدَ أحدُ أعضائها علىٰ رأيها تفرَّق أمرهم، ويُقال عندها: «انشقت عصا القوم بعد التئامها»(٢)، وبذلك، يكون الانتقال إلىٰ أحد الرأيين، أو الاتجاهين، بقصد العصيان والعناد، هو المشاقة(٣).

بلغت النسبة المئوية للصيغة اللغوية (شاق)، التي تدلُّ علىٰ معاداة الرسول، ومخالفة أوامره، (١٠٪)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣].

ذكرنا أنَّ معنىٰ الشقاق، الخروج عن الجماعة، فإذا كان المذكورون في الآية السابقة، كفارًا، فلماذا جعلهم الله في هذه الآية، كأنهم مسلمون؟

قال علماء التفسير: إنَّ المخاطبين في هذه الآية، اليهود، وبعضهم ذهب إلىٰ أن المخاطبين، هم المشركون، في حين، قال آخرون: إنهم أناس آمنوا ثم نافقوا(٤)، والآية تحتمل هؤلاء جميعًا، لأنهم علموا حقيقة الرسول، وصِدْقَ

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري. (٤/ ١٥٠٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس. (٣/ ١٧١).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ٢٠٠، ٩/ ٢٨٤)، و: روح المعاني، للألوسي. (٥/ ١٦٧).

(٤) يُنظر: الكشاف، للزمخشري. (٤/ ٣٢٨). و: التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٢٦/ ١٢٦). و: روح =

دعوته، والنص القرآني في هذا المقام، يؤكد ذلك، عندما قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ [محمد:٣٢]؛ فمعرفتهم لحقيقة الإسلام، وإنكارهم له، ورفضهم لدعوة رسول الله، وعدم انصياعهم لأوامره، جعلهم في صف آخر، غير صف الرسول ﷺ وانتقالهم لصف المعاداة، وصناعة المكائد، سيكون مصيره الفشل، فلن يُمكنهم الله من رسوله، وفي قوله: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٣٢]، «تَهْدِيدٌ مَعْنَاهُ؛ هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ الشِّقَاقَ مَعَ الرَّسُولِ، وَهُمْ بِهِ يُشَاقُّونَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الشِّقَاقُ مَعَ اللهِ»(١) ومن يقدر علىٰ حرب الله؟! ثُمَّ، وإنّ كان هذا خطاب موجهًا إلىٰ المشركين، أو من أظهروا الخلاف مع رسول الله، فإنَّ ظلال التهديد قد تصل إلىٰ المؤمنين، بأن أي مخالفة لأوامر رسول الله، قولًا أو عملًا، مصيرها الفشل، ومصير فاعلها العذاب. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

إنَّ دلالة استخدام الفعل «يشاقق»، في هذا المقام القرآني المقالي، يُعطي إشاراتٍ واضحةً بحرمة الشقاق مع الرسول؛ لأنَّ المشاقة تعني وجود صفين مختلفين داخل الجماعة المسلمة، صفٍ لرسول الله وأفعاله، وصفٍ يعمل بغير فعل الرسول، مما يجعل الِاقْتِدَاء بِالرسول فِي أَفْعَالِهِ، يصل إلىٰ مرتبة «الوجوب»(٢).

من المواضع التي تحتاج إلىٰ تدبر، ذلك التشابه العجيب، بين موضعين قرآنيين، قد يظنه بعضهم أنه نوع من التكرار، يقول تعالىٰ في سورة الأنفال: ﴿ذَٰلِكَ

= المعاني، للألوسي. (١٣/ ٢٣٣).

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٢٨/ ٦٠).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي. (١١/ ٢٢٠).

بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، ويقول في سورة الحشر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

إنَّ تدبر ما جاء في هذين الموضعين، يُعطي الإنسان ثقةً بأنَّ النسق القرآني، لها أسسها المتينة، وعجائبها الفريدة، فكلُّ كلمة في القرآن الكريم، وضعت في مكانها السليم، ولا يمكن أن تأتي مفردة، أو كلمة لتسدَّ مكان الأخرىٰ.

إنَّ معنىٰ يُشاقق، في الموضعين السابقين، لا يختلف في ظاهره، عمَّا سبق، ولكن، لماذا قال مرة «يُشاقق»، ومرة أخرىٰ «يشاق»؛ أي مرةً بفك إدغام القاف، وأخرىٰ بإدغامها؟

إنَّ حكم الإظهار والإدغام في مثل هذه الحالة، الجواز في اللغة العربية(١). لقد وقف، أمام هاتين الآيتين، بعضُ علماء التفسير(٢)، وخلصوا إلىٰ أنَّ سبب فكِّ الإدغام في ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، يعود إلىٰ تعلق القاف، برسوله، فإذا حذفت لفظ الجلالة، يُصبح التركيب (ومن يشاقق رسوله)، بمعنىٰ أنه «وحّد الحرفين وأدغمهما في حرف واحد؛ لأنه ذكر الله وحده، وفكَّهما وأظهرهما؛ لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين»(٣).

إنَّ العودة إلىٰ الآيتين في سياقهما القرآني، يُعطينا إشارات إلىٰ أنَّ إدغام القاف،

(١) يُنظر: الكتاب، لسيبويه. (٤/ ٤٤٣). وكذلك:
شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي، رضي الدين. (٣/ ٢٤٩).

(٢) يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الأصبهاني، محمد بن عبد الله. (١/ ١٢٦٠-١٢٦٣). وكذلك:
ملاك التأويل. الغرناطي (١/ ١٠٩).

(٣) التعبير القرآني، السامرائي، فاضل صالح. (ص:١٦).

أو إظهارها، يحمل في طياته معانٍ دلالية دقيقة، استطاع صوت القاف، بما يتمتع به من ملامح تمييزية، أن يؤديها، ونلخص ذلك فيما يأتي:

أ) ورد فك الإدغام، في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، من سورة الأنفال، وجوُّ السورة بعامة، يتحدث عن نتائج غزوة بدر، والآيات التي ورد فيها الفعل «يشاقق» تتحدث عن مصير كفار قريش، الذين اصطفوا في صف معادة الرسول ﷺ بعد أن ظهر لهم صدق نبوته، فكان مصيرهم القتل، والعذاب، يقول تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

فجاء فكُّ الإدغام ليقول لنا: إنَّ الله تعالىٰ يحذر أيَّ إنسان من شقاق الرسول، ومعاداته، مهما كان هذا الشقاق، كبيرًا أو صغيرًا، وسيكون مصيره، مثل مصير كفار قريش.

ب) ورد الإدغام، في قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾، من سورة الحشر، وعودة إلىٰ جوِّ السورة مرة أخرىٰ، وهي سورة الحشر، حيث الحديث فيها عن مصير طائفة من اليهود بعد نقضهم العهود والمواثيق، التي عقدوها مع رسول الله ﷺ، يقول تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

إنَّ تاريخ تعامل اليهود مع أنبياء الله تعالىٰ، واضح، وقد ذُكر في القرآن كثيرًا، فكم من نبيّ قد قتلوا؟! وكم من رسول قد كذَّبوا؟! بل إنهم تجرأوا علىٰ الله، جلَّ في عُلاه، فتارة طلبوا رؤيته جهرة، وتارة أخرىٰ، رفضوا نعمه عليهم، وامتنعوا عن القتال، وطلبوا من نبيهم أن يقاتلَ الأعداءَ مع ربه، وكرروا هذا التاريخ مع رسول الله، محمد ﷺ.

هذا التاريخ الأسود من تكذيب الله، جلَّ في علاه، وتكذيب رسوله، مكّن الإدغام من أن يُعطي دلالات واسعة، لا يمكن أن تظهر لو حدث فك الإدغام؛ فصوت القاف، صوت انفجاري(١)، ويميل الناطق بمثل هذا الصوت الانفجاري، إلىٰ طرائق نطقية لهجية متعددة، تخلصه، من صعوبة نطقه، فإذا كان النطقُ بصوت انفجاري واحد صعبًا، فكيف يكون الحال النطقي، لصوتين انفجاريين متماثلين، مدغمين في صوت واحد؟ وهو صوت القاف المشدد، عندها، سيكون النطق أصعب وأشد، وكأنَّ هؤلاء اليهود، شددوا علىٰ أنفسهم، فشدد الله عليهم القول والعذاب، وكذبوا أنبياء الله تعالىٰ، الذين أرسلَهم إليهم، وفي معاداة أنبياء الله، معاداة لله تعالىٰ، الذي أرسل تلك الرسل، وكان الله تعالىٰ، قد أعلمهم بأنه سيرسل في آخر الزمان رسولًا، صفاته مذكورة في كتبهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي

(١) يُعدُّ هذا الصوت واحدا من الأصوات العربية، التي أصابها، نوع من التطور، فأصبح له تنوعات ديافونية، وفاريفونية مختلفة في اللهجات العربية، يدرسها علم الأصوات الحديث، يُنظر: علم الأصوات. لكمال بشر. (ص:٣٨٥ وما بعدها)، وكذلك: دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية. لمحمد جواد النوري. (ص: ١٠٩، وما بعدها).

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وبذلك، يظهر لنا، وظيفة إدغام القاف في هذا الموضع، ويبرز جماله السياقي، حيثُ أدىٰ وظيفة معنوية، تحمل الزجر والتهديد، كأنَّ السياق القرآني المقامي، أراد أن يُثبتَ لنا حقيقة إلهية، أساسها: أنَّ من يعادي هذا الرسول، ويتخذ صفًا غير صفه، فإنَّه يعادي الله أولًا، قبل أن يعادي الرسول، وسيكون مصيره العقاب الشديد. كما حدث مع اليهود الذين كذَّبوا رسل الله، وشددوا فشدد الله عليهم، وأحاطهم الذل والهوان.

المبحث الرابع

الصيغة اللغوية (حدد)، في القرآن الكريم

الأصل في معنىٰ الحدّ: «الحاجز بين الشيئين»(١)، واشتق منه المُحادَّةُ، وهي: الْمُخَالَفَةُ وَالْمُنَازَعَةُ بين رجلين أو صفين، ويقصدُ بها أنَّ «كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُجَاوِزُ حَدَّهُ إِلىٰ الْآخَرِ»(٢)، وتشترك هذه الصيغة، في بعض معانيها، مع صيغة (شقق)، التي وقفنا أمامها سابقًا، وتساوت نسبتهما المئويتان، حسب الرَّسم البياني رقم (١)، أي (١٠٪)، ومع هذا التشابه الظاهر، إلا أن بينهما اختلافًا، سنقف أمامه.

من المواضع التي استخدمت فيها هذه الصيغة للدلالة علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة، قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]، جاءت هذه الآية، في سياق تحذير المنافقين، من عذاب الله الأليم، فهؤلاء المنافقون يُساعدون الكافرين في حربهم علىٰ رسول الله، سواء أكانت تلك المساعدة بمحاولة شق الصف المؤمن، ونشر الفتن والشائعات، أم معاونة الكافرين المادية، والمقصود بالمحادة هنا، أن يَصِيرَ الرجلُ «فِي حَدٍّ غَيْرِ حَدِّ أَوْلِيَاءِ اللهِ بِالْمُخَالَفَةِ»(٣)، والمخالفة قد تكون في الرأي، أو بالسلاح؛ أي محاربة دين الله(٤).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري. (٢/ ٤٦٢).

(٢) لسان العرب، لابن منظور. (٣/ ١٤٠).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي. (١٦/ ٩٢).

(٤) النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد. (٢/ ٣٧٨. بتصرف).

ومن الملاحظ، في استخدام هذه الصيغة، في القرآن الكريم، أنها تُحذّر من المآل السيء لمعاداة رسول الله؛ ذلك المآل الذي سيكون في الآخرة عذاب جهنم، ويكون في الدنيا ذُلًا مع عذاب ألم الخسارة، وعدم تحقق المراد. إضافة إلىٰ ذلك، فإنَّ هذه الصيغة تطلب من المؤمنين صراحةً التخلي عن المنافقين، حتىٰ وإن كانوا أقرباءهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ونتيجة هذا التخلي، الفوز برضوان الله تعالىٰ، وجنته.

وبذلك تختلف صيغة (حدد)، عن صيغة (شقق)، في أنَّ الخطاب في صيغة (حدد)، موجهٌ إلىٰ المنافقين الذين يعملون علىٰ زعزعة الصف المؤمن، وإمداد أعداء الله، بالسلاح، وتسهيل حربهم علىٰ دين الله ورسوله، وتحذرهم من مصيرهم المهزوم في الدارين، في حين، كان الخطابُ في صيغة (شقق) موجهًا إلىٰ الكافرين، واليهود، والمنافقين، الذين يحاربون الله ورسوله، إضافة إلىٰ ذلك، فإنَّ صيغة (حدد) تعني الوقوف أمام الدين بالسلاح، وموالاة أعدائه، وصيغة (شقق) تحتمل الأمرين؛ أي المخالفة بالرأي، والقتال.

المبحث الخامس

الصيغة اللغوية (آتاكم)، في القرآن الكريم

من الصيغ اللغوية، التي دعت إلىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، صيغة (آتاكم) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ويُقصدُ بها: «مَا أَعْطَاكُمُ الرَّسُولُ مِنَ الْفَيْءِ فَخُذُوهُ فَهُوَ لَكُمْ حَلَالٌ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْ أَخْذِهِ فَانْتَهُوا»(١)، لقد وردت هذه الصيغة، في سياق أوامر الله تعالىٰ للمؤمنين، بضرورة التسليم بقضاء رسول الله في توزيع الغنائم التي حصلوا عليها بعد جلاء بني النضير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، يُظهر أسلوب الشرط الجازم في هذه الصيغة، أنَّ نتيجة عدم الرضا بما قسم رسول الله، هو عقاب الله الشديد، ومع أنَّ هذه الصيغة القرآنية جاءت في مقام مقالي قرآني خاص، وهو، كما ذكرنا، توزيع الغنائم، إلا أن «الأجود أن يكون عامًا في كل ما أتىٰ رسول الله ﷺ ونهىٰ عنه»(٢)، وقد استدلَّ الفقهاء بهذا العموم، بتحريم «الْخَمْرِ، وَحُكْمِ الْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ، وَتَحْرِيمِ الْمَخِيطِ لِلْمُحْرِمِ»(٣)، وغيرها من الأحكام الفقهية المشروحة في كتب

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٢٩/ ٥٠٧).

(٢) الكشاف، للزمخشري. (٤/ ٥٠٣).

(٣) البحر المحيط في التفسير. ابن الأثير، محمد بن يوسف بن الأثير. (٨/ ٢٤٤).

الفقه المتعددة، وبذلك يُصبح معنىٰ هذه الصيغة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؛ أي «لا تخالفوه في شيء، ولا تتوهموا في أفعاله وأقواله غير الحق»(١). وقد بلغت نسبة هذه الصيغة، (٢٪) من النسب المئوية التي يُظهرها الرَّسم البياني رقم (١).

❁ ❁ ❁

(١) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني. الكوراني، أحمد بن اسماعيل. (ص:١٢٩).

المبحث السادس

الصيغة اللغوية (استجيبوا)، في القرآن الكريم

ما جاء الإسلام إلا لبثِّ الحياة في قلوب أصابها الجفاف الإيماني، وابتعدت عن صراط ربها، الذي ارتضاه لها، وقد طلب القرآن الكريم من المؤمنين الصادقين، الاستجابة لنداء الله ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، استخدم القرآن هنا، صيغة فعل الأمر «استجيبوا»، الذي يُقصدُ به: «الطاعة والامتثال»(١)، لله وللرسول، والاستجابة تكون لله بالطاعة المعنوية، أما الاستجابة للرسول، فإنها، في هذا المقام المقالي القرآني، أعم؛ لأنها تكون بالطاعتين المعنوية، والحسية، ويُقصد بالحسية، الامتثال للنداء، والقيام بالمهام الموجهة إليهم(٢)، لأنَّ الامتثال لطلبات النبي ﷺ فيه حياة لهم، فهو يدعوهم إلىٰ منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة، المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان. وقد بلغت هذه النسبة المئوية لهذه الصيغة (٢٪)، كما ظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

❁ ❁ ❁

(١) الكشاف، للزمخشري. (٢/ ٢١٠).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٩/ ٣١٢). بتصرف

الخاتمة

وبعد،

فقد وصلنا إلىٰ نهاية بحثنا هذا، الذي نرجو من الله قبوله، وقد حاولنا فيه، مُعتمدين علىٰ الله تعالىٰ، توظيف أسس علم اللسانيات، لتفسير النص القرآني، مع التركيز علىٰ صيغ وجوب اتباع السنة في القرآن الكريم، **وخلصنا إلىٰ النتائج الآتية:**

١. تُعدُّ المادة اللغوية «ط و ع» أكثر المواد استخدامًا، فقد بلغت ما نسبته (٤١٪)، وفي ذلك دلالة كبيرة، إلىٰ أنَّ القرآن الكريم، طلب صراحةً طاعة الرسول، وما يصدر عنه من أقوال، وأفعال، وتشريعات.

٢. إنَّ تعددَ صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، واختلاف اشتقاقاتها، يُعطي رسائل صريحةً، بأنَّ القرآن قد فرضَ علىٰ المؤمنين اتِّباع أحكام السُّنَّة، وهذه الأحكام، قد رضي الله عنها، وهي صالحة للبشرية، في كل زمان ومكان، وما علىٰ المؤمنين، إلا توظيفها في حياتهم، وهذه السُّنَّةُ قادرةٌ علىٰ استيعاب التطورات الاجتماعية والاقتصادية، التي تصيب المجتمعات علىٰ مرِّ العصور.

٣. شرَّف الله تعالىٰ رسوله الكريم، بطرائق لغوية متعددة، مثل إضافة الهاء، و«ال» التعريف، وفي هذا تأييدٌ من الله تعالىٰ، لأفعال الرسول كلِّها.

٤. أكثر الأساليب اللغوية ورودًا مع الصيغ التي وقفنا أمامها، كان أسلوب

الشرط الجازم، وهذا الأسلوب، يُركز علىٰ نتيجة الشرط، وبذلك، من أراد الإيمان التام، ومرافقة الرسول، فعليه اتباع الرسول، أما من خالف تعليمات الرسول، فمصيره الخروج من الصفِّ الإسلامي، والعذاب الأليم في النار.

٥. حرصت الآيات القرآنية، التي وردت فيها الصيغ التي تدعو إلىٰ اتِّباع الرسول، علىٰ رص صف المجتمع الإسلامي، وزيادة أواصر المحبة والأخوة، وحذَّرت من أيِّ تعاون مع أعداء الله وأعداء رسوله.

٦. كلُّ كلمة في القرآن الكريم لها مكانها، الذي لا يمكن أن تسدَّ مكانها كلمة أخرىٰ، وظهر لنا الفرق، في الاستخدام القرآني بين «من يُطعِ الله ورسوله»، و «من يُطع الرسول»، وبين «من يُشاقق الله ورسوله»، و «من يشاقِّ الله»، وعلىٰ ذلك فقس.

٧. إنَّ أي تشابه ورد في القرآن الكريم، له تفسيره الواضح، وسياقه الخاص، مما يجعلنا نقول: إنَّ القرآن الكريم، لا يُوجدُ فيه تَكْرار، بل هو كتاب حكيم، له أسلوبه القويم، ويحتاج إلىٰ كثرة تدبر، وقوة ملاحظة.

٨. يؤدي الصوت في السياق اللغوي، دلالة معنوية، تُكسب الصيغة جمالًا، والمعنىٰ إبرازًا.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان». ابن حبان، محمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط:٢. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٩٣م.

٢. «أمالي ابن الشجري». الشجري، هبة الله بن علي. تحقيق: محمود الطنجي. ط:١. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٩١.

٣. «البحر المحيط في التفسير». ابن الأثير، محمد بن يوسف. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣هـ.

٤. «التحرير والتنوير». ابن عاشور، محمد. تونس: الدار التونسية للنشر. ١٩٨٤م.

٥. «تفسير الشعراوي – الخواطر». الشعراوي، محمد متولي. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ط:١، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦. «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط:١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ.

٧. «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور». ابن الأثير، نصر الله بن محمد. تحقيق: مصطفىٰ جواد و:جميل سعد. بغداد: مطبعة المجمع العلمي. ١٣٧٥هـ.

٨. «جمهرة اللغة». ابن دريد، محمد بن حسن. تحقيق: رمزي البعلبكي. ط:١. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٧م.

٩. «دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية». النوري، محمد جواد. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠١٨م.

١٠. «درة التنزيل وغرة التأويل». الأصبهاني، محمد بن عبد الله. تحقيق: محمد آيدين. ط:١.

مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ. ٢٠٠١م.

١١. «دلائل الإعجاز في علم المعاني». الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ-١٠٧٨م)، تحقيق: محمود شاكر. ط:٣. القاهرة: مطبعة المدني. ١٤١٣هـ.

١٢. «الرسالة». الشافعي، محمد بن إدريس. تحقيق: أحمد شاكر. ط:١. القاهرة: مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي. ١٩٤٠م.

١٣. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين. تحقيق: علي عطية. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٥هـ.

١٤. «سنن الترمذي». الترمذي، محمد بن عيسىٰ. تحقيق: أحمد شاكر وآخرين. ط:٢. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي. ١٩٧٥م.

١٥. «شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك». ابن عقيل، عبد الله. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط:٢٠. القاهرة: دار مصر للطباعة. ١٩٨٠م.

١٦. «شرح المفصل للزمخشري». ابن يعيش، علي. تحقيق: إميل يعقوب. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠١م.

١٧. «شرح شافية ابن الحاجب». الاستراباذي، رضي الدين. تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٧٥م.

١٨. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية». ابن حماد، إسماعيل. تحقيق: أحمد عطار، بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٧م.

١٩. «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن اسماعيل. تحقيق: محمد الناصر. ط:١. القاهرة: دار طوق النجاة. ١٤٢٢هـ.

٢٠. «علم الأصوات». بشر، كمال. القاهرة: دار غريب. ٢٠٠٠.

٢١. «العين». الفراهيدي، الخليل بن أحمد. تحقيق: إبراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي. القاهرة: دار ومكتبة الهلال. (د.ط) (د.ت)

٢٢. «غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني». الكوراني، أحمد بن اسماعيل. تحقيق: محمد

كوكصو. تركيا: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية ١٤٢٨هـ.

٢٣. «غريب القرآن». ابن قتيبة، عبد الله. تحقيق، السيد أحمد صقر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٢٤. «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي. ط:١. دمشق: دار ابن كثير. ١٤١٤هـ.

٢٥. «القاموس المحيط». الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ط:٨. بيروت: مؤسسة الرسالة. ٢٠٠٥م.

٢٦. «الكتاب». سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:٢. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٤٠٨هـ.

٢٧. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، محمود بن عمر. ط:٣. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٧هـ.

٢٨. «المسند». ابن حنبل، أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط:١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

٢٩. «معاني النحو». السامرائي، فاضل صالح. ط:١، عمّان: دار الفكر. ٢٠٠٠م.

٣٠. «مفاتيح الغيب». الرازي، فخر الدين. ط:٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ.

٣١. «مقاييس اللغة». ابن فارس، أحمد. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار الفكر. ١٩٧٩م.

٣٢. «ملاك التأويل». الغرناطي، أحمد بن إبراهيم. ط:١. بيروت. دار الكتب العلمية،

٣٣. «النكت والعيون». الماوردي، علي بن محمد. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية». القيسي، مكي بن أبي طالب. ط:١. الشارقة: جامعة الشارقة. ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٩٣
المقدمة ٢٩٦
أولًا- أهمية البحث ٢٩٧
ثانيًا- أسباب اختيار البحث ٢٩٨
ثالثًا- أهداف البحث ٢٩٨
رابعًا- الدراسات السابقة ٢٩٩
خامسًا- منهج البحث ٢٩٩
سادسًا- خطة البحث ٢٩٩
دلالات صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم ٣٠١
المبحث الأول: المادة اللغوية (ط و ع)، وصيغها في القرآن الكريم ٣٠٢
المبحث الثاني: المادة اللغوية (ح ك م)، وصيغها في القرآن الكريم ٣٢١
المبحث الثالث: المادة اللغوية (ش ق ق)، وصيغها في القرآن الكريم ٣٢٨
المبحث الرابع: الصيغة اللغوية (حدد)، في القرآن الكريم ٣٣٤
المبحث الخامس: الصيغة اللغوية (آتاكم)، في القرآن الكريم ٣٣٦
المبحث السادس: الصيغة اللغوية (استجيبوا)، في القرآن الكريم ٣٣٨
الخاتمة ٣٣٩
فهرس المصادر والمراجع ٣٤١
فهرس الموضوعات ٣٤٤

مجلة تدبر
عدد

ثانيًا: مُستَخلَصاتُ الرَّسَائِل والمَشَارِيع العِلْميَّة

ماجستير في القرآن الكريم وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية

- **العنوان:** الشيخ/ عبدالرحمن السعدي وجهوده في تدبر القرآن الكريم.
- **الباحث:** زكريا بن عبدالرحمن بن محمد بافضل.
- **المشرف:** الأستاذ الدكتور/ خالد نبوي حجاج سليمان.
- **الدرجة:** الماجستير.
- **الجهة المانحة للدرجة:** كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية بماليزيا.
- **سنة الإجازة:** ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- **التقدير:** ممتاز.
- **الوصف المادي:** تقع الرسالة في مجلد واحد من ٢٢٦ صفحة.

تعريف الرسالة

تناولت الرسالة دراسة موضوع تدبر القرآن الكريم عند الشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهي مكونة من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، **وهي على التفصيل الآتي:**

المقدمة: وفيها موضوع البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، ومصطلحات البحث، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث.

الفصول الثلاثة:

الفصل الأول: ترجمة الشيخ/ عبد الرحمن السعدي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: عقيدته.

المبحث الثاني: حياته العلمية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: طلبه العلم.

المطلب الثاني: أشهر شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: آثاره العلمية.

المطلب الخامس: منهجه في التفسير.

المطلب السادس: وفاته.

الفصل الثاني: مفاهيم حول التدبر عند الشيخ/ عبدالرحمن السعدي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التدبر وأهميته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التدبر عند الشيخ عبد الرحمن السعدي.

المطلب الثاني: أهمية التدبر، وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولىٰ: أن التدبر أعظم مقاصد إنزال القرآن الكريم.

المسألة الثانية: أن الله ﷻ أثنىٰ علىٰ المتدبرين.

المسألة الثالثة: أن الله ﷻ حث الناس علىٰ التدبر.

المسألة الرابعة: أن التدبر من النصيحة لكتاب الله ﷻ.

المسألة الخامسة: أن التدبر مفتاح علوم القرآن الكريم وتحصيل فوائده.

المسألة السادسة: أن القراءة المشتملة علىٰ التدبر أفضل من غيرها.

المسألة السابعة: أن التدبر أعظم ما يشتغل به الإنسان في حياته.

المبحث الثاني: حكم التدبر وشروطه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم التدبر.

المطلب الثاني: شروط التدبر.

المبحث الثالث: وسائل التدبر وموانعه عند الشيخ عبدالرحمن السعدي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل التدبر، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولىٰ: الوسائل المعينة علىٰ التدبر قبل القراءة، وفيه:

- تطهير القلب.
- معرفة أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء.
- معرفة منهجية تلقي القرآن الكريم.
- الإقبال علىٰ القرآن الكريم.
- دعاء الله ﷻ.
- معرفة السيرة النبوية وعلوم العربية.
- معرفة أساليب القرآن الكريم.

المسألة الثانية: الوسائل المعينة علىٰ التدبر في أثناء القراءة، وفيه:

- الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم.
- الاستماع والإنصات.
- الترتيل.
- التفاعل مع القرآن الكريم.
- تكرار النظر للآية أكثر من مرة.
- التأمل في مخلوقات الله.
- القراءة بالليل وفي أثناء الصلاة فيه.

المسألة الثالثة: الوسائل المعينة علىٰ التدبر بعد القراءة، وفيه:

- العرض والمحاسبة.

المطلب الثاني: موانع التدبر، وفيه خمسة موانع:

المانع الأول: وجود الأقفال علىٰ القلب.

المانع الثاني: الإعراض عن القرآن وعدم قصد الحق والرشاد.

المانع الثالث: اتباع الهوىٰ.

المانع الرابع: الكِبْر علىٰ الحق ومن جاء به.

المانع الخامس: المعاصي والذنوب.

المبحث الرابع: فوائد وثمرات التدبر، وفيه:

- أن التدبر من أعظم أسباب زيادة الإيمان ورسوخه.
- حصول اليقين في القلب، والوقوف علىٰ صدق أخبار القرآن الكريم.
- حصول البصيرة والعقل.
- معرفة ما يحبه الله تعالىٰ، وما يبغضه من الأوصاف والأفعال.
- الحث والترغيب في الاقتداء بأهل الخير ومنافستهم.
- الترهيب من أفعال أهل الشر.
- الاعتبار بصفات أهل الخير وأهل الشر.
- الإزراء علىٰ النفس، وعدم العجب بأعمالها.
- التعريف بالله ﷻ وما يتبعه من الآثار القلبية.
- التعريف بالرسل عليهم الصلاة والسلام وما يتبعه من الآثار.
- حصول الشكر من العبد لربه علىٰ إرسال الرسل.

- حصول العلم والمعارف.
- زيادة العلم والبصيرة والفهم والعمل.
- معرفة التوحيد، وفهم الآيات القرآنية حق الفهم.
- حصول الامتثال للأوامر والابتعاد عن النواهي.
- القيام بكثير من الأعمال القلبية التي تثمر أعمال الجوارح.

الفصل الثالث: تطبيقات الشيخ عبد الرحمن السعدي في تدبر القرآن، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تطبيقات التدبر الموضوعية، وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأول: التدبر من خلال النظر إلىٰ المقاصد.

المطلب الثاني: التدبر من خلال النظر إلىٰ العمومات القرآنية.

المطلب الثالث: التدبر من خلال تنزيل الآيات علىٰ الواقع.

المطلب الرابع: التدبر من خلال المناسبات.

المطلب الخامس: التدبر من خلال النظر لما وراء الأقوال والأفعال.

المطلب السادس: التدبر من خلال النظر إلىٰ صفات أهل السعادة وأهل الشقاوة.

المطلب السابع: التدبر من خلال النظر إلىٰ السنن الربانية.

المطلب الثامن: التدبر من خلال الاعتبار «أخذ العبرة».

المطلب التاسع: التدبر من خلال الوقوف علىٰ الأمثال القرآنية.

المطلب العاشر: التدبر من خلال أسلوب السؤال والجواب.

المطلب الحادي عشر: التدبر من خلال التدبر لموضوعات القرآن.

المطلب الثاني عشر: التدبر من خلال استخراج الهدايات.

المبحث الثاني: تطبيقات التدبر من خلال النظر إلى الدلالات الأصولية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التدبر من خلال النظر إلىٰ أسلوب دلالات الألفاظ.

المطلب الثاني: التدبر من خلال النظر إلىٰ القيود غير المقصودة في النص.

المطلب الثالث: التدبر من خلال النظر إلىٰ تغير العرف بتغير الزمان والمكان.

المطلب الرابع: النظر إلىٰ الإتيان بالسياق العام في السياق الخاص.

المبحث الثالث: تطبيقات التدبر من خلال الدلالات اللغوية والبلاغية، وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: التدبر من خلال النظر إلىٰ أسلوب التكرار في القرآن.

المطلب الثاني: التدبر من خلال النظر إلىٰ أسلوب التقديم والتأخير.

المطلب الثالث: التدبر من خلال النظر إلىٰ دخول الألف واللام علىٰ الأوصاف وأسماء الجنس.

المطلب الرابع: التدبر من خلال النظر إلىٰ أسلوب التنكير.

المطلب الخامس: التدبر من خلال النظر إلىٰ أسلوب الحذف والإطلاق.

المطلب السادس: التدبر من خلال النظر إلىٰ دلالة المفرد المضاف.

المطلب السابع: التدبر من خلال النظر إلىٰ دلالات الجملة الاسمية والفعلية.

المطلب الثامن: التدبر من خلال النظر إلىٰ دلالات اختيار المفردة القرآنية.

المطلب التاسع: التدبر من خلال النظر إلىٰ زيادة البناء في الكلمة.

المطلب العاشر: التدبر من خلال النظر إلىٰ حروف المعاني.

المبحث الرابع: خصائص تطبيقات الشيخ عبد الرحمن السعدي العلمية في التدبر، وفيه:

- عنايته واهتمامه بالتدبر.
- عنايته بتوجيه الناس إلىٰ الأخذ بمنهج السلف في التلقي والعمل.
- عنايته بالتدبر في المواسم الفاضلة.
- عنايته بتدوين التدبرات والتأملات.
- عناية الشيخ بتدبر الآية الواحدة أكثر من مرة.
- تدبر كل آية باستقلال حتىٰ لو كانت من المتشابه أو مما كُرر.
- تدبر الشيخ باستخدام أدوات كثيرة.
- عناية الشيخ في التدبر بمعرفة عادة وطريقة القرآن.
- عناية الشيخ في التدبر ببيان مجالات تدبر القرآن الكريم.
- عناية الشيخ في التدبر ببيان غرض الآية ومغزاها ومقصدها.
- عناية الشيخ في التدبر بتطبيق وربط الآيات بالواقع.
- عناية الشيخ في التدبر بالتفاعل مع الآيات وعرض النفس عليها ومحاسبتها علىٰ التقصير.
- عناية الشيخ في التدبر ببيان ثماره وفوائده وآثاره.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وشملت فهرس الآيات، والأحاديث، والآثار، والأعلام، والمراجع، والموضوعات.

مزايا الرسالة

من أبرز مزايا الرسالة:

١- فيها خدمة كتاب الله تعالىٰ في جانب مهم ألا وهو التدبر الذي أمر الله ﷻ به، وجعله المقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم، وقد ورد من الآيات والأحاديث والآثار في الحث علىٰ التدبر أكثر مما ورد في فضل القراءة، بل أقوىٰ حجة وأعظم أثرًا.

٢- الاعتماد علىٰ شخصية علمية واحدة تميزت بالعناية البالغة بتدبر القرآن الكريم تأصيلًا وتطبيقًا.

٣- المرتبة العالية التي تبوأها الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وتميزه في علوم الشريعة عمومًا، وفي موضوع تدبر القرآن الكريم علىٰ وجه الخصوص، بل كثرة اعتنائه بذلك، يقول في تفسيره مبينًا ذلك: «... وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا علىٰ مجرد معنىٰ اللفظ.. فإذا فهمه فَهمًا صحيحًا علىٰ وجهه، نظر بعقله إلىٰ ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه، وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه... وقد كان في تفسيرنا هذا كثير من هذا منّ الله به علينا...». [تفسير السعدي (ص٧٣٣)]

٤- تتبع كلام الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في التدبر، وجمعه وبناء صورة متكاملة عن الموضوع من خلالها، ليستفيد منها الباحثون.

٥- إعطاء المطلع علىٰ هذا الموضوع فرصة الاطلاع علىٰ طرائق العلماء في تدبر القرآن الكريم ودراستها، مما يُسهِم في بناء الشخصية في هذا الجانب المهم المتعلق بكتاب الله تعالىٰ.

٥- المساهمة في سد النقص في قلة الدراسات العلمية التي تُعنَىٰ ببيان مناهج العلماء وطرائقهم في التدبر، من أجل إيجاد القدوات العملية التي يقتدي بها المتدبرون.

٦- أن في هذه التدبرات القرآنية تأصيلًا قرآنيًّا لبعض القضايا التربوية والسلوكية التي قد يخفىٰ تأصيلها القرآني.

أبرز نتائج البحث:

وقد انتهىٰ البحث بجملة من النتائج، استخلص الباحث أهمها:

١. عناية الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷺ بالقرآن الكريم عناية خاصة، تعليمًا، وتفسيرًا، واستنباطًا، وتدبرًا، ويظهر هذا جليًّا في دروسه التي يقيمها للطلاب والعامة في مسجده، أو في المؤلفات الكثيرة التي ألفها حول القرآن الكريم وعلومه.

٢. عناية الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷺ بتأصيل التدبر، من حيث المفهوم، والشروط، والأدوات، والوسائل، والموانع وغيرها من المسائل المرتبطة بالتدبر.

٣. أن الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷺ في تحديده مفهوم التدبر لم يخرج عما ذكره اللغويون والمفسرون، وإنما سار علىٰ إطلاق العرب له في

إطلاقه علىٰ كل تأمل، فيشمل التأمل في مقدمات الشيء وأسبابه، وفي أدباره وعواقبه.

٤. عناية الشيخ السعدي بتوجيه الناس وحثهم علىٰ العناية بتدبر القرآن الكريم ببيان فضله، وأنه مفتاح العلوم التي في كتاب الله ﷻ.

٥. عناية الشيخ السعدي ببيان حكم تدبر القرآن الكريم في الجملة، وأنه واجب شرعي علىٰ كل قارئ للقرآن الكريم، كلٌّ حسب فهمه وقدراته وطاقاته الإدراكية.

٦. عناية الشيخ السعدي ببيان الوسائل المعِينة علىٰ تدبر القرآن الكريم، سواء منها ما يكون قبل قراءة القرآن الكريم، أو ما يكون في أثناء القراءة، أو ما يكون بعدها، مع العناية بتطبيق ما استطاع منها، وهذه الوسائل منها ما هو علمي، ومنها ما هو عملي يمكن لكل مسلم أن يطبقه.

٧. عناية الشيخ السعدي ببيان ثمرات التدبر، سواء أكانت الثمرات قلبية، أم كانت الثمرات علمية، أم كانت الثمرات عملية.

٨. عناية الشيخ السعدي بتبسيط التدبر للناس، وذلك من خلال بيان مجالات التدبر في القرآن من خلال علومه، وكيف يكون التدبر في كل علم مع تطبيق ذلك فيما كَتب.

٩. عناية الشيخ السعدي ببيان أن تعلم القرآن الكريم وأخذه بالطريقة التي رويت عن الصحابة ﷺ أدعىٰ للفهم والاستيعاب من غيرها، وهذه المنهجية تكاد تكون غائبة عن أذهان كثير من المسلمين اليوم.

١٠. عناية الشيخ السعدي في التدبر بالتفاعل مع الآيات القرآنية، وعرض النفس عليها، ومحاسبتها علىٰ التقصير فيها، وهذا تطبيق منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لما أصّله في كتبه نظريًّا مع بيان الكيفية، ثم تطبيقه عمليًّا في أثناء تدوينه للتدبر في تفسيره، وهو أنموذج عملي للناس يحتذي به من يتدبر.

١١. عناية الشيخ السعدي ببيان الموانع التي تحول بين العبد وبين تدبر القرآن الكريم، وبيان أصول هذه الموانع ليحذرها العبد ويجتنبها.

١٢. عناية الشيخ السعدي بالتدبر الفردي لنفسه، وكان يقيد كثيرًا من التأملات التي يصل إليها، بل ألف كتاب «المواهب الربانية من الآيات القرآنية» في شهر رمضان وهو يتدبر، واشترط أن لا يقيد من التأملات إلا التي لم يقيدها من قبل.

وفي هذا أنموذج يحتذىٰ لأهل العلم في تدوين ما يقع لهم من تأملات متفرقة وفتوحات ربانية في فهم هدايات القرآن الكريم وتذوقها، خاصة تلك التي تعالج المستجَدات والنوازل التي لم يشهدها العلماء من قبل.

١٣. استخدم الشيخ السعدي في تطبيقاته في تدبر القرآن الكريم كثيرًا من الوسائل، ويمكن تقسيمها إلىٰ وسائل موضوعية، ووسائل أصولية، ووسائل لغوية.

١٤. عناية الشيخ السعدي بالتدبر من خلال مقاصد الآيات، بل غالب تفسيره إنما هو مبني علىٰ ذلك، كما صرَّح في مواضع من مؤلفاته بأهمية ذلك،

ومن ذلك قوله: «ولست أقول: إن الاعتناء بأسباب النزول ليس بنافع! بل هو نافع، وقد يتوقف فَهْمُ كمال المعنىٰ عليه! وإنما قولي: إن الاعتناء بتدبر الألفاظ والمقاصد هو الأهم».أ.هـ.(١).

١٥. عناية الشيخ السعدي من خلال التدبر بالأخذ بالعموم، وإدخال الصور المنطبقة عليها عمومات الآيات القرآنية، وقد بين أن هذه القاعدة نافعة جدًّا في تدبر القرآن الكريم، وأنه بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير، وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير.

١٦. عناية الشيخ السعدي بالنظر إلىٰ المناسبات في القرآن الكريم بين آياته والتأمل في ذلك، واستخراج الهدايات العلمية والعملية السلوكية من ذلك، وربط آي القرآن بعضها ببعض.

١٧. عناية الشيخ السعدي بتدبر القرآن الكريم من خلال ربط الآيات بالواقع، وتنزيل العمومات القرآنية علىٰ الواقع، وفي هذا تطبيق عملي وبيان لأثر القرآن في إصلاح واقع المتدبر وارتباطه به.

١٨. عناية الشيخ السعدي بتدبر الأمثال القرآنية علىٰ وجه الخصوص، وذلك لما بيَّنه الله تعالىٰ من أهمية ذلك، بقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

١٩. عناية الشيخ السعدي بالتدبر من خلال دلالات الألفاظ بأنواعها؛ دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، ودلالة الإشارة، وهو من المكثرين لاستعمال

(١) السعدي، **المواهب الربانية** (ص٤٧).

ذلك في تدبره للقرآن الكريم.

٢٠. عناية الشيخ السعدي بعلوم العربية المعِينة علىٰ تدبر القرآن الكريم، خاصة دلالات الجمل من جهة علم البلاغة وبالأخص علم المعاني، كدلالات الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ودلالة التقديم والتأخير في الجملة، ودلالة التعريف والتنكير، ودلالة التكرار، وغيرها من أساليب العربية المعينة علىٰ التدبر.

٢١. عناية الشيخ السعدي بوضع قواعد تعين علىٰ تدبر القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: «القرآن الكريم يستدل بالأقوال والأفعال علىٰ ما صدرت عنه من الأخلاق والصفات»، وغيرها من القواعد التي أصَّلها، ومرت في ثنايا البحث.

٢٢. عناية الشيخ السعدي بالتدريب علىٰ تنمية ملكة التفسير والتدبر، من خلال وضع قواعد ثم بيان معناها، مع ذكر مجموعة من التطبيقات عليها، وبذلك يتهيأ من يعرف هذه القواعد وتطبيقاتها لأن يحاكيها.

٢٣. يظهر أن أكثر تطبيقات الشيخ للتدبر علىٰ الترتيب، من خلال النظر إلىٰ مقاصد الآيات، ثم النظر إلىٰ المناسبات، ثم النظر إلىٰ الدلالات الأصولية، ثم استخراج الهديات.

٢٤. أكد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أهمَّ ما ينبغي العناية به في التدبر، وأنسب ما ينبغي أن يسير عليه المتدبر بقوله: «فتَدبُّر الألفاظ العامة والخاصة، والتأمل في سياق الكلام، والاهتمام بمعرفة مراد الله بكلامه، وتنزيله علىٰ الأمور؛

كلها هو الأمر الأهم، وهو المقصود، وهو الذي تعبد الله العباد به، وهو الذي يحصل به العلم والإيمان...»[(١)].

أهم التوصيات:

من أبرز التوصيات التي أوصىٰ بها الباحث ما يلي:

١. أن يتوجه الباحثون إلىٰ العناية ببحث مناهج المفسرين في تدبر القرآن الكريم، أو جهودهم في العناية بتدبر القرآن الكريم، فإن في ذلك إبرازًا لنماذجَ وقدواتٍ يحتاج الناس إلىٰ إبرازها.

٢. الاهتمام بجمع طرائق العلماء الراسخين في تدبر القرآن الكريم في ضوء تدبراتهم، ونشرها بين الناس؛ ليستفيد منها طلبة العلم والعامة في كيفية تدبر القرآن الكريم.

٣. جمع تدبرات المفسرين والعلماء وتصنيفها إلىٰ مجالات متنوعة في العقائد والأحكام والسلوك لينتفع بها الناس.

٤. أن تكتب دراسات عن الشيخ عبدالرحمن السعدي في بعض المواضيع المهمة، ومنها:

- منهج الشيخ السعدي في علم مقاصد الآيات.
- منهج الشيخ السعدي في تدبر القصص القرآني.
- منهج الشيخ السعدي في دراسة صفات أهل الفلاح وصفات أهل الخسران.

(١) المواهب الربانية (ص ٤٧).

- منهج الشيخ السعدي في تدبر السنن الربانية والاعتبار.

هذه بعض المواضيع التي ظهر لي أنها بحاجة إلىٰ عناية الباحثين بها وبدراستها، وأحمد الله ﷻ علىٰ ما مَنّ به مِن التمام والانتهاء.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مجلة تدبر
تقرير عن برنامج مُدّكر
التابع لمركز تفسير للدراسات القرآنية
إعداد: إدارة البرنامج

التعريف بالبرنامج:

«مُدَّكر»: أحد مشاريع مركز «تفسير للدراسات القرآنية»: وهو أول برنامج تعليمي إلكتروني متعدد الواجهات يَهدف إلىٰ تمكين الدارس من معرفة مُجمل معاني القرآن الكريم بدراسة كتاب «المختصر في تفسير القرآن الكريم» -عبر خمسة مستويات دراسية- في سنة واحدة.

بداية البرنامج:

بدأت فكرة البرنامج عام ١٤٣٨هـ، وهو جزءٌ مِن فكرة أكبر تَهْدِف إلىٰ تيسير فهم الإسلام وتقريبه لكل فئات المجتمع المسلم **عبر ثلاثة روافد:**

- القرآن الكريم.
- الأحاديث النَّبَوِيَّة.
- السِّيرة النَّبَوِيَّة.

فجاءت فكرةُ برنامج «مدَّكِر» لتخدم الرافد الأول، وهو فهم القرآن الكريم.

الرؤية:

جَعْلُ البرنامج هو المرحلة الأولىٰ لفهم معاني القرآن الكريم لكلِّ مسلم.

الرسالة:

تمكين المسلم والمسلمة مِن فهم معاني القرآن الكريم بأسلوب سهل، وتقديم خدمات تعليمية مبتكرة متاحة لكل فئات المجتمع المسلم؛ تنطلق من تشجيع التعَلُّم الذَّاتي بإشراف علمي متخصص.

أهدافنا:

تشجيع الناس للاطلاع على معاني القرآن الكريم.

تسهيل مُدَارسة تفسير مختصر للقرآن الكريم يَصلح لكافة شرائح المجتمع.

تمكين كلِّ مسلم ومسلمة مِن فَهْم القرآن الكريم إجمالًا؛ بخدمات تعليمية عصرية.

مميزات البرنامج:

١. مجاني بالكامل؛ بدون رسوم تسجيل، ولا رسوم دراسة.

٢. إلكتروني (عن بُعد)؛ يمكنك الدراسة فيه من أيِّ مكان في العالم عبر الإنترنت.

٣. مُدَّته عام واحد فقط.

٤. لا يُشترط عمرًا محددًا.

٥. لا يُشترط شهادات تعليمية.

٦. بإشراف مركز «تفسير» للدراسات القرآنية.

٧. الكتاب المُعتمد من أفضل الكتب المختصرة في تفسير القرآن الكريم.

٨. متابعة دائمة للطالب عبر أسئلة تقييم مع كل درسٍ، واختبارات أسبوعية ومَرْحَلِيَّة.

٩. لقاءات إثرائية مع نُخبة من المتخصصين في علوم التفسير.

الكتاب المعتمد:

«المختصر في تفسير القرآن الكريم».

المميزات التعليمية للكتاب المعتمد:

١. وضوح العبارة وسهولتها.

٢. الاقتصار علىٰ تفسير الآيات وبيان معانيها دون التَّعَرُّض لمسائل القراءات والإعراب والفقه ونحوها.

٣. شرح المفردات القرآنية الغريبة أثناء التفسير، وتمييز الشرح بلون مختلف بقدر الاستطاعة؛ ليسهل الوقوف عليه لمن أراده.

٤. اتباع المنهج الصحيح في التفسير باعتماد ما صَحَّ من تفسير النبي ﷺ، وتفسير الصحابة والتابعين وأتباعهم ، والتزام أصول التفسير الصحيح.

٥. تَحَرِّي المعنىٰ الأرجح عند الاختلاف، مع مراعاة ضوابط التفسير وقرائن الترجيح.

٦. ذِكْرُ بعض هدايات الآيات وفوائدها في أسفل كلِّ صفحة؛ بما يُعين علىٰ تدبرها وتمام الانتفاع بها، تحت عنوان مستقل : (مِن فوائد الآيات).

٧. التقديم بين يدي كلِّ سورة ببيان زمان نزولها (مكية أو مدنية)، وبيان أهم مقاصدها باختصار.

٨. جمعُ ما سبقَ كله وكتابته علىٰ حاشية المصحف الشريف.

نظام الدراسة:

نوع الدراسة: هو «تعليم عن بُعد»، حيث يُتابع الدارس المقررات عبر الواجهة التعليمية المناسبة له، مِن بين عِدَّة واجهات للبرنامج.

مدة الدراسة: سنة واحدة.

مستويات الدراسة:

قُسِّمت الدراسةُ علىٰ مستويات، وتمَّ اعتماد خمسة مستويات في الدفعة الرابعة، **وهي كالتالي:**

- **المستوىٰ التمهيدي:** يتكون من سورة الفاتحة والجزئين ٢٩ و٣٠.
- **المستوىٰ الأول:** من بداية الجزء ١ إلىٰ نهاية الجزء ٧.
- **المستوىٰ الثاني:** من بداية الجزء ٨ إلىٰ نهاية الجزء ١٤.
- **المستوىٰ الثالث:** من بداية الجزء ١٥ إلىٰ نهاية الجزء ٢١.
- **المستوىٰ الرابع:** من بداية الجزء ٢٢ إلىٰ نهاية الجزء ٢٨.
- **تتم دراسة الجزء في ٥ أيام متواصلة:** تبدأ يوم السبت وتنتهي يوم الأربعاء، وذلك بمعدل ٤ صفحات يوميًّا.
- **وأمَّا يَوْمَا الخميس والجمعة** فعطلة لمراجعة ما تمَّت دراسته خلال الأسبوع واستدراك ما فات منها.
- **تُنشر -مع كل درسٍ يوميٍّ أسئلةُ استيعاب-** تُعين علىٰ تثبيت المعاني ومعرفة مدىٰ استيعاب الدرس. ولا تُحتسب لها درجات.
- **الانتقال بين المستويات يكون بالترتيب** (المستوىٰ التمهيدي، ثم الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع)، وشرط الانتقال: هو إحراز درجة النجاح لكلِّ مستوىٰ دراسيٍّ.

واجهات الدراسة:

سعيًا منا لإتاحة فرصة العمر كي يُحَصِّل أكبر عدد من المسلمين فهم معاني الكتاب العزيز؛ اعتمدنا أكثر من واجهة تعليمية ليختار الدارس منها ما يُناسبه، وهي:

١. **منصة «مُدَّكِر» التعليمية؛** لمن يفضِّل الدراسة عبر نافذة خاصة بالخدمات التعليمية دون تشتيت رسائل التواصل الاجتماعي.

٢. **قناة تيليجرام؛** لمتابعة الدروس وما يتعلق بالبرنامج، لمن كان من مستخدمي برنامج تيليجرام.

٣. **مجموعة فيسبوك:**

الخيار المناسب لمن يتواجد بكثرة علىٰ منصَّة فيسبوك.

٤. **تطبيق مُدَّكِر الإلكتروني:**

تطبيق إلكتروني للأجهزة الذكية يُتيح للدارس متابعة الدراسة، وقراءة الدروس اليومية، وأداء الاختبارات، واستلام الشهادات، وهو متاح لنظامي Android ,Ios.

لغة الدراسة:

اللغة الأساسية للدراسة هي اللغة العربية، وسيتم إطلاق البرنامج باللغات الأخرىٰ بعد اكتمال ترجمة كتاب «المختصر في تفسير القرآن الكريم» لبقية اللغات. تم إطلاق البرنامج باللغة الإنجليزية ويتم تحضير إطلاق البرنامج باللغة الأندونيسية وغيرها.

متطلبات التسجيل:

- امتلاك الراغب بالتسجيل بريدًا إلكترونيًّا فعَّالًا.
- ملء استمارة التسجيل بمعلومات صحيحة.
- الانضمام إلىٰ إحدىٰ واجهات الدراسة.

أعضاء الفريق:

كعادة كل برنامج جديد يكون أعضاؤه العاملين به قليلي العدد، ثمَّ يزداد مع توسُّع البرنامج وازدياد أعماله.

ويتوزع أعضاء الفريق العاملين بمدَّكر على أقسام أربعة:

- القسم الإداري:
- القسم العلمي:
- قسم شؤون الدارسين:
- القسم التقني:

مهام الأقسام:

القسم الإداري:

يقوم بالتخطيط ووضع الأهداف المراد تحقيقها وصياغتها في شكلِّ مَهام تُوكل لكلِّ قسم من أقسام البرنامج، ثم متابعة الإنجاز والأداء وفقًا لمعايير الجودة الخاصَّة بالبرنامج، كذلك تحديد علاقة البرنامج مع غيره من البرامج التعليمية المُشابهة وعمل الشَّراكات معها.

القسم العلمي:

- تجهيز المادة الأساسية (المختصر في التفسير)، وإعدادها للدراسة.
- إعداد المادة **العلمية الإثرائية** للدراسة؛ (بحث، تفتيش، اختصار، إضافة...)، إلخ:
  - مرئية.
  - مكتوبة.
  - صوتية.
- الإجابة والإشراف علىٰ الإجابات العلمية (استفسارات الدارسين العلمية فيما يخصُّ المادة **العلمية الأساسية** [المختصر] للمشروع، وجمعها مع أجوبتها، وأرشفتها).
- مُعالجة الإشكالات والملاحظات العلمية التي تَرِدُ علىٰ المادة **العلمية الأساسية**؛ (مزيد توضيح لما جاء في المختصر من استشكالات علمية).
- جمع الملاحظات **العلمية الأساسية** علىٰ المادَّة وتصنيفها وأرشفتها.
- دعم المادَّة **العلمية الأساسية** بمقالات توضيحية عند الاحتياج لذلك.
- وضع ومراجعة أسئلة استيعاب يومية ومراجعة أسبوعية واختبارات فَصْلِيَّة -(وحدات أو مستويات...) إلخ- علىٰ المادة **العلمية الأساسية**، وأسئلة استيعاب علىٰ **المادة الإثرائية**.

- عمل بنك مركزي لأرشفة الأسئلة الأساسية والإثرائية وجمعها وتصنيفها.
- تعيين مشرفين ومشرفات لهم ميزة علمية للمساعدة في الإجابات العلمية في التفاعليات وعلىٰ الخاص.
- رفع الأسئلة اليومية علىٰ استمارات جوجل، وتضاف علىٰ المنصة.
- تجهيز الأسئلة الأسبوعية والاختبارات الفَصْلِيَّة بصيغة الرفع علىٰ المنصة (NOTE PAD) وإعطاؤها لقسم شؤون الدارسين.

تَمَّ -حتىٰ الآن- عمل أكثر من ١٦٠٠ سؤال علىٰ كتاب «المختصر في تفسير القرآن الكريم» بالكامل.

قسم شؤون الدارسين:

١. إعداد الدروس اليومية (بصيغ: ملفات صوتية mp3، صور png، ملفات pdf)، وتجهيز روابطها مع رابط الأسئلة المُستلمة من القسم العلمي، وصياغتها في رسالة لنشرها في تيليجرام وفيسبوك.

٢. الردود علىٰ استفسارات الدارسين الفنية والإدارية دون العِلمية، و(معدل الرسائل اليومية الآن من ١٥٠ إلىٰ ٢٠٠ رسالة عبر حسابي تيليجرام وفيسبوك).

٣. إنشاء تفاعليات دراسية في تيليجرام خاصَّة بكل دفعة.

٤. تنسيق العمل مع المتطوعين من الدارسات والدارسين؛ لإعداد مناقشات يومية علىٰ التفاعليات، و الإشراف علىٰ ضبطها حتىٰ لا تخرج عن مقصودها.

٥. تحديد مواعيد بدء الدفعات والاختبارات، وإصدار الشهادات ورفعها للإدارة لإقرارها.

٦. إعداد جداول الدراسة لمقررات البرنامج.

القسم التقني:

أولا: ما يتعلق بالعمل:

١. تطوير موقع «مُدَّكر» الرسمي.

٢. تطوير منصة «مُدَّكر» التعليمية.

٣. حجز ومتابعة الخوادم (السيرفرات) التشغيلية.

٤. مراجعة ومتابعة ورفع توصيات الإدارة للمبرمجين المسؤولين عن تصميم تطبيق «مُدَّكر» علىٰ نظامي الأندرويد و IOS.

٥. تطوير العمل علىٰ تيليجرام وفيسبوك؛ سواء بالـ(بوتات) أو أيِّ برامج أخرىٰ.

٦. الإجابة علىٰ استفسارات الدارسين الواردة علىٰ بريد البرنامج لا سِيَّما الأسئلة التقنية منها.

٧. إدارة الحسابات العامَّة للبرنامج.

٨. – رفع كل التصورات التي مِن شأنها تطوير العمل من منظور تقني.

ثانيًا: فيما يتعلق بمقر العمل وأعضاء الفريق:

١. تدريب ومتابعة فريق العمل علىٰ بعض المهارات الحاسوبية المتعلقة

بالتعامل مع حزمة جوجل خاصَّة وبرامج الأوفيس كالوورد والإكسل، وكذلك التعامل مع المنصَّة التعليمية، وسرعة الطباعة، ونحو ذلك.

٢. إصلاح الأعطال التي تحتاج لمعالجة؛ مثل توقف الجهاز عن العمل، أو عدم الاتصال بالشبكة، ونحو ذلك.

٣. التوصية بشراء أجهزة بمواصفات معينة ومراجعتها عند الحاجة لذلك بناء علىٰ رأي الإدارة.

٤. البحث عن كل ما من شأنه تطوير العمل وتنظيمه؛ مثل: برنامج Trello.

طريقة تحضير الدروس:

يتم تقسيم المقرر بناء علىٰ الخطة الدراسية العامَّة، ثمَّ الجدول الدراسي الخاص بكل مستوىٰ.

تتضمن رسالة الدرس الملفات التالية:

- ملف pdf.
- ملف mp3 قراءة للدرس مع الآيات، وملف آخر بدون قراءة الآيات.
- صور صفحات الدرس بصيغة png.
- أسئلة استيعاب للدرس اليومي علىٰ استمارة جوجل.

كما في الصيغة التالية:

- برنامج «مُذَّكِر» - الدفعة الرابعة.
- المقرر: كتاب «المختصر في تفسير القرآن الكريم» #المستوىٰ_التمهيدي.

- #الدرس١

- موعد الدرس:

السبت ٠٢/ رمضان/ ١٤٤١هـ.

الموافق ٢٥/ ٠٤/ ٢٠٢٠م.

- محتوى الدرس: سورة (الفاتحة).

- الصفحات: (١).

- ملف الدرس: من كتاب المختصر في تفسير القرآن الكريم:

- قراءة صوتية للدرس (بدون آيات):

- قراءة صوتية للدرس (مع آيات):

- أسئلة استيعاب الدرس:

إضاءات تعليمية للدرس:

***

ثُمَّ تتم جدولة نشر الدروس على واجهات الدراسة الثلاثة؛ لتنشر تلقائيًّا صباح كل يوم عند الساعة السادسة صباحًا بتوقيت مَكَّةَ، بحسب الجدول الدراسي.

طريقة التواصل مع الدارسين:

- يتم التواصل مع الدارسين عبر حسابات الإشراف في واجهات الدراسة الرسمية (فيسبوك، تيليجرام، المنصة التعليمية).

- لكل عضو توقيع إشرافي يُذَيِّل به إجابته علىٰ كلِّ استفسار (#مشرف١ ، مشرف٢، وهكذا) للتقييم والمتابعة.
- التواصل مع الدارسين مفتوح علىٰ مدار اليوم.

ملحق: نماذج من استمارات التسجيل/ أسئلة الاستيعاب/ الاختبارات النهائية/ إعلانات التسجيل/ الشهادات

إعلانات التسجيل:

استمارة التسجيل:

أسئلة الاستيعاب:

أسئلة استيعاب الدرس الأول

*مطلوب

يمكن الاستعانة بمصحف غير مفسّر.
المرجع في الإجابات هو الكتاب المقرّر فقط.
اختر الإجابة الصحيحة:

1- تُسمى سورة الفاتحة بأم القرآن: * نقطة واحدة

- لافتتاح كتاب الله تعالى بها.
- لاشتمالها على موضوعات القرآن.
- لأنها تُقرأ في كل ركعة في الصلاة.

2- افتتح الله تعالى كتابه الكريم بالبسملة، على * نقطة واحدة

- أنها أول آية في سورة الفاتحة.
- أنها أول آية نزلت من القرآن.
- تؤكد على عباده أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم بها طلبًا لعونه وتوفيقه.

الاختبارات النهائية:

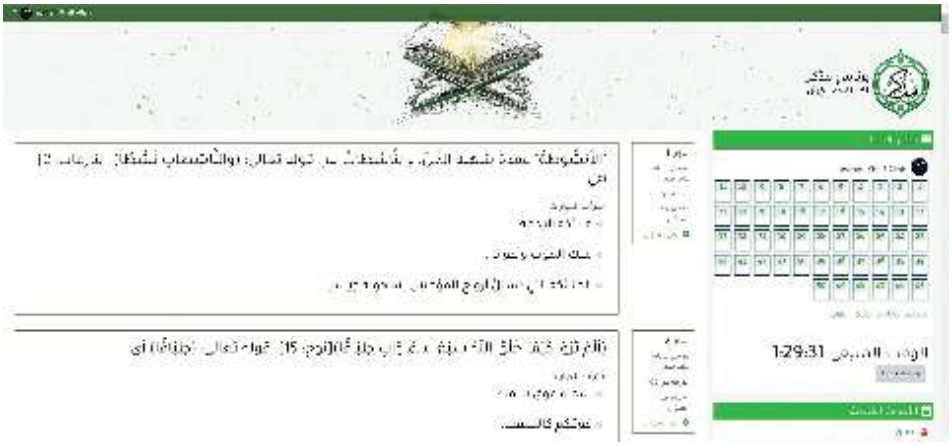

الشهادات:

يَمنح برنامج «مُدَّكِر» ثلاثة أنواع من الشهادات للدارسين فيه وفق المتطلبات التالية:

- **شهادة اجتياز مستوى**؛ للناجحين في مستوى من مستويات البرنامج.
- **شهادة إتمام البرنامج**؛ للناجحين في جميع مستويات البرنامج دون أن يدخلوا الاختبار الشامل.
- **شهادة دبلوم «المختصر»**؛ للناجحين في الاختبار الشامل للكتاب المُقَرَّر.
- شهادات البرنامج إلكترونية، وتَحمل رمزَ تَحَقُّقٍ خاصٍّ بكلِّ دارس.
- يتسلم الدارس شهاداته عبر حسابه في منصة البرنامج التعليمية بعد تحقيقه لمُتطلباتها.
- شهادات البرنامج مُوَقَّعة من مدير عام «مركز تفسير للدراسات القرآنية»، دون أن يَعني ذلك أي التزامات (قانونية أو أكاديمية أو غير ذلك) من مركز «تفسير» أو برنامج «مُدَّكِر» تجاه أصحاب الشهادات.

الشهادة قابلة للتحميل من الحساب الخاص بالدارس في المنصة، وقابلة للطباعة.

رسائل الخريجين :

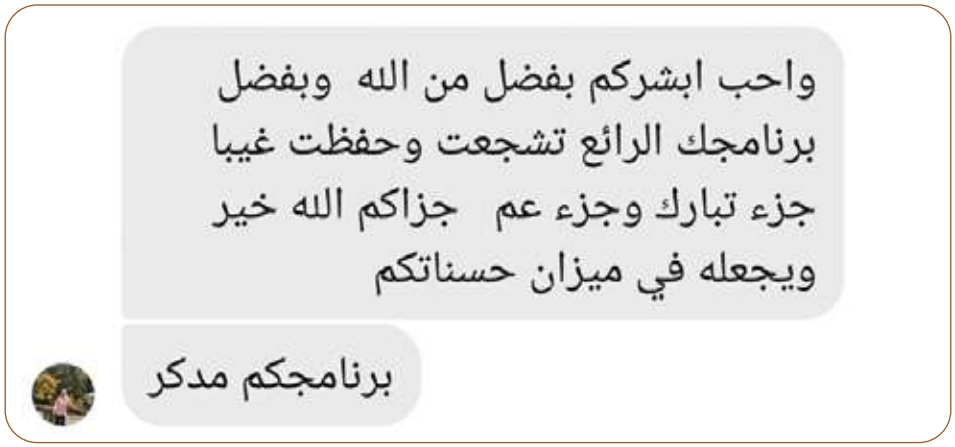

الحسابات الرسميَّة للبرنامج

Twitter.Com/Moddakerelearn

Instagram.Com/Moddakerelearn

Youtube.Com/Moddakerelearn

T.Me/Moddakerelearn

Fb.Me/Moddakerelearn

Hearthis.at/Moddakerelearn

مجلة تدبر

ثالثًا:

تقارير المؤتمرات العلمية

مجلة تدبر

تقرير عن ملتقى:
التجديد في التفاسير المعاصرة:
عرض ونقد

تنظيم: مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

المنعقد يوم الإثنين: ٢٣ جمادى الثاني ١٤٤١هـ،

الموافق: ١٧/ ٠٢/ ٢٠٢٠

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

معد التقرير

أ.د. عبد الرحمن معاشي

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

انطلاقًا من رسالة القرآن إلىٰ الخلق تقوم إشكالية الموضوع الذي يحاول الوقوف عند ماهية التجديد عمومًا والتجديد في التفاسير المعاصرة خصوصًا، وعرض ورصد وتقويم التفاسير المعاصرة، وأبعادها التجديدية وعوائقها وإشكالاتها في الموضوع والمنهج؛ من أجل الفهم الأسلم والتدبر الأمثل لكتاب الله، وتنزيله علىٰ الواقع والاغتراف من مَعِينه الذي لا يَنضب، والاهتداء بِهُداه الذي لا يَنفد.

ويأتي (**ملتقىٰ التجديد في التفاسير المعاصرة: عرض ونقد**) استكمالًا لما تم طرحه ومناقشته في ملتقيات وندوات سابقة، في جامعات ومراكز متعددة داخل الوطن أو خارجه، حول هذا الموضوع؛ وذلك لأهميته الملحة والمتجددة في كل وقت.

وقد كان لهذا الملتقىٰ موعد لانعقاده في نهاية السنة الماضية، ولكن ظروفًا وصروفًا أرجأته، وها هو اليوم يحيا من جديد ويتجدَّد في هذه المحاولات العلمية من السادة الباحثين من الأساتذة والطلبة والمهتمين.

ونظرًا لضيق المساحة الزمنية الممنوحة لهذا الملتقىٰ، وهي يوم واحد فقط؛ بسبب تزامن عدة ملتقيات أخرىٰ ستنعقد تباعًا بعد هذا الملتقىٰ، ارتأت اللجنة العلمية -تنسيقًا مع مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية، وتنسيقًا مع الكلية

والجامعة- أن تُنتخب لهذا اليوم مجموعة من الأوراق المهمة لبعض الأساتذة والباحثين، وتخصص لبقية المشاركين -خصوصًا من الطلبة- ورشة بحثية في المخابر في أقرب فرصة علمية يُدعون إليها بحول الله.

ومن أهداف الملتقى:

١- خدمة القرآن الكريم، وتعزيز دوره في خدمة المجتمع وحل مشكلاته.

٢- مواصلة البحث في موضوع التجديد، خصوصًا ما يتعلق في التفاسير المعاصرة.

٣- الإفادة من التفسير المعاصر -بقدر الإمكان- في حل قضايا الواقع المتجدد.

٤- تقييم المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم.

٥- التنبيه إلىٰ خطورة توظيف التجديد في التفسير في المقاربات الفكرية الحداثية.

٦- إتاحة فرصة التفاعل للطلبة والباحثين مع المسائل والإشكالات المعرفية والمنهجية المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن.

وقد اقترحت اللجنة العلمية مجموعة من المحاور، وهي:

- **المحور الأول**: مشروعية التجديد في التفسير ومسوغاته في حركة التفسير المعاصرة.
- **المحور الثاني**: جدلية تفسير القرآن واعتقاد النقصان في البيان القرآني.
- **المحور الثالث**: التجديد في مدارس التفسير واتجاهاته (الجديد المنهجي والمعرفي).
- **المحور الرابع**: معالم التجديد في التفاسير المعاصرة (التجديد في التعامل

مع المصادر التفسيرية، التجديد في ابتكار أساليب جديدة في التفسير، التجديد في أصول وقواعد التفسير...).

- **المحور الخامس**: التجديد بين الانضباط والانحراف.
- **المحور السادس**: المشروع الحداثي والتجديد في التفسير (المناهج النقدية والأدبية وعلاقتها بالتفسير).
- **المحور السابع**: عوائق ومشكلات التجديد في التفاسير المعاصرة.
- **المحور الثامن**: تقييم ونقد دراسات التجديد وآفاقه في التفسير المعاصر.

وفي الأخير ودون إطالة، لا يسعني إلا أن أُجَدِّدَ شكري وامتناني -باسمي وباسم اللجنة العلمية- لإدارة الجامعة الممثلة في السيد مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: أ. د/ السعيد الدراجي ومعاونيه، وإدارة الكلية الممثلة في عميد كلية أصول الدين ومعاونيه، علىٰ حرصهم وتشجيعهم للبرنامج العلمي وللأنشطة والدورات العلمية في هذه الجامعة، وعلىٰ السهر علىٰ تيسير وتسهيل اللقاء في رحاب هذه المائدة العلمية في هذه القاعة المضيافة التي مُذ عرفتُها وأبوابها مُشرعة تحتضن مختلف الأنشطة والدروس المعرفية.

كما أشكر السيد مدير مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية علىٰ تَبَنِّيه لهذا الملتقىٰ وحُسن تعاونه، وأشكر السادة الباحثين من الأساتذة والطلبة والحاضرين وجميع الفاعلين والمتفاعلين، وأتمنىٰ للجميع استفادة علمية مفيدة خلال هذا اليوم، وأُحيل الكلمة إلىٰ السيد مدير المخبر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثانيًا: تقرير عن أعمال الملتقى والجلسات العلمية

يعدُّ موضوع التجديد في التفاسير المعاصرة: عرض ونقد موضوعَ الساعة؛ لما تشهده الساحة العلمية والفكرية الحديثة والمعاصرة في تعاطي آيات القرآن الكريم -باسم التجديد والتحديث- من أفكار وأنظار ومقولات غير بريئة في كثير من الأحيان.. وقد جاء هذا الملتقىٰ ليكشف عن بعض هذه المآرب، ويُثير بعض الإشكالات المنهجية والعلمية في موضوع التجديد عمومًا، والتجديد في التفسير علىٰ وجه الخصوص، واسْتَدْعَىٰ لذلك نُخبةً من الأساتذة والباحثين من مختلف جامعات الوطن؛ لمناقشة هذا الموضوع المهم وتدارسه من وجهات مختلفة.

توزع الملتقىٰ علىٰ **أربع جلسات علمية** جمعت شتىٰ المحاور والإشكالات التي أعلن عنها موضوع التجديد في التفاسير المعاصرة.

تناولت **الجلسة العلمية الأولىٰ** بعض المفاهيم المدخلية في بناء موضوع الملتقىٰ وحدوده؛ فتساءلت المداخلة الأولىٰ عن دلالة التجديد ومضامينه، حيث بَيَّنَ المحاضر أن التجديد كلمة إسلامية أصيلة، ثبتت في أحاديث صحيحة؛ غير أنها في فترة من فترات التاريخ شابتها خطابات ومقولات شحنتها بمضامين حديثة غربية عصفت بالمحتوىٰ الإسلامي؛ فأصبحت بذلك سيئة السمعة مثيرة للشبهة والحذر.

كما عرض لعلاقة التجديد بالتفسير وفق ما تشير إليه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وعلاقة ذلك بالبيان القرآني، وما يحمل كل ذلك من دلالات صريحة وأخرىٰ غير صريحة في تكوين العملية التفسيرية وتوجيهها وتجاوز مشكلاتها، وختم الموضوع بطرق توظيف الدال والمدلول في الخطابين الإسلامي والغربي التفكيكي وخطورة هذا الأخير علىٰ مضامين التجديد.

أعقبت هذا الموضوعَ مداخلتان أُخْرَيان؛ عرضت الأولىٰ منهما لدراسة التجديد في الماهية والشروط والضوابط، واستعرضت الثانية دراسة مصطلحية في التفسير الموضوعي وموقعها من مناهج التجديد في التفسير؛ حيث بَيَّنَ الباحث أن هناك عددًا من الإشكالات الملابسة للبحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية؛ كتحريف المفاهيم والمصطلحات القرآنية وتحميلها ما لا تَحتمل، وكذلك الاعتماد علىٰ كتب الوجوه والنظائر وحدها في تقرير مدلولات تلك المفاهيم، وكذلك تظهر إشكالية الاعتماد علىٰ الترتيب النزولي أو المصحفي في عملية البحث أو الكتابة.

من هنا نبَّه الباحث أنه لا بد من مزيد ضبط منهجي في التعامل مع المفهوم أو المصطلح القرآني علىٰ اعتباره خطوة مكملة لدراسة الموضوع القرآني من خلال تحيين خطوات البحث فيه نحو رشد منهجي أكثر نضجًا وصحة.

وجاءت المحاضرة الرابعة (دراسة تحليلية نقدية لدور منهج التفسير الموضوعي في تقويض تصورات الغرب القيمية؛ إشكال القيم والأخلاق في تجربة محمد عبد الله دراز التفسيرية من خلال كتابه «دستور الأخلاق في القرآن»)؛ الذي اقترح فيه الباحث تعديل منهاج تدريس مناهج التفسير القرآني بما يخدم هذا الغرض، ويجعل المفسر دائمًا متسلحًا بعلوم العصر وحركية الواقع ومستجدات الحياة الإنسانية؛ حتىٰ يحسن استخراج الإجابات القرآنية لها؛ وذلك بتضمين العلوم الإنسانية والاجتماعية المتنوعة في تخصص الدراسات القرآنية، أو الكتاب والسنة، أو علوم القرآن والتفسير، أو منهج التفسير الموضوعي؛ وذلك كعلوم التربية وعلم النفس والاجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيا والتاريخ والحضارات

وغيرها، بحضور مساعد لحضور مقاييس التخصص تعبِّر تمامًا عن علاقة الفرع بالأصل، أو علاقة التابع بالمتبوع، أو علاقة التلميذ بالأستاذ سؤالًا وجوابًا، والذي يُسهم في تأهيل المفسر بمعناه العام؛ لتكييف النظريات القرآنية وفق سياقات الواقع، ويدرك به أن التجديد ضرورة قرآنية وإنسانية ومنهجية في وسائل وآليات المعالجة والقراءة، لا في أصول وثوابت القرآن الكريم.

تَلَتْ هذه المحاضرة مداخلة في أثر توجه الفكر الحداثي على الدرس التفسيري عمومًا؛ لتختم الجلسة العلمية الأولى بمداخلة أبرزت مظاهر التجديد الإصلاحي للتفسير في عصر النهضة؛ انتهت فيها إلى أن التفسير الإصلاحي اهتم بالتجديد لغرض معالجة الواقع على ضوء العلاج القرآني، بتناول آيات بيِّنات خادمة لهذا المقصد، وأن التفاسير الإصلاحية هي تفاسير هدائية أكثر منها تفاسير علمية، حيث عملت على تنوير المجتمع بأخطائه وجعل الفرد على بصيرة بما يُحدق بالأمة من أخطار على شتى الأصعدة.

أما **الجلسة العلمية الثانية** فقد تنوعت فيها المحاضرات عرضًا ونقدًا لنظريات وشخصيات علمية وحداثية؛ فجاءت الأولى دراسة نقدية لمنهج محمد شحرور التجديدي في التفسير: المنهج اللغوي اللساني أنموذجًا.

وتخصصت الثانية في رؤية نقدية لدعاوى التجديد في التفسير النسوي للقرآن الكريم.

وأما الثالثة فقد تكلمت عن التجديد في التفسير في ضوء المعارف العلمية الحديثة؛ مسألة «علم ما في الأرحام أنموذجًا؛ عرض المحاضر لمسألة تفسير (ما تغيض الأرحام)، ودعوى الحاجة إلى التجديد في كلام علمي نفيس.

جاء بعد ذلك موضوع نقدي حول التوظيف الحداثي لنظرية المقاصد في فهم القرآن الكريم؛ كشف فيه الباحث عن توظيف نظرية المقاصد تحت مظلة المعاصرة والتجديد بعيدًا عن تحقيق المناط في كثير من المسائل إضافة إلىٰ الانتقائية في التفسير.

تناولت **الجلسة الثالثة** نماذج تطبيقية لارتباط التفسير المعاصر بالنوازل الفقهية؛ انتهت إلىٰ أن حركة التجديد المعاصرة تشمل جميع الجوانب منها التجديد في التفاسير المعاصرة للآيات القرآنية؛ لتواكب العصر وتعطي حكمًا شرعيًّا لكل ما يحتاجه المسلم في حياته بمختلف جوانبها.

واختُتِمَت **الجلسة** بموضوع الممارسة النصية في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وعلاقتها بالتجديد؛ قصد فيها المحاضر إلىٰ طريقة عرض المفسرين معاني هذا الكتاب، في اختصاص التفسير الموضوعي للسورة، ومدىٰ أسبقيتهم بما قدموا ما توصل إليه (علم النص) المعاصر، من خلال ما مارسوه إجراء في تحليلهم وتفسيرهم للخطاب القرآني.

استأنف الملتقىٰ -بعد تعقيبات ومناقشات- جلسته الثالثة في عدة مواضيع مهمة وثرية، كان الأول حول التفسير المصور للقرآن الكريم: مظهر عملي للتجديد عرض وتحليل، باعتباره حقلًا خصبًا غنيًّا بالدلالات و المعاني، وهو يحتاج إلىٰ تحرير التقييم المنهجي له، وإبراز المحتوىٰ الدلالي الذي يستقرئ من خلال تلك الرسائل البصرية، والتعرف علىٰ ما كان منها أصيلًا، وما انحرف منها عن جادة الصواب، وكذا التعرف علىٰ سمات هذا التفسير، وأهدافه، ومعرفة الاتجاه الغالب عليه، مع محاولة للإسهام في وضع الضوابط الصحيحة لمثل هذا النوع من التفسير.

وكان الموضوع الثاني حول التفسير الوظيفي: معايير الاعتماد والتجاوز في موروث التفسير؛ باعتباره لونًا آخر من ألوان التفسير، حيث أبان فيه الباحث عن الثابت والمتغير في موروث التفسير، وآليات التغيير والتجاوز، وأن انطلاق عمل التفسير من حاجات القارئ لا فقط اهتمامات المفسر، وتعيين مؤسسات رسمية للتفسير لا فقط جهود الأفراد، واعتماد منابر فاعلة لا مجرد تقاليد الكتاب.. هو الذي من شأنه أن تتجدد به قضايا التفسير، وتسمح بإنتاج أكثر فاعلية ونجاعة وتعاطيًا مع الزمان والمكان.

جاء بعد ذلك موضوع آخر في ذات السياق والمعنىٰ بعنوان: تفسير النَّصِّ القُرْآنِيِّ الكَرِيمِ بَيْنَ تَنَاهِي الخُصُوصِيَّةِ وَتَهَوُّرِ التَّسَوُّرِ»، تلاه آخر في التفسير المقاصدي للقرآن الكريم في المنهج والضوابط، به ختمت الجلسة العلمية الثالثة.

استأنفت **الجلسة العلمية الرابعة والأخيرة** مجموعة من المداخلات؛ انطلقت الأولىٰ بموضوع أصول التفسير بين الإعمال والإهمال في القراءة الحداثية للقرآن الكريم، وهي دراسة نقدية لموقع أصول التفسير في القراءات الحداثية للقرآن الكريم.

ثنيت الجلسة بموضوع التجديد في أصول التفسير من خلال علم المناسبات القرآنية من خلال التفاسير المعاصرة؛ الذي عرض لعلم المناسبات وعلاقتها بموضوع التجديد من خلال ما جاد به المفسرون المعاصرون.

تضمنت الجلسة الرابعة –أيضًا– موضوعًا في القراءات والتجديد؛ من خلال مداخلة بعنوان: (ملامح التجديد في علم القراءات من خلال تفسير ابن عاشور)، والتي أعقبت بموضوع عُني بتطبيقات ترجيح معاني الحقائق اللُّغوية والعقليَّة علىٰ الحقائق الدينية الشرعيَّة، وأثرها علىٰ تفسير النَّص القرآني؛ وهو موضوع في قواعد

التفسير يبرز مشكلة تقديم الحقائق اللغوية والعقلية علىٰ الحقائق الشرعية السمعية، وخطورتها علىٰ التفسير الصحيح، وعلاقة ذلك بالتجديد.

واختُتِمَت الجلسة بموضوعٍ تناول فيه الباحث مقترحات التجديد المنهجي والمعرفي في التفسير التحليلي، وما علىٰ المفسر أن ينبري له في هذا العصر للمفسر؛ كأن يُعني بالرد علىٰ الشبهات التي تتجدد حول القرآن الكريم وتشريعاته، وأن يكون تفسيره مرتبطًا قدر الجهد بمقاصد الشريعة ومتطلبات الواقع المعيش؛ حتىٰ يحقق المفسر غرضه من تفسيره وهو هداية الناس.

هذا، وقد انتهت الجلسات العلمية والملتقىٰ بكلمة ختامية للسيد عميد كلية أصول الدين والسيد مدير الجامعة، وبقراءة التوصيات والمقترحات التي أفرز عنها الملتقىٰ.

ثالثاً: التوصيات والمقترحات

أولًا: التوصيات

١- التجديد كلمة إسلامية أصيلة، ثبتت في أحاديث صحيحة، غير أنها في فترة من فترات التاريخ شابتها خطابات ومقولات شحنتها بمضامين حديثة غربية عصفت بالمحتوىٰ الإسلامي.

٢- حصر الأصول والثوابت غير القابلة للتغيير؛ حتىٰ يُترك التجديد للفروع وآليات القراءة والتفسير قديمًا وحديثًا.

٣- وجوب تعظيم النصوص الشرعية عمومًا والقرآنية خصوصًا، وتوقيرها في أية قراءة تفسيرية أو تأويلية؛ وذلك لأن التساهل في التعامل معها

يفضي إلىٰ انتهاك حرمة الدين والتلاعب بالمقدسات.

٤- عدم نقض التجديد لإجماع مُعتبر أو تصادمه مع النصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة.

٥- ألا يشمل التجديد مجال الأحكام الثابتة بدليل قطعي، أو المسائل المعلومة من الدين بالضرورة.

٦- ضرورة توفر الكفاية العلمية واعتبار المقاصد والمآلات في القائم بالعملية التجديدية في مجال التفسير.

٧- عدم خضوع المُجَدِّد لضغوطات الواقع المُعاش؛ إذ النصوص حاكمة علىٰ الواقع لا العكس.

٨- كشف الأصول والمرجعيات الفكرية والأيديولوجية لجميع القراءات التفسيرية؛ للتمييز بين الثابت والمتغير فيها.

٩- تحديد -وبدقة- كيفية الانتقاء الإيجابي من المناهج الحداثية وغيرها.

ثانيا: المقترحات

١- تحصين الطلبة في باب التفسير ومناهجه عمومًا؛ بتوجيه العناية إلىٰ ضوابط التفسير وأصوله كمنهج ضابط في معرفة الصحيح من السقيم من القراءات.

٢- مَن لا يعرف الآخر ومنهجه في القراءة يصعب عليه التقييم، وقد يكون جائرًا في الحكم؛ إذ الحكم فرعٌ عن التصور؛ ولذلك علىٰ المهتمين بالدراسات القرآنية عمومًا أن يفهموا المناهج الحداثية المعاصرة جيدًا،

وأن يحصنوا الطلبة بتعريفهم بها؛ ضمانًا للقدرة علىٰ تمحيص الغَثِّ من السمين في ذلك.

٣- كثيرة هي المناهج النقدية الموظفة في قراءة النص القرآني عند الحداثيين، المبنية علىٰ البحث اللساني المعاصر وما توصل إليه من نظريات ومناهج، وعليه فالحاجة ماسة لأن يتعرف طلبة الدراسات القرآنية والدراسات الشرعية علىٰ تلك المناهج في برامج تكوينهم.

٤- مسيس الحاجة إلىٰ الانبراء للشبهات والإشكالات المعرفية والمنهجية في التفسير وعلوم، القرآن ودراستها دراسة علمية موضوعية رصينة.

٥- توجيه طلبة الماستر والدكتوراه إلىٰ رصد مظاهر التجديد في مناهج واتجاهات التفسير ونقدها عبر العصور.

٦- اقتراح فتح تخصص يُعنىٰ بالقرآن في الدراسات الحديثة والمعاصرة بقسم الكتاب والسُّنَّة.

٧- اقتراح فصل التجديد المنضبط المتجدد المتفلت، إن جاز أن يُطلق عليه تجديدًا.

٨- ضرورة عقد ملتقيات أخرىٰ تُعنىٰ بالمسائل التي تثير إشكالات في فهم النصوص الشرعية كتابًا وسُنَّة، وورشات تدريبية للطلبة في هذا الخصوص.

٩- اقتراح ترقية الملتقىٰ من الصبغة الوطنية إلىٰ الصبغة الدولية.

١٠- التوصية بطباعة أعمال الملتقىٰ وتوزيعها علىٰ الأساتذة والطلبة.

علاقة الملتقى بتفعيل القرآن في حياة الأمة وفي المجتمعات:

إن ملتقىٰ التجديد في التفاسير المعاصرة: عرض ونقد، يسعىٰ بشكل عام إلىٰ توثيق الوشائج بين الأفراد والأمم والمجتمعات وشدِّ الرِّباط بينهم وبين القرآن الكريم أكثر؛ **ومن تجليات ذلك أيضا أنه يعمل علىٰ:**

١- تفعيل دور القرآن الكريم وتجديده في حياة الأفراد والأمم؛ من خلال الجوانب التجديدية التي تميزت به التفاسير المعاصرة.

٢- لقد حاول المفسرون والمصلحون في المرحلة الحديثة والمعاصرة ربط الأمة أكثر بالقرآن، وإصلاح حالها، والإجابة عن بعض إشكالات الواقع وتنزيلاته؛ فتشكلت تفاسيرهم بما يخدم ذلك الواقع، فغلب عليها التفسير الهدائي والإصلاحي والمقاصدي وغيره.

٣- إن أي محاولة لتحديث فهم القرآن الكريم وتفسيره، بدعوىٰ التجديد وتفعيل القرآن أكثر والاستجابة لمتطلبات الواقع، وربط الأمة وأفرادها بذلك، قد يسيء إلىٰ قيمة التجديد نفسها، إذا خرقت تلك المحاولات الإجماع وهدمت الثوابت، ولم يؤطر ذلك المسمىٰ تجديدا بالأطر الصحيحة والشروط المقبولة والمعقولة، التي نص عليها علماء الشريعة وأجمعت عليها الأمة.

أ. د/ عبد الرحمن معاشي
maachiabdou@gmail.com
٠٠٢١٣٦٦٤٣٣١١٩٦

مجلة تدبر

ملف تعريفي عن المجلة

باللغة الإنجليزية

Subject	Page
Three: Reports of International Seminars and Conferences	
Report on the Forum "Renovation in the Contemporary Tafseer (Quranic Exegeses): " Presentation and Criticism.» Organized by The Laboratory of the Quranic Studies and the Sunnah. Faculty of Usool Ad-Deen (the Science of the Principles of Religion), Emir Abdelkader University of Islamic Sciences, Constantine. Maachi Abderrahmane	387

Table of Contents

Subject	Page
From the Editor	17
One: Essays and Research	
Extraction of Rhetorical Rules from the Qira'at (Recitation) of the Holy Quran *an Empirical Study* Dr. Talal bin Ahmed bin Ali bin Mohammed	21
Stylistic Inimitability in the Tafsir of Abu Al Saud *"Tafsir of Surat Al-Imran as an Example"* Dr. Miloud Arnibah	109
The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran Bouchra Bahi	167
Reasons for Preserving Allah's Grace and Avoiding His Wrath Dr. Munira Abdul Aziz bin Ali Saui	223
Indications of the Quranic Commands to follow the Sunnah of Prophet Mohammed: *An Analytical Study* Dr. Bassam Mosbah Aghbar	291
Two: Summaries of Dissertations and Academic Research	
Report on a Thesis entitled: "Sheikh Abdul Rahman Al Sa'adi and His Efforts in the Contemplation of the Qur'an" Researcher Zakarya bin Abdul Rahman bin Mohammed Ba Fadhl	347
Report on Moddaker Program of the Tafsir Center for Quranic Studies	365

3- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.

4- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.

5- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.

6- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.

7- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

.....

An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

- References should be alphabetised.

Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:

1- Sending the research to the Magazine website or e-mail shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.

2- The Editorial Board of the Magazine has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

  An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣaḥīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

  An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).

- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.
- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.
- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.
- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.
- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.
- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].

4- The research shall be divided into sections (subjects) according to the research plan, so that they seem to be interrelated and coherent.

5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.

6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main findings and recommendations thereof.

Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:

- The number of the research pages shall not be more than 50 pages, with an A4 size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than 25 pages.
- The Page margins shall be within 2 cm from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the traditional Arabic font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The Times New Roman font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).

Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

1- The researches shall be in the fields of the Magazine.

2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan

3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.

Consultative Committee

1. Dr.Faysal Jameel Ghazawi, The Holy Haram of Mecca" Imam" and the Dean of the Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion in Um Alqura University - Mecca.
2. Prof. al-Shaid al-Bushikhi, Chairman, Board of Directors, Mubdi` Foundation for Studies and Research, Morocco.
3. Prof. Fahd ibn Abd al-Rahman al-Roomi, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
4. Prof. Abd al-Rahman ibn Maadah al-Shihri, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
5. Prof. Ali ibn Ibraheem al-Zahrani, Professor of Higher Studies, Head of the Department of Education, the Islamic University, Madinah.
6. Prof. Yahya ibn Muhammad Zamzami, Supervisor, King Abdullah's Chair for the Qur'an and its Studies at Umm al-Qura University, Makkah.
7. Professor Abd Elhakeem Mohammed Al Onays, Head of researchers and a member of senior scholars' board of Islamic Affairs and Charitable Activities Department –Dubai
8. Professor Taha Hamad Abdeen, The professor of Quran Tafseer and its Science in OM-Alqura University in Mecca.
9. Prof. Ahmad Khalid Shukri, Professor, Faculty of Islamic Jurisprudence [Shariah], University of Jordan.
10. Prof. Ahmad ibn Muhammad al-Sharqawi, Professor of Commentary and Qur'anic Studies, University of al-Azhar, Cairo, Egypt.

Editorial Board:

1. Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji; Professor, Department of Commentary and Qur'anic Studies at the Islamic University. (Chairman).

2. Prof. Ibraheem ibn Salih al-Humaidi, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, University of al-Qasim.

3. Prof. Abd al-Rahman ibn Nasir al-Yusuf, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.

4. Prof. Yusuf ibn Abdullah al-Ulaiwi, Associate Professor, Department of Fine Expression [al-Balaghah], Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.

5. Dr. Buraik ibn Saeed al-Qarni, Associate Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.

6. Prof. Muhammad ibn Abdullah al-Rabeeah, Associate Professor, Department of the Qur'an and its Studies, University of al-Qasim.

7. Mustafa Mahmood Abd al-Wahid, Editorial Secretary.,

.....

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

Mission: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

Vision: The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

Aims:

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

Copyright ©

Tadabbur Magazine

416 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

مجلة تدبر

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia

PO Box 7119

Medina 41462

info@tadabburmag.sa

+966 50 30 72 333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

All contributions express their authors' views

مجلة تدبر

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Number 9; volume 5 Muharram 1442 AH, corresponding to August 2020

Chairman of the Editorial Board
Prof. Dr. Muhammad bin Abdul-Aziz Al-Awaji
Professor at the Department of Interpretation
And Quranic Seienses, Islamic University

Managing Editor
Prof. Dr. Muhammad Bin Abdullah Al-Rbiha
Professor at the Department of Quran and
Its Seiences, Al-Qusiem University,

Editorial Secretary
Mustafa Mahmud Abdullwahed

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Number 9; volume 5 Muharram 1442 AH, corresponding to August 2020

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Extraction of Rhetorical Rules from the Qira'at (Recitation) of the Holy Quran an Empirical Study**
  Dr. Talal bin Ahmed bin Ali bin Mohammed
- **Stylistic Inimitability in the Tafsir of Abu Al Saud "Tafsir of Surat Al-Imran as an Example"**
  Dr. Miloud Arnibah
- **The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran**
  Bouchra Bahi
- **Reasons for Preserving Allah's Grace and Avoiding His Wrath**
  Dr. Munira Abdul Aziz bin Ali Saui
- **Indications of the Quranic Commands to follow the Sunnah of Prophet Mohammed: An Analytical Study**
  Dr. Bassam Mosbah Aghbar
- **Report on a Thesis entitled: "Sheikh Abdul Rahman Al Sa'adi and His Efforts in the Contemplation of the Qur'an"**
  Researcher Zakarya bin Abdul Rahman bin Mohammed Ba Fadhl
- **Report on Moddaker Program of the Tafsir Center for Quranic Studies**
- **Report on the Forum "Renovation in the Contemporary Tafseer (Quranic Exegeses): " Presentation and Criticism.»**
  Organized by The Laboratory of the Quranic Studies and the Sunnah.

25 SR